
مسرحيات
مختارة
يوهان فولفجنج فون جوته
جوتس فون برليشينجن
ذو اليد الحديدية
أور فاوست
أو (فاوست فى الصياغة الأولى)
★
مسرحيتان: ترجمة وتعليق
د. مصطفى ماهر
الهيئة المصرية العامة للكتاب

يوهان فولفجنج فون جوته

---

# جوتس فون برليشنجن
## ذو اليد الحديدية

---

# أور فاوست
## أو (فاوست فى الصياغة الأولى)

★

مسرحيتان: ترجمة وتعليق

د. مصطفى ماهر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

## حياة جوته وأعماله :

يوهان فولفجنج فون جوته Johann Wolfgang von Goethe أكبر أدباء وشعراء ألمانيا وواحد من فطاحل أدباء العالم مافى ذلك شك. وأبرز ما يلفت النظر فى حياته الأدبية هو طولها وشمولها لاتجاهات أدبية وفكرية كثيرة ، ووفرة ما أخرجه خلالها من الأعمال فى الأنواع المختلفة التى تأثر فيها بكثير من الثقافات الغربية والشرقية القديمة والحديثة .

ولد يوهان فولفجنج فون جوته فى ٢٨ أغسطس ١٧٤٩ فى فرنكفورت، تلك المدينة الرائجة على نهر الماين التى كان لها شأنها فى التجارة والسياسة . وكان أبوه من وجهاء المدينة يجمع الى المال ثقافة واسعة ومركزا نابها . وهكذا وجد جوته فى البيت الظروف المواتية لخلق العبقرى . ولقد حكى جوته فى كتابه (( شعر وحقيقة )) الكثير من سنواته الأولى ومنه نعرف أن أباه كان شديد الحرص على أن يتعلم الصبى اللغة الالمانية واللغات القديمة وأن يتعلم الآداب والعلوم الانسانية . وبدأ الصبى يعالج الادب شعرا ونثرا منذ وقت مبكر يعبر بما يكتب عن أحاسيسه ومنها مثلا حبه لبنت اسمها مارجريته فاجنر. وفى عام ١٧٦٥ رحل الى لايبتسج ، والتحق بجامعتها ليتعلم القانون تحقيقا لرغبة والده ، ولكنه كان فى الحقيقة يجمع الى دراسة

القانون دراسة الآداب والفنون . وتأثر آنذاك بالحركة المسرحية فى تلك المدينة ذات الطابع الفرنسي وكتب مسرحية (( نزوة العاشق )) على الطريقة الخفيفة الرعوية التى كانت مشهورة . واتصل جوته بالأدباء والفنانين . وعرف الحب مرة أخرى ، أحب أنه كاتارينا شونكوبف وأحب بعدها فريدريكه أوزر . وأصيب الشاب بمرض شديد فترك لايبتسج وعاد الى فرنكفورت للعلاج والاستجمام . وفى عام ١٧٧٠ سافر الى شتراسبورج ليكمل دراسة القانون بها . وتم له هناك ماأراد ، وحصل على درجة الدكتوراه فى عام ١٧٧١ . ولكن هذه المدينة شهدت حادثا صغيرا فى ظاهره ، هاما فى نتائجه هو لقاء جوته بالأديب الناقد هردر Herder لم يكن هردر ذا عبقرية خلاقة من الطراز الأول ، ولكنه كان ثاقب الفكر ، واضح التحكم ، شديد الحماس . ودار بينهما حديث عن الأدب والشعر ولفت هردر نظر جوته الى الشعر الشعبى والى الشعراء الذين خلدوا أسماءهم فى تاريخ الأدب الانسانى لاغترافهم من معين الفن الأصيل وبعدهم عن الكلمة المتكلفة . وكان لتوجيه هردر فعل السحر . فتحول من طريق التأثر بالقوالب الفنية الفرنسية الى طريق الفن الاصيل كما عرفه شيكسبير وكما عرفه من قبل أدباء اليونان وشعراء العرب الاول والشعراء الشعبيون فى بلاد كثيرة . وعاد جوته الى فرنكفورت ليمارس المحاماه . ولكنه انصرف عنها وترك المكتب لأبيه يدبر أموره له ، واهتم هو بالأدب . وما أن نشر مسرحية (( جوتس فون برليشينجن )) حتى أصبح اسمه على كل لسان وجاءت روايته ((آلام فرتر)) بعد ذلك فدعمت شهرته . وشهدت هذه الفترة حبا جديدا هو حبه لشارلوته بوف التى كانت مخطوبة لآخر ، فاضطر جوته الى الانصراف عنها ، ثم أحب غادة جميلة هى ماكسميليانه لاروش كانت هى أيضا مخطوبة لآخر ، فانصرف عنها هى أيضا كسير الفؤاد . وتتتابع غرامياته الواحدة بعد الأخرى، فاذا هو فى عام ١٧٧٥ يحب ليلى شونيمن ويوشك أن يتزوجها ، ثم ينصرف هو عنها لخوفه من أن يربط نفسه برباط معرقل فى وقت كانت العبقرية تتفجر فيه فى داخله عنيفة جارفة .

والتقى جوته بالأمير كارل أوجوست صاحب امارة فايمار الذى دعاه اليه . وقبل جوته الدعوة وذهب الى فايمار ، وما لبث أن أصبح وزيرا يصرف الكثير من شئون فايمار المالية والاقتصادية والثقافية . وشجع الفنون والآداب والعلوم وقدم للفنانين والأدباء والعلماء كل ما استطاع أن يقدمه اليهم من عون . وتحرك قلبه بحب جديد كبير هو حبه للسيدة شارلوته فون شتاين التى كانت زوجة وأما لعدد من الأولاد . وأيا كان حكمنا على هذه العلاقة فليس هناك شك فى أن هذه المرأة كبحت جماحه ، وحولت عبقريته الجارفة الى عبقرية هادئة متزنة ووجهته الى مرحلة الاكتمال الفنى ، مرحلة الكلاسيكية .

وفى عام ١٧٨٦ رحل جوته الى ايطاليا وأقام هناك فى أرض الكلاسيكية حتى ١٧٨٨ ينهل من الفن القديم ويتعلم على الفطاحل القدامى حتى تمكن من القوالب الكلاسيكية أتم التمكن .. فلما عاد الى فايمار تفرغ للشئون الثقافية والفنية والعلمية واهتم خاصة بعدد من الموضوعات العلمية الفلسفية وابتعد عن حياة البلاط وابتعد عن الأصدقاء القدامى وعاش وحده مع بنت بسيطة هى كرستيانه فولبيوس تزوجها فى عام ١٨٠٦ بعد أن وهبته ابنه أوجوست ، الابن الوحيد ، الذى لم يكن له شأن ..

ومن أهم ما حدث فى هذه الفترة ارتباط جوته وشيللر برباط صداقة وثيقة دفعت كليهما الى الكتابة الرائعة ، فجدد جوته ماسبق أن كتبه من «فاوست» ، وعكف على اكمال هذه المسرحية الخالدة التى لم يفرغ منها الا قبل مماته بقليل . وكان لوفاة شيللر فى عام ١٨٠٥ أثر كبير على جوته ، فقد حزن على الصديق العزيز ـ أو على نصف كيانه ـ حزنا شديدا ، ثم ظن أن الموت قد اقترب منه وأن الأحرى به أن يودع الحياة تدريجيا . وكان العصر قد اكتسى بغشاء قاتم من الأحداث الجسيمة التى قلبت الأحوال فى بلاد أوروبية كثيرة لا فى ألمانيا وحدها : ثورة فرنسا وحروب نابليون وتوسعاته ثم حروب التحرير

المناهضة للسيطرة النابليونية . ولكن جوته كان دائما يجد الوسيلة الى العمل الخلاق . وفى عام ١٨١٤ قرأ ترجمة ديوان حافظ الشيرازى فملكت عليه نفسه وبدأ يتوسع فى دراسة الثقافة الاسلامية عربية وفارسية وتركية حتى انطلق يكتب على الطريقة الشرقية مجموعة من القصائد تكون منها « الديوان الغربى للمؤلف الشرقى » فى وقت كان قلبه فيه يهيم بحب غادة جذابة خلابة الشخصية هى ماريانه يونج .

وظل جوته يكتب للانسانية كلها ويغوص بأفكاره الى صميم أعماقها حتى مات فى ٢٢ مارس عام ١٨٣٢ م.

وأعمال جوته مكتبة كبيرة نذكر منها :

● **من القصص :**

- آلام فرتر
- سنوات تعلم فيلهلم مايستر
- التبادلات المزدوجة
- سنوات تجوال فيلهلم مايستر

● **من المسرحيات :**

- نزوة العاشق
- الشركاء
- جوتس فون برليشينجن
- كلافيجو
- ستيلا
- افيجينيه

- اجمونت
- تاسو
- فاوست

وله ملاحم وقصص قصيرة وقصائد غنائية وقصائد قصصيه وحكمية ودراسات نقدية وأدبية وعلمية وفلسفية كثيرة ، وقد خلف كذلك مجموعة كبيرة من الرسائل والمذكرات عظيمة الأهمية .

## مسرحية جوتس فون برليشينجن

تتسم مسرحية (( جوتس فون برليشينجن ذو اليد الحديدية )) بأهمية بالغة . فهى نقطة تحول فى أدب جوته ، وهى نقطة تحول فى الأدب الالمانى كله . كان جوته فى أعماله المسرحية المبكرة يجرب طريق الأدب الفرنسى ويحاول أن يقلد كبار الأدباء الفرنسيين والكلاسيكيين منهم خاصة ، لأنه عاش فى لايبتسج ، (( باريس المانيا )) ، التى كان الأستاذ جوتشيد بها يوجه الجمهور وجهة فرنسية خالصة . فلما مرض جوته وترك لايبتسج عائدا الى فرنكفورت ضعف هذا التيار فى نفسه الخلافة ،وأتت قراءاته فى فرنكفورت واهتماماته بشيكسبير خاصة فزادت التيار ضعفا ، حتى اذا سافر الى شتراسبورج والتقى بالأديب الفذ هردر وتاثر به انتحى منحى فيه العمق وفيه الجد ، وفيه التجديد وفيه الاصالة . بدأ جوته يفكر فى الأدب الألمانى القومى ، ويفكر فى الأدب الأصيل ، ويفكر فى الشعراء الذين صدقوا مع أنفسهم، فانتجوا الأدب الصحيح ، الطبيعى ، البدائى ، العبقرى - مثل هومبرو أوسيان وشيكسبير .

ولابد لنا لكى نفهم هذا التحول أن نتعرض لأدب ذلك العصر لنتعرف على خصائصه . يطلق على الفترة من عام ١٧٦٧ الى عام ١٧٨٥ اسم (( عصر العبقرية )) أو عصر (( العاصفة والاندفاع )) أما عام ١٧٦٧ فهو العام الذى ظهر فيه كتاب هردر المسمى (( المقتطفات ))

اما عام ١٧٨٥ فهـو عام بداية تحول جوته وشيللر الى الكلاسـيكية وهناك من النقاد من يضعون تواريخ أخـرى مثـل فرديناند يوزف شنايدر الذى يبدأ بعام ١٧٥٠ وينتهى بعام ١٨٠٠ ، آخذا فى الاعتبار جذور العصر من ناحية ، ومن ناحية ثانية بقاياه الحية . هذا العصر، على أية حال ، هو عصر الثورة على حركة التنوير وعلى مبادئهـا وأهمها الاعتماد على العقل والمنطق فى كل شىء والانصراف التام عن المشاعر والأحاسيس والعواطف ، اللهم الا اذا كانت مربوطة برباط العقل والمنطق . أما عصر العبقرية فيقوم على الانسان العبقرى ، وهو الانسان الذى يستطيع أن يعبر عما لا يخرج به التعبير العادى، انه نور العالم ، انه القدرة الاولى ، المبتكر انه الانسان الأصيل . ويقوم عصر العبقرية أو « العاصفة » على مفهوم المجتمع الطبيعى ، والانسان الطبيعى ، أو المجتمع الفطرى والانسان المطبوع . القلب الاحساس الحدس الفطرة : تلك هى الأسس التى وضعها هذا العصر مكان العقل والعلم والمنطق . ومن شأن هذه الاسس أن تؤدى الى الطبيعة التى أضفيت عليها سمة الالوهية، وكان عصر التنوير قد قضى على الطبيعة بتحويلها الى مادة من شأن العلم ، فأصبحت الطبيعة كمـا هى على حالتها هى الأمل وهى المثل . والانسان الطبيعى ، الذى يعيش على الفطرة ، ويتبع السليقة انسان أرقى فى نظر هذا العصر من الانسان الحضرى . وقد أدى هذا فى ميدان الفن الى تقـدير فئات بعينها والتعاطف معها على اسـاس هـذه النظرة الى الفطرة والسليقة ، منها مثلا : الأطفال الأبرياء ، النساء السـاذجات ، القرويين ، صغار الصناع وأصحاب الحرف ، القدماء فى كل الدنيا، قدماء الاغريق وقدماء الجرمان .. الخ . وأدى هـذا أيضـا الى تعظيم ما يدركه الانسان بحواسه وخاصة المرئيات والمسموعات ، والى تقدير العنصر الفردى ، وتمجيد الفردية . وتغيرت النظرة الى التـاريخ فاصـبح المطلوب هـو تتبع الأصالة والتماس ما كان على الفطرة والسليقة . وتغيرت النظرة الى الفنان فأصبح هو العبقـرى المحظوظ الذى يهبط عليه الفن كالوحى ، بل العبقرى الذى ينافس

الآلهة فى انتاج الأصالة ، وأصبح كل ما يطرأ على الفنان من خبرة فن . واكتشف هذا العصر أصوله فمجد أصحاب الأدب الطبيعى من أمثال هومير وشيكسبير . وتأكد الشعور القومى ، بتأكد القسوة الفردية . وتوقفت عملية التقليد ، وحلت محلها عمليه الاستلهام والاستفادة .

وليست أصول هذا العصر ألمانية صرفة ، بل أكثرها أصول فرنسية وانجليزية . من الاصول الفرنسية نذكر بصفة خاصة أعمال جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨) «العقد الاجتماعى» عام ١٧٦٢ ، «اميل أو التربية» ١٧٦٢ ، «الوزيرة الجديدة أو رسائل حبيبين» ١٧٦١ ومن الاصول الانجليزية نذكر ادوارد يانج ( ١٦٨١ — ١٧٦٥ ) «آراء فى التأليف الاصيل» ١٧٥٩ وروبرت وود فى مقال «فى العبقرى الأصيل وفى كتاب هومير» ١٧٦٩ ، وجيمس مكفرسن ( ١٧٣٦ — ١٧٩٦) فى «مقتطفات من الشعر القديم» (١٧٦٠ — ١٧٦٣) وتوماس برسى فى «تراث الشعر الانجليزى القديم» (١٧٦٥) .. أما الأصول الألمانية فنذكر منها «الحركة التقوية» ومادعت اليه من تغليب المشاعر على المدركات العقلية ، ونذكر منها كذلك أعمال الأديب الألمانى «كلوبستوك» صاحب ملحمة المسيح . وأكبر داعية لهذا العصر هو هردر الذى دون الخطوط العامة فى «المقتطفات» ، والذى أتاح له الحظ السعيد فرصة لقاء جوته فى شتراسبورج فى الوقت المناسب ، فبث فيه مبادئه ، فكانت كالبذرة الطيبة التى وجدت الارض الطيبة فأتت أعظم ثمرة . وتعتبر مسرحية «جوتس فون برليشينجن» لجوته أعظم مسرحية تمثل هذا الاتجاه ، ولاتقاربها فى ذلك من الاعمال التى اشتهرت وبقيت الا مسرحية «دسيسه وحب» لشيللر .

قلنا ان جيل العبقرية ، جيل العاصفة والاندفاع ، اهتم بشيكسبير ، وكان لرائد العصر هردر فضل كبير فى هذا الاهتمام . وليس معنى هذا أن شيكسبير كان مجهولا الى ذلك الحين . لا ، فقد عرفت ألمانيا أعمال شيكسبير منذ وقت مبكر جدا على يد

مجموعة الممثلين المعروفة باسم ((الكوميديين الانجليز)) ، الذين تجولوا في المانيا في أواخر القرن السادس عشر ، ثم استقروا فيها ، وكانوا يعرضون بمصاحبة الموسيقى صيغا محرفة نثرية مضحكة لمسرحيات شيكسبير ومارلو وغيرهما . ولكن معرفة ألمانيا بشيكسبير مرت بأدوار جديدة مختلفة في المعنى والمبنى ، يكون هردر حلقة فيها . وكانت فرقة ((الكوميديين الانجليز)) وهي تقدم شيكسبير ، تضطر بسبب صعوبة اللغة ، الى التاكيد على التأثير البصري ، فتهتم خاصة بالملابس وبالحركات وبالتعبيرات الوجهية ، وتبالغ في مناظر القتل وفي الضرب وفي احداث الضوضاء . بل انها كانت تستعين ببهلوانات وبراقصين وبمغنين ، لزيادة المتعة . ولما بدأت حركة جوتشيد الاصلاحية في المسرح كانت حركة فرنسية لحما ودما ، وكان من الطبيعي أنها لم تهتم بشيكسبير الا بقصد بيان الاخطاء الفاحشة التي تقوم عليها أعماله ، والحث على عدم التورط فيها ! ولكن الفن المسرحي الألماني مالبث أن عرف شيكسبير في ترجمات متتالية متزايدة الدقة ، ومالبث أن عرف لشيكسبير قدره واعترف به عميدا لنوع من المسرح هو الأنسب والأقرب الى الروح الألمانية . حتى جاء هردر بمفهوم الشاعر الاصيل والشاعر الطبيعي الفطري والشاعر العبقري ، وألقى ضوءا من زاوية أخرى على شيكسبير . حقيقة أن هردر لم يفهم شيكسبير الفهم الصحيح ، ولكنه رفعه مكانا عليا ، وكان على أية حال متيما به ، وكان غارقا في أفكاره العنيفة الجديدة ، وماكان يمكنه أن يرى شيكسبير الا من خلالها . ولهردر مقال بعنوان ((شيكسبير)) دون فيه خلاصة رأيه في شيكسبير . انه يعلق ، فيما يشبه التمهيد على المسرحية الفرنسية والمسرحية الاغريقية القديمة والمسرحية الشيكسبيرية ، فيبين خطأ الفرنسيين في ذهابهم الى قاعدة الوحدات الثلاث وتمسكهم بها تمسكا متعنتا (وحدة الحدث والمكان والزمن) ولكنه لايسلك مسلك لسينج في مقارنة شيكسبير بالاغريق القدامى مقاربا بينه وبينهم ، ومباعدا بين هؤلاء جميعا والفرنسيين . ان شيكسبير في نظر هردر ((قوة الهية)) تجسمت

فى شكل شاعر عبقرى لايتبع تراثا سابقا بل يبدع ويستخرج من ذات نفسه ، من الطبيعة ، ((فلم يكن شيكسبير الا خادما للطبيعة لاينفك عن خدمتها)) . ان شيكسبير فى رأيه هو ((بللورة الشعر الشعبى الخالص)) وأعماله تقوم على وحدة قوامها ((التأثير الروحى)) ، وعلى ((الاحساس العام)) وعلى تجميع شتات أحداث الدنيا حول محور هو «نصيب الانسان وحظه» . وينتهى مقال هردر بتمجيد انصراف شيكسبير عن وحدة الزمان والمكان ، والتنبيه الى ضرورة وضع شيكسبير فى عصره وبيئته لفهمه حق الفهم .

هذه الشحنة القوية من الافكار الجديدة ومن المبادىء الاستطيقية الجديدة ، التى تلقاها جوته فى شتراسبورج على يد هردر ، انطلقت الى آفاق التصميم أولا والابداع بعد ذلك . فى ١٤ أكتوبر عام ١٧٧١ ألقى جوته فى بيت أسرته محاضرة عن شيكسبير ، فى حفل دعا اليه عددا من الاصدقاء ، وكان المفروض أن يحضره هردر أو أن يرسل على الأقل محاضرة عن شيكسبير تتلى فيه باسمه . ولكن هردر لم يحضر ولم يرسل كلمة . وكان أن ألقى جوته نفسه محاضرة من تأليفه ، ضمنها الدرس الذى استفاده من شيكسبير على يد هردر : اعمال شيكسبير تعبير عن الطبيعة الخالصة . ولكنه يضيف الى هذا العنصر عنصرا آخر هو عنصر التعظيم والتضخيم : ((انه (شيكسبير) ينافس بروميتويس ويقلده فى تشكيل أشخاصه سمة سمة، ولكن فى عظمة هائلة)) . ـ ثم جاء الابداع . تحكى والدة جوته عن بداية العمل فى المسرحية التى رفعت ابنها دفعة واحدة الى أعلى قمم الشهرة ((جوتس فون برليشينجن)) متسلقا خبرته الشيكسبيرية ، تقول : ((ذات مساء عاد فولفجنج الى البيت منفعلا كل الانفعال ـ وقال لى لقد وجدت ياأمى ، كتابا فى المكتبة ، كتابا عجيبا ـ سأصنع منه مسرحية . وسوف تبرق أعين الناس عندما أعرض أمامهم شخصية الفارس ذى اليد الحديدية . انها شىء عظيم : هذه اليد الحديدية)) . هذا الكتاب الذى يقصده هو قصة حياة فارس المانى شهير كانت له فى القرن السادس

عشر صولات وجولات ، وكتب بنفسه سيرته ، وقصة أعماله ، ووجد جوته فيها ضالته . وجد فيها مادة تطابق متطلبات المذهب الجديد مذهب العبقرية ، مذهب العاصفة : الطبيعة ، الفطرة ، القومية ، الفردية ، القلب ، الشعور ، الاحساس ، الأصالة ، الحرية .

## أحداث المسرحية :

تدور أحداث مسرحية «جوتس فون برليشينجن ذو اليد الحديدية» فى مطلع القرن السادس عشر ، فى مدة طويلة تزيد بكثير على اليوم المحدد فى القاعدة الكلاسيكية المعروفة فى المدرسة الكلاسيكية الفرنسية ، وتدور فى أماكن متعددة بمنطقة فرنكن وبايرن وفيتمبرج ، تارة فى أماكن مغلقة ، وتارة فى الهواء الطلق ، ويتغير المنظر أكثر من خمسين مرة طوال الفصول الخمسة التى تنقسم اليهم المسرحية .

جوتس فون برليشينجن ، الفارس العظيم الذى فقد يده فى معركة من معاركه من أجل نصرة المظلومين واغاثة المنكوبين ، واسترداد حق الضعفاء من المستبدين ، والذى استعاض عنها بيد من الحديد المسبوك ، ثبتها على نحو ما فى ساعده ، لايكف عن متابعة بطولاته والتمسك بمبادئه ، مما أدخله فى معركة مع مطران بامبرج وأميرها . كان جوتس قد اتفق مع المطران على تسوية مابينهما من أمور ، ولكن المطران سمح لرجاله أو كلفهم بالاعتداء على واحد من رجال جوتس . فما كان من جوتس الا أن أعد العدة وتمكن من القبض على فارس من رجال المطران المقربين هو أديلبرت فون فايزلينجن ، وأخذه الى قلعته «ياكستهاوزن» . ولكن جوتس لايعامل أديلبرت فون فايزلينجن معاملة الأسير ، فهو صديقه القديم ، الذى كان فيما مضى فارسا حرا ، ثم غرته الدنيا والحياة الناعمة فى بلاط الامراء ، فانصرف عن الحرية والفرسانية .. لا ان جوتس يريد أن يتيح لصديقه القديم الفرصة ليراجع نفسه ، وليقرر من جديد الرجوع الى جادة الصواب . وبالفعل يتغير موقف فايزلينجن ، ويتحول الى التعلق بجوتس بل ويهيم بأخت

جوتس البنت الطيبة ماريا ، ويقرر الارتباط بها برباط الخطوبة ، على أن يتم الزواج بعد الاعداد له ، أى بعد أن يغادر بلاط بامبرج ، ويعود الى أملاكه الخاصة التى كان قد أهملها . فى هذه الأثناء يكتشف المطران البامبرجى ما حدث لفارسه فايزلينجن ويأسف أشد الاسف ، فقد كان له الساعد الأيمن ، وللبلاط القلب النابض . ويأتى غلام فايزلينجن من بامبرج الى سيده فى ياكستهاوزن ، وينقل اليه أخبار البلاط وكيف حزن الناس لبعده ، ويقص عليه قصة الملاك الشيطان الحسناء «آدلهايد فون فالدورف» وكيف أتت الى بامبرج وحلا لها المقام قرب المطران ، انها أرملة جميلة جمالا خارقا ، مثيرة الى أقصى حد ، خبيثة ، شريرة لاتتورع عن عمل فى سبيل الوصول الى مآربها ، وأوضح مآربهـــا فى ذلك الوقت استعادة ضياع لها جار عليها بعض الجيران .

وقد سمعت عند وصولها الى البلاط بفايزلينجن وميزاته وبطولاته وجاذبيته فقررت بينها وبين نفسها أن تلقى عليه شباكها وتستغله فى الوصول الى مآربها . وقد رآها فرنتس ، غلام فايزلينجن ، فملكت عليه فؤاده ، وأصبح لايتصور البعد عنها . ولكنه لايبوح بهذا وهـو يتحدث الى سيده ، بل يفعل كل ما فى امكانه ليحمل سيده على العودة الى بلاط بامبرج وعدم الارتباط بجوتس وأخته . ويذهب فايزلينجن الى بامبرج ليسلم الى المطران هناك ماكان فى عهدته من أوراق ، وليعلن عزمه على العودة الى ضياعه والحياة فيها حياة مستقلة لايعـــرف له سيدا الا القيصر وحده . وما ان يلتقى بآدلهايد هناك حتى تضطرب أفكاره أشد الاضطراب ، ويقرر البقاء .

وينتظر جوتس عودة الصديق فايزلينجن ، اليوم بعـد اليوم ، فلايأتى ، فيرسل الى بامبرج ، خلسة ، غلامه وصفيه وحبيبه الصغير جيورج الذى خرج الى الدنيا ليكون شجاعا صادقا مخلصا ، يرسله ليكشف ماخفى من الأمر . ويعود جيورج بالخبر اليقين .

لقد خان فايزلينجن العهد ، وحنث ونكث ، ولقد رآه بعينى

رأسه غارقا فى وحل رذيلته .. فايزلينجن تزوج بآدلهايد ، وترك ماريا .. فايزلينجن انضم الى المطران ، ووقف ضـــد جوتس . أما ماريا فيخطبها الآن صديق لجوتس ، فارس كريم مخلص هو فرانتس فون زيكينجن ، ليخفف عنها المحنة التى انتهت اليهـا ، من جـراء تنكر فايزلينجن لقلبها ، وليعوضها خيرا .

واما جوتس فقد عظمت المؤامرات ضده واشـــتدت ووصلت الى مسامع القيصر . ولم يكن جوتس يأخذ نفسه بالحيطة ، بل اســتمر فى السير على الخط الذى رسمه لنفسه . مايجىء اليه من مظلوم حتى يخرج بخيله ورجاله ليسترد الحق ويعيده الى نصابه . وكانت طريقة جوتس فى ذلك هى أن يخطف التجار أو الاعيان من المدينة التى تكون قد سمحت لبعض من فيها بالظلم ، ثم لايعيد أسراه الا بعد أن يرفع الظلم عن المظلوم ، ويعوض عنهالتعويض المناسب . وكان الدور فى تلك المرة على تجار مدينة نورنبرج ، فشكوا الى القيصر ، وسعى المطـــران البامبرجى ورجاله بالوشاية ليتخذ القيصر قرارا حاسما بسجن جوتس أو قتله ، ولكن القيصر كان فى حرب مع الأتراك ، وكان يوفر جـوتس وأمثاله من الابطال المغاوير ليوم يحتاج اليهم . ولهذا لم يشأ أن يدين جوتس ، وان أمر بأن تخرج اليه قوات الرايخ، وتأتى به حيا لمقاضاته وأخذ تعهد عليه . ولكن جوتس لايعترف بشرعية الأمر الصادر ضده ، لأنه يقوم على الكذب والنفاق والوشاية ، ويقرر الوقوف فى وجــه القوات المهاجمة . وتدور معارك عنيفة ، يقف فيها الى جانب جــوتس الصبى المقدام جيورج والبطل المغوار ليرسه ، الذى انضم الى جوتس اعترافا منه لجوتس بالعظمة ، وايمانا منه بالفرسانية وبحق الانسان فى الدفاع عن نفسه وعن المظلومين بيده . وتتطور المعركة بين جوتس وقوات الرايخ الى حصار ياكستهاوزن . جوتس ورجاله فى الداخل لايلينون، وقوات الرايخ فى الخارج لاتتراجع . وأخـيرا تعلن قـوات الرايخ أنهـا تسـمح لجوتس ورجاله بالانسحاب من القلعة فى حـرية . ولكن مايكاد جوتس ومن معه يخرجون حتى يهجم عليهم فرســـان القيصر

ويأسرونهم . ويساق جوتس الى هايلبرون ليمثل أمام المحكمة المنعقدة لتاخذ منه تعهدا بالا يعود الى استعمال قوته الشخصية في احقاق الحق، وأن يوكل أمر ذلك الى نظام المحاكم الجديد الذى استحدث فى الرايخ. ويحدث خلاف شديد بين جوتس ومستشارى المحكمة على نص الوثيقة والعهد ، ويرفض الاعتراف بانه كان على خطأ ، وتأمر المحكمة جماعة من الأشرار الأقوياء ، كانت قد جمعتهم لحفظ النظام أثناء الجلسة بالتدخل ضد جوتس . وتقوم معركة حامية بين جوتس والرجال المأجورين ويأتى فرانتس فون زيكينجن بقواته الى هايلبرون فى الوقت المناسب ويحرر جوتس . ويعود جوتس وأهله الى قلعته فى ياكستهاوزن ويلزمها، ويفكر فى ترك نشاطه الفرسانى وفى الانصراف عن رد الحق الى أصحابه بقوة اليد . وتدفعه زوجته الى تسجيل ذكرياته وقصة حياته ، ولكن هذا العمل لايروق له . وتشاء المصادفات أن تقوم فى البلاد ثورة عارمة، هى ثورة الفلاحين . فقد خرج الفلاحون فجأة يطالبون بالحرية ويطالبون بحقوق لهم ، ويطالبون بوقف أعمال التعسف والاستبداد ضدهم . واتخذت ثورة الفلاحين هيئة بشعة هى الابادة التامة لكل ما يقع تحت أيديها . كانت تلك الثورة تحرق وتنسف وتقتل وتنكل وتعذب .وأحس القائمون بالثورة بأنهم انحرفوا عن طريق الصواب ، وأنهم بحاجة الى شخصية قوية تقود الرجال الثائرين ، وتوقفهم عند حدهم . ويتجهون الى جوتس ، ويحملونه على الموافقة ، فيوافق مشترطا أن يكف الثوار عن العنف .ولكن الثوار يشعلون النار فى ملتنبرج ، ويرسل اليهم جوتس غلامه جيورج منذرا . ووسط هذا الخلاف بين جوتس والثوار ، يأتى فرسان فايزلينجن ساعد مطران بامبرج الأيمن ، ويهاجمون الثوار ويغلبونهم ، ويموت جيورج ، ويجرح جوتس ويقع فى الأسر ، ويؤخذ الى زنزانة انتظارا لحكم قاس ، هو الاعدام بلاشك . وهكذا تتضح خيانة فايزلينجن لصديقه القديم ، وهكذا تكتمل أبشع اكتمال . ولكن فايزلينجن لايسلم من عقاب من صنف عمله.فهذه زوجته آدلهايد تستمر فى الطريق الذى رسمته لنفسها . لقد ارتقت على فايزلينجن درجة ، ونالت بيده مأربها . وأمامها الآن رجل آخر أفضل منه هو القيصر

الجديد كارل . فهى تصمم على القضاء على زوجها والقاء الشباك على صيدها الجديد . وتستعمل فى تنفيذ المؤامرة غلام فايزلينجن وصفيه فرانتس الذى تقضى على صوابه بالسماح له بالتودد اليها وتقبيلها ومعانقتها . أغوت الشاب المسكين بقوتها الشيطانيه ، فرضى بأن يحمل السم ويدسه لسيده وولى نعمته . ويتجرع فايزلينجن السم فى كأس الخيانة ، ويحس بالضعف يسرى فى بدنه قليلا قليلا . وتأتى اليه ماريا أخت جوتس تتوسل اليه أن ينقذ أخاها من الموت ، وأن يأمر به أن يخرج من الزنزانة ، فقد نصبه القيصر مفوضا يقضى فى هذا الأمر بما يستصوب . ويقبل فايزلينجن وساطتها . وتبقى ماريا مع فايزلينجن تواسيه ، بعد أن تنكر له من خان الأمانة من أجلهم ، لقد تحرك قلبها له يوما بالحب وأخلص له ، وقلبها اذا تحرك بالحب بقى عليه ، ولقد عاهده قلبها يوما على الاخلاص وقلبها اذا عاهد على الاخلاص التزمه . وهكذا تدفن أحزانها ، وتنسى ماعانته ، وتظل معه الى أن تفيض روحه، وتعيش اللحظة التى يكتشف غلامه فرانتس فيها سوء فعلته ، فيلقى بنفسه من النافذة حاكما على نفسه بالموت .

أما آدلهايد فتموت على يد المحكمة السرية ، تلك المحكمة الغريبة التى تجتمع فى السر ، وتحكم على المذنبين الحكم العادل وتنفذه فيهم ، دون أن يكون اعلان أو اعلام . اجتمعت هـــذه المحكمة السرية كعادتها وادانت آدلهايد بتهمة الخيانة والقتل والتمرغ فى الوحل ، ونفذت حكمها. وتنتهى المسرحية بموت جوتس ميتة دونها ميتة الأولياء الصالحين ، ميتة تتحول الى رمز وتسمو الى قمة الصوفية . لقد تمكن منه الاشرار أكثر من مرة فنسفوا يده مرة ، ومرة جرحوه ، وحطموه بالخيانة ، وسلبوه أعز شيء : الحرية.ومادامت الحرية قد ضاعت فلابد قد يموت. ويموت جوتس فى يوم جميل من أيام الربيع فى قلب الطبيعة بين زوجته الوفية اليزابث وصديقه الوفى ليرسه . وآخـــر مايحس به : روائح الجنة . وآخر ماينطق به : الحرية ! الحرية !

## مصدر المسرحية :

سقنا شيئا من حديث والدة جوته عن الكتاب الذى وجده ابنها الأديب فى المكتبة وقرر أن يحول مادته الى مسرحية . هذا الكتاب هو على وجه التحديد «سيرة السيد جوتس فون برليشينجن» الذى أصدره فى عام ١٧٣١ بمدينة نورنبرج فرانك فون شتايجرفالد ، الذى يحتوى على حياة رجل فارس حقيقى ولد عام ١٤٨٠ فى ياكستهاوزن من أعمال منطقة فرتمبرج ، وتوفى فى عام ١٥٦٢ . وكانت له حياة مليئة بالمغامرات وينبغى أن نرجع الى الوراء ونسترجع صورة المجتمع فى أوج العصر الوسيط وأن ننظر بصفة خاصة الى ميزان القوى فى المجتمع . كان المجتمع فى العصر الوسيط يقوم أساسا على طبقة الفرسان ، طبقة قوية ، اقطاعية ، حرة ، لها مثلها العليا وأهمها مساعدة الضعيف والمظلوم ، واحقاق الحق ، وابطال الباطل ، لها نشاطها الذى يتمثل فى السيف والرمح وصهوة الخيل ، ولها اعتدادها بذاتها وباستقلالها وبحريتها . كانت هذه الطبقة هى التى تفصل فى المنازعات بين الناس وكانت هى التى تصفى منازعاتها الخاصة على أساس القوة . كانت تتبع مبدأ نيل الحق باليد . ثم جاءت الحروب الصليبية ، وجاء تغير ميزان القوى فى المجتمع ، وظهور طبقة قوية منافسة هى طبقة البورجوازيين من أصحاب الحرف والتجارة. وتحول الفرسان الى مجموعتين : مجموعة صغيرة تستأنف تراث الفرسانية القديم ، ومجموعة كبيرة تحولت الى فرسان النهب والسلب ، الى قطاع طرق . وبين هذا وذاك ساد الاضطراب الديار الألمانية لكثرة المعارك وتعددت حوادث السلب والنهب والخطف والقتل والحرق ، ولم يعد التجار واصحاب الحرف والفلاحون ومن اليهم من المواطنين المدنيين يامنون على انفسهم ، حتى كان عام ١٤٩٥ فاعلن القيصر ماكسميليان «مرسوم السلام الدائم» فى فورمس وأنهى به شرعية اعتماد الناس على القوة الفردية ، وعلى نيل العدالة بهذه القوة الفردية ، واستتبع هذا المرسوم تدعيم نظام التقاضى القائم على أساس القانون الرومانى . ولكن جوتس ظل متمسكا بامتيازاته

القديمة ، متمسكا بحريته في الحركة ، وباستقلاله الذى لاينتقص منه تبعيته للقيصر وحده . كان جوتس يؤمن بالحرية ولا يفرط فيها مهما كان الثمن . والحرية التى يتحدث عنها حرية من نوع آخر غير الذى نفهمه نحن اليوم ، فلايخفى علينا أن الحركات التحررية الكبرى لم تكن قد قامت بعد ، انها حرية في حدود الاقطاع ، حرية من أجل السادة خاصة ، يستخدمونها من أجل المظلومين من الناس كافة ، حرية من أجل الفرسان ، يستخدمونها في فرهم وكرهم لتثبيت أركان العدالة . وقد فقد يده في معركة عند لاندسهوت فاتخذ قبضة فولاذية ، واستمر في طريقه الفرساني . وقد سجن لمدة عامين في أوجسبورج على أثر اخماد ثورة الفلاحين التى كان على رأسها ، ولم يفرج عنه الا بعد أن قدم دية ودفع كفالة هائلة ووعد بان يلزم قصره ولايفارقه . وقد عرف له القيصر كارل الخامس ميزاته العسكرية واستخدمه في حروبه . فاستخدمه أولا فى حربه ضد الترك ( استولى الترك على بلجراد عام ١٥٢١ وحاصروا فيينا أول مرة عام ١٥٢٩) ، ثم استخدمه في حربه ضد فرانسوا الأول فى فرنسا ، فاشترك في حصار سان ديزييه وفى معركتى ايبونى وشاتو تيرى . ومات جوتس بعد أن دون قصة حياته .

كذلك استفاد جوته الكثير من كتب للمؤرخ يوستوس موزر (١٧٢٠- ١٧٩٤) منها : ((تاريخ اوسنابروكى)) و ((دراسة في العدالة القائمة على قوة اليد)) مدح فيه تلك العصور القديمة من تاريخ ألمانيا ، التى كانت العدالة تقوم فيها على قوة اليد ، وعلى الكفاءة الجسمانية الرادعة ، وقدح العصور الحديثة التى أصبح التقاضى فيها موكولا الى رجال خاملين ، لايعرفون من أمور الدنيا الا القاء العبارات الجوفاء والتشدق بالنصوص القانونية والشروح والتعديلات . وقد ظهرت هذه الاستفادة في أكثر من موضع بالمسرحية . فهناك المشهد الذى يتحدث فيه الدكتور أوليباريوس عن القانون الرومانى وعن مدونة يوستينيانوس ، ويتحدث فيها عن نظام المحاكم الجديد الذى أخذ به القيصر وأعد العدة لتدعيمه بكفاءات تدرس فى جامعات شهيرة مثل جامعة بولونيا . كذلك هناك

المشهد الذى يتحدث فيه نفر من الفلاحين عن نزاع قام بينهم ورفعوه الى المحكمة وتعرضوا للنهب من حماة العدل أنفسهم ، فقد اعتاد القضاة والمستشارون فى ذلك الوقت على قبول الرشوة وعلى الحكم على أساسها . وفى هذا المشهد يتبين الفلاحون أنفسهم أن أفضل شىء هو أن يحلوا مشاكلهم بالطريقة الطبيعية ، اما باللجوء الى فارس من ذوى القوة أو باللجوء الى الطرق البسيطة الموروثة مثل تزويج ابن الشاكى من ابنة المشكو منه .

## جوته فى أعقاب شيكسبير :

كان جوته يفكر فى تأليف مسرحية تدور حول ((يوليوس قيصر)) يتبع فيها طريقة شيكسبير فى مسرحيته التى تحمل الاسم نفسه ، ولكنه سرعان مانبذ هذه الفكرة وقرر أن يكتب عن رجل من قومه ، يشبه فى العظمة الرجال الذين عرضهم شيكسبير فى مسرحياته . وظل وهو يكتب عن جوتس ، مخلصا لشيكسبير ، متبعا طريقته . أول مايلفت النظر فى هذا الاتجاه هو اختيار موضوع تاريخى . وكان جوته يعتقد أن ((مسرح شيكسبير صندوق تحف جميل تتوالى فيه أمام أعيننا أحداث التاريخ)). وكان يرى أن شيكسبير يعالج «الصدام الذى تتعرض له حرية ارادتنا الغريرة فى مواجهة السير الحتمى للدنيا ككل )) .

وسواء صح هذا الرأى أو لم يصح ، فالفصل فيه الى شكسبير، ثم يلفت النظر بعد هذه الناحية العامة ، سمة أخرى اخذها جوته عن شيكسبير وهى عدم الالتفات الى الوحدات الثلاث : ((لم أتردد لحظة فى التملص من المسرح المنتظم ، فقد بدت لى وحدة المكان مخيفة وكأنها السجن ، وبدت لى وحدتا الزمان والحدث كالاغلال التى تقيد خيالنا المنطلق تقييداً كريها .((وهكذا أنشأ جوتس على هذا النمط الشيكسبيرى الحر» كذلك تؤدى بنا دراسة الشخصيات فى جوتس الى تبين خلفية شيكسبيرية وراء عدد منها . شخصية كليوباترا فى ((أنتونى وكليوباترا)) وراء شخصية آدلهايد ، وشخصية الخليع وكلامه الطريف اللاذع وراء

شخصية ليبتراوت . وقد أشرنا فى ملاحظة هامشية الى وجه التشابه بين وصف دخول فايزلينجن على لسان وصيفة آدلهايد ووصف دخـول بولينجبروك على لسان دوق يورك فى مسرحية «ريتشارد الثـانى» . والناحية الاخيرة التى نحب أن نلفت النظر اليها فى التشابه بين شيكسبير وجوته هى اللغة . فقد تأثر جوته على نحو كبير بعدم تردد شيكسبير فى استعمال العبارات الجريئة اذا دعت الحاجة اليها ، وتسمية الشيء باسمه دون اهتمام بموافقة هذا لذوق الطبقة المرفهة أو بجرحه ايـاه، وقد مكنه ذلك من تصوير المشاهد الشعبية بصدق أخاذ . وقد تأثـر جوته كذلك بما يعرض فى لغة شيكسبير من تلاعب بالكلمات . وماعلينا الا أن نقرأ الفصل الذى يتحدث فيه ليبراوت مع أوليياريوس حتى نجد الأمثلة الواضحة على هاتين السمتين . وتأثر جوته بسمة ثالثة من سمات اللغة الشيكسبيرية ، هى الميل الى استعمال الصور ، على سـبيل التشبيه تارة وعلى سبيل التصوير ذاته تارة أخرى . وليس معنى ذلك انه يستعمل التصوير عمدا ليجسم به شيئا معنويا ، ولكن معناه أنه بطبيعته ، بعبقريته لايفكر ولايشعر الا فى شكل صور .

## صياغة «جوتس فون برليشينجن» :

وصلتنا من مسرحية «جوتس فون برليشينجن» صياغات ثلاث . الأولى ترجع الى عام ١٧٧١ والثانية ترجع الى عام ١٧٧٣ والثالثـة ترجع الى عام ١٨٠٤ . وليست هذه هى المسرحية الوحيدة التى يصوغ جوته بنيانهـا أكثر من مرة ، أو يتناولها بالتعـديل ـ فيصلحها أو يفسدها ! ـ الكثير أو القليل ، فقد دأب جوته على هذا خاصة بالنسبة الاعمال التى كان لها فى نفسه صدى قوى وكانت تعبر عن شيء يعتبره من صميم فلسفته . وقد نبه الى هذا الزميل الاديب دكتور عبد الغفـار مكاوى فى مقدمة «تاسو» ص ٢١ و ٢٢ (العدد ٤٠ من «روائع المسرحيات العالمية» ، فبراير ١٩٦٧) . وقبل أن نعالج هذه الصيغ الثلاث بحديث

مفصل ، نعجل فنقول ان الصيغة الثالثة هي الصيغة التى يعتبرها النقاد «نهائية» ، وهي الصيغة التى نقلناها .

فى ١٨ نوفمبر من عام ١٧٧١ كتب جوته الى صديق له فى شتراسبورج هو زالتسمن يقول : « انك تعرفنى حق المعرفة ، ولكنى أراهن على انك لن تستطيع أن تخمن السبب الذى حال بينى وبين الكتابة اليك . انه حب ، حب مفاجىء ، من النوع الذى تعرف أنه يلقى بى الى دائرة ضيقة فالزمها وأنسى الشمس والقمر والنجوم الحبيبة من أجله . وأنت تعلم منذ وقت طويل ، اننى لا أستطيع الا أن أكون هكذا ، اننى أرتمى بكل جوارحى مهما تكلفت . على أن حب هذا المرة لن يؤدى الى عواقب وخيمة . لقد حطت عبقرينى كلها على مشروع ، نسيت معه هوميرو شيكسبير وكل شيء . اننى أمسرح قصة واحد من أكرم الألمان ، اننى انقذ ذكرى رجل شجاع . وما الوقت الكثير الذى ينقضى فى تنفيذ هذا المشروع الا تسلية حقيقية لى ، تسلية أحتاج اليها هنا ، فانه لما يحزننى أن نعيش فى مكان يكون فيه على نشاطنا كله أن ينطوى على نفسه » .

ويحكى جوته فى قصة حياته « شعر وحقيقة » كيف بدأ العمل فى «جوتس فون برليشينجن» فيقول ( الكتاب الثالث عشر ) : « وقد أدى اهتمامى المستمر بأعمال شيكسبير الى توسيع أفق فكرى الى درجة أصبح معها المكان المسرحى الضيق المحدود والزمن المقاس على مدة العرض أمرين لايسمحان بحال من الاحوال بتمثيل شيء قيم . ودفعتنى قصة حياة الرجل الشجاع جوتس فون بوليشيجن التى كتبها بقلمه الى نوع التمثيلية التاريخية ، وتوسع خيالى توسعا جعل قالبى المسرحى يتجاوز كل الحدود المسرحية ويقترب أكثر فأكثر من الأحداث الحية . وكنت كلما تقدمت خطوة فى مشروعى تحدثت عنها الى أختى التى كانت تهتم بهذه الأمور بروحها وفكرها ، وكنت أعود الى هذا الحديث مرارا ، دون أن أبدأ فى العمل على أى نحو كان ، حتى نفد صبرها وأشفقت على فرجتنى ألا أكتفى باذابة نفسى فى كلمات تضيع فى

الهواء ، وأن أسجل على الورق أخيرا مايخطر ببالي . ودفعتني بهذا ذات صباح الى البدء في الكتابة ، دون أن أضع لنفسي من قبل مسودة أو خطة . وكتبت المشاهد الأولى ، وفي المساء طالعتها على كورنيليه ( أخته ) ، فحازت على استحسانها ، ولكنه كان استحسانا مشروطا ، لأنها كانت تشك في انني سأستمر في الكتابة على هذا النحو ، بل انها عبرت لي عن اعتقادها في انني لن أعرف الجلد والمثابرة حتى النهاية . وقد حثني هذا بقدر أكبر فاتصل العمل في اليوم الثاني ، ثم الثالث . وصار أملها يكبر كلما طالعت عليها كل يوم انتاجه ، كذلك زاد كل شيء في نفسي حياة ، شيئا فشيئا ، حتى أصبحت المادة جزءا من ذاتي . وعكفت على العمل بدون انقطاع ، وتابعته دون تقهقر ودون حيد لا الى يمين ولا الى شمال • وبعد ستة اسابيع فرحت برؤية المخطوط كاملا • فاطلعت ميرك ( أحد اصدقائه) عليه ، فتلقاه بالفهم والاستحسان . وأرسلته الى هردر الذى استقبله بقبول غليظ قاس ، ولم يتورع عن كتابة قصائد تهكمية يسخر فيها منه ، ولا يذكرني بالاسم. ولكني لم أستسلم للاضطراب، بل تمثلت الأمر بوضوح أمام عيني : لقد خرج العمل الى الوجود ، والسؤال الآن هو كيف يتم ترتيب عناصره على أفضل وجه . وكان واضحا أمامي أنه ليس فيمن حولي هنا من ينصحني ـ فلما تناولت العمل بعد مرور بعض الوقت ، وتأملته وكأنه ليس عملي ، تبينت في الحال ، أنني في معرض انصراف عن وحدة الزمن والمكان ، أضررت بالوحدة العليا العامة التي كان ينبغي زيادة الاهتمام بها . ولما كنت قد استسلمت ، دون تسويدة أو خطة ، لخيالي وحده ولدافعي الداخلي وحده ، فقد لزمت في الجزء الأول الحد الواجب فجاءت الفصول الأولى متماسكة كما ينبغي . أما الفصول التالية ، وبصفة خاصة قرب النهاية ، فقد استولت علي فيها عاطفة عجيبة • فبينما كنت أحاول وصف آدلهايد على هيئة الحبيبة همت بها ومال قلمي برغمي اليها ، وزاد كلفي بمصيرها • حتى اذا جردت جوتس في الختام من النشاط أعدته الى الاشتراك البائس في حرب الفلاحين ، لم يكن

هناك شيء اكثر طبيعية من أن تقتله امرأة ساحرة خلابة كهذه ، وأن يحاول المؤلف التملص من اغلال الفن ويجرب نفسه فى ميدان جديد . وقد تبينت هذا العيب ، أو هذا السرف ، بعد قليل ، خاصة وأن طبيعة العمل كانت تدفعنى الى الوحدة » .

هذه هى قصة الصياغة الاولى لجوتس . صياغة اضطرب جوته فيها وانحرف عن مشروعه الاول وفكرته الاولى . وكان أن قرر أن يترك هذه الصياغة الاولى كما هى ، ويبدأ من جديد مستعينا بها ، ومهتديا بما بذله من جهد ، وما تورط من عيوب . فى منتصف يوليو من عام ١٧٧٢ يكتب جوته الى هردر رده على نقده ويعده بأن ينقى المخطوط ويسمو به . وكان هردر قد عاب عليه انتاج عمل دون مستوى عبقريته ، وعاب عليه أن شيكسبير قد أتلفه ، يعنى قد دفعه الى مبالغة لم يتورط فيها شيكسبير نفسه ، وعاب عليه أخيرا ان جزءا كبيرا من المسرحية قائم على التفكير وحده . يقول جوته فى خطابه الى هردر :

« اليك كلمة عن برليشينجن . أنا انتقص من قيمته المسرحية أكثر منك . أما حكمك على بأن شيكسبير قد اتلفنى تماما فقد تبينت صحته الكاملة فى الحال . ولابد أن أصهر العمل من جديد وأنقيه من الشوائب . وأطعمه بمادة جديدة أكرم صنفا ، وأعيد صهره . ثم أعرضه عليك . أما قولك بأن كل شيء قائم على التفكير وحده . فقول أثار حزنى » .

ونعود الى رواية جوته نفسه عن الصياغة الثانية :

« وتمثلت فى ذهنى بدلا من سيرة جوتس وبدلا من التراث الالمانى القديم ، تمثلت عملى أنا ، واجتهدت فى أن أمنحه مزيدا من المضمون التاريخى والقومى ، وفى ان أجرده من كل ما كان خرافة أو عاطفة . وقد أدى هذا الى التضحية بأجزاء كاملة ، لأنه تحتم على ميولى كانسان أن تفسح المكان لاقتناعى كفنان . كنت على سبيل المثال قد استحسنت أن أظهر آدلهايد فى مشهد يضم الغجر بليلة بهيمة رهيبة ،

وأن أجعل حضورها بجمالها الفنان يحدث معجزة . فلما فحصت هذا المشهد عن قرب انتهيت الى الاستغناء عنه . كذلك فعلت بالفصل الرابع والخامس مع حكاية الحب بين فرانتس وسيدته فقصرتها ولم أدعها تبرق الا فى أهم لحظاتها . وهكذا لم أمس المخطوط الأول قط بالتعديل - ومازال هذا المخطوط فى حوزتى بحالته الاولى - بل حورت العمل كله ، وقمت بهذا التحوير بهمة كبيرة حتى فرغت من المسرحية المجددة بعد أسابيع قليلة » .

وطبع جوته المسرحية الجديدة فى عام ١٧٧٣ على نفقته بالاشتراك مع صديقه ميرك ، فذاع صيته على الفور وتناولها النقاد بالحديث . ومثلت فى العام التالى ، بالرغم من أن جوته نفسه كان يشك فى أنها تصلح للاخراج ، وكان يعتقد أنها ستظل نصا للقراءة . مثلت فى برلين فى ١٢ ابريل ١٧٧٤ ، وأحدثت دويا ، كذلك مثلت فى هامبورج فى الوقت نفسه ولقيت نفس الترحيب ( فرقة كوخ فى برلين ، وشرود فى هامبورج ) . وقد ساعد على النجاح المسرحى استخدام المخرج الملابس التاريخية ، وهذا شىء لم يكن مألوفا فى المسرح الأوربى ، فقد كان الممثلون يلبسون ثياب عصرهم ، لا ثياب عصر التمثيلية . وقد شهد الأديب الناقد الألمانى لسينج « جوتس » على المسرح فى برلين وكتب الى أخيه كارل يقول ان الفضل الاكبر فى النجاح يرجع الى نماذج الملابس التى رسمها الفنان مايل ، والتى جذبت أهل البلد اليها . ويحكى جوته نفسه فى « شعر وحقيقة » ان أحد الناشرين زاره وعرض عليه أن يكتب « دستة » (!) مسرحيات من هذا النوع ، ووعده بربح جزيل .

أما الصيغة الثالثة فقد صنعها جوته فى عام ١٨٠٤ لتكون المسرحية مناسبة للمسرح ، ميسرة له . كذلك حاول جوته فى عام ١٨٠٩ أن يقسم « جوتس » الى مسرحيتين مسرحية تدور حول جوتس ومسرحية أخرى تدور حول فايزلينجن . ولكن كل هذه المحاولات لم تؤت ثمرة وبقيت الأهمية لصيغة عام ١٧٧٣ بالدرجة الأولى ، وان

كانت الصيغة الاولى (( أورجوتس )) التى عرفهـا النـاس فى الطبعة الكاملة لمؤلفات جوته لأول مرة ، تحظى باهتمام كبير لأنها تمتاز بالقوة والعنف والشباب والتلقائية .

## جوتس فـون برليشينجن فى عصر العبقريـة وبعده :

نجحت مسرحية (( جوتس فون برليشينجن )) فى عصرها كما قلنا نجاحا كبيرا ، ولكن المعاصرين لم يكونوا على رأى واحد فيها • كانوا ينقسمون الى حزبين . حزب يمين ، وحزب يسار ، حزب المعجبين وحزب المستنكرين . كان على رأس حزب المستنكرين ملك بروسـيا (( فريدريش الاكبر )) الذى كان من أشد المعجبين باللغـة الفرنسـية والثقافة الفرنسية والأدب الفرنسى ، وكان يتكلم الفرنسية فى بلاطه ، ويكتب بالفرنسية بل ويقرض الشعر الفرنسى، وكان على صلة صداقة بنفر من الأدباء الفرنسيين البارزين وعلى رأسهم فولتير ، وكان يرى ان اللغة الألمانية لا مجال لها عنده الا عندما يتحدث الى قواد جيشه والى خيوله ! قال هذا الملك المتعصب للفرنسية عن مسرحية جوتس يوم مثلت : « وهـــذه مسرحية جوتس فون برليشـــينجن تظهر على المسرح ، انها تقليد ممجوج للمسرحيات الانجليزية القبيحة (شيكسبير) والجمهـور فى صـالة المسرح يصفق ويطالب بحمـاس اعادة هـــذه السماجات المقرفة ! )) . وكان بين المســتنكرين أديب ألمـانيا الشهير ليسينج الذى رأى فيها عملا مضطربا فجا ، وان لم يخل من شىء من الجمال .. — فى سبتمبر عام ١٧٧٣ نشرت مجلة ((درتويتشه )) بفيمار تقول : (( تلك مسرحية تسىء معالجة الوحدات الثلاث على أبشـــع نحو ، ما هى ملهاة ولا مأساة .. )) .

أما المعجبون فمنهم جماعة متحفظون مثل الأديب الصحفى ماتياس كلاوديوس الذى كتب فى مجلة ((فاندسبيكربوته)) عام ١٧٧٣ يقول : « المؤلف يتقدم فى غير تردد فيهاجم الوحدات المشهورة التى وضـــعها

الجد أرسطو وأحفاده .. على قمة التقديس الفنى ، بل انه يحطم كل القيود وكل القواعد ، كما يحطم فارسه المغوار جوتس فصائل الفرسان المعادية .. والانسان ــ فى حالة المسرحيات من هذا النوع ــ اذ يعجز عن العثور على موضع يقيسه بالمنقلة ، لايرى من مخرج الا أن يقدر كل واحد قيمة العمل على أساس الانطباع الذى تحدثه مثل هذه القطعة فيه . ونحن عن نفسنا نقدر مؤلف هذه الكوميديا ، وننتظر منه أعمالا أعظم.)) ومن المعجبين جماعة متحمسون، هى جماعة حركة العبقرية ، أو حركة العاصفة والاندفاع ، مثل بورجرولنتس وكلينجر ومالر موللر . كتب بورجر الى صديقه يقول : ((ياللعجب ! ياللعجب ! الفارس ذو اليد الحديدية ، ما أعظم السعادة ! اننى لا أتمالك نفسى من شدة الحماس . وكيف أبين للمؤلف اعجابى المذهول ؟ هذا المؤلف يمكننا أن نسميه شيكسبير المانيا ، اذا كان هناك من له أن يتسمى بهذا الاسم . اننى أكاد أتقيأ من القرف ، عندما أسمع من يطلقون على فايس (أديب) هذه الكنية . ما أعظم المانية الموضوع ! ماأعظم جرأة الصياغة ! ان المؤلف ليدوس بحرية ونعال، مثل بطل مسرحيته ، على القواعد البائسة ، وليقدم الينا حدثا كاملا ينبض بالحياة والروح حتى فى أصغر العروق ....))

ولعبت هذه المسرحية دور الرائد فتأكد الاتجاه التحررى فى الكتابة للمسرح ، التحررى من الناحية التكنيكية ، وتأكد الاتجاه الى تقدير التراث الألمانى القومى كمصدر جدير بالاقتباس ، ورسخت أقدام شيكسبير وتتابعت ترجمات مؤلفاته والدراسات المختصة به الساعية الى تصوره على حقيقته ما أمكن ذلك ، وبدأت سلسلة من الروايات الفرسانية ، وحظيت حرب الفلاحين بالاهتمام أكثر من مرة. وفوق هذا وذاك قويت أركان مدرسة العبقرية وتولدت عنها ــ شأن الحركات الفنية الخصبة ــ حركات متجددة ، اما بالتعميق واما بالمعارضة ، منها حركة الرومانتيكية وحركة الكلاسيكية وحركة الطبيعية . أما ان مسرحية جوتس فون برليشينجن قوت حركة العبقرية باعطائها النموذج المطابق للنظرية ، فهذا شىء لايصعب علينا التأكد

منه عندما نعيد قراءة المسرحية على ضوء الخطوط النظرية التى بيناها فى صدر هذه الدراسة . المسرحية تنبض من أولها الى آخرها بالعاطفة الجياشة والحماس الملتهب ولاتعتمد على التعقل وعلى التروى المنطقى المعروف فى المسرحية الكلاسيكية الفرنسية . جـوتس ، فايزلينجن جيورج ، فرانتس ليرسة ، ماريا ، اليزابث ، آدلهايد .. كل أولئك شخصيات تسير بقلوبها ، وتتحمس لما يحرك النفس . مرة تتحمس للصداقة ، ومرة للحب ، ومرة للاخلاص العاطفى لهـذا أو ذاك من الأمور ومرة أخرى للبطولة والفرسانية ، وأعظم حماســـها للحيـاة الفطرية الحرة الطبيعية .. وجوته يصور فى أكثر من موضع نماذج من الانسان الطبيعى الطيب ، انسان العاصفة والاندفاع . فهـذا جيورج الصبى الذى ولد بين أحضان الطبيعة ونشــأ على الفطرة وضده كارل (( ابن جوتس )) الصبى الذى ولد فى القصور ونشأ مدللا متكلفا حتى انه يرفض أكل الفاكهة الا اذا طهيت . وهذا جوتس الذى نشأ على السليقة وعاش فى المجتمع الحر الطبيعى الذى لم يأخـذ من الحضارة المتقدمة تكلفها وما بها من ترف وفساد، وضده فايزلينجن الذى أتلف فطرته بانغماسه فى حياة القصور واصطنع حياة التكلف والتحضر والنعومة . ونحب أن نتوقف بصفة خاصـة أمام نمطين من أنماط الانسان الطبيعى ، يعرضهما جوته ضمن من يعرض وهما أولا الغجر وثانيا قضاة المحكمة السرية .

أما الغجر فقد أعجبوا أدباء العاصفة والاندفاع بما يعيشون فيه من بدائية . والغجر قوم يعيشون بين الامم الاوروبية منذ قرون عديدة حياة خاصة بهم . ويرجح العلماء أنهم نزحوا الى أوروبا فى أواخـر القرن الرابع عشر الميلادى أو أوائل القرن الخـامس عشر ، عابرين آسيا الصغرى ، ويتميزون بأنهم يعيشون متنقلين كالبدو الرحـل . ولا يستقرون فى مكان بعينه ، ويسكنون فى خيام أو فى عربات، ويتبعون نظام القبيلة ذات الشيخ ، وأمر الشيخ مطاع . ويحترف الغجر حرفا بعينها مثل صناعة السلال وعزف الموسيقى والتمثيل البدائى ولعب

البهلوانات والاتجار فى الغيوب ، والتجول على البيوت ببضائع مختلفة، والعرافة . ويشتهرون بين الناس بأنهم متسولون ولصوص ومحتالون، وأنهم مجرمون ، لا يتورعون عن العنف بما فى ذلك القتل كوسيلة لفض المنازعات أو على سبيل الثأر . وقد رسم جوته لهم صورة طريفة ، فأظهرهم مخلصين الى حد الموت فى سبيل الاخلاص . واظهرهم مع ذلك قائمين على التسول والسرقة . وجعلهم بين هذا وذاك يعيشون على الفطرة ، فيأكلون من خشاش الارض ويأكلون مايعن لهم من حيوان أو طير ، وهم يعيشون فى وسط المطر المنهمر ويستعينون على البرد بالنار البدائية .

واما قضاة المحكمة السرية ، فاناس على الفطرة أيضا آلوا على أنفسهم أن يحافظوا على طهر نفوسهم وأن يحققوا الحق ويقيموا العدل بوسائلهم . والمحكمة السرية محكمة قديمة جدا فى ألمانيا ، ويعتقد العلماء انها امتداد لنظام التقاضى الجرمانى القديم ، اضطر الى الاحتجاب بعد فرض القانون الرومانى ، والقانون المسيحى ، واتخذت هذه المحكمة مدينة دورتموند فى فستفاليا مركزا لها ، واختصت بعقاب من يفرون من العدالة العادية ، اما لأنهم من أصحاب المال او أصحاب الجاه ، وأما لأن الأدلة غير كافية لادانتهم .. وكان أعضاء هذه المحكمة لا يعرفون من أمرها شيئا ، ولا يعرفون الا الأوامر التى تصدر عنها ويكون عليهم تنفيذها بدقة وتحمس . وقد قويت هذه المحكمة فى القرن الخامس عشر ، عندما شاعت الفوضى فى الديار الالمانية ، وحاول القيصر ماكسميليان جاهدا أن يلغيها . ولكنها لم تنته الا على يد الامبراطور كارل الخامس ، لنجاحه فى تنظيم العدالة واصلاح المحاكم فى الربع الثانى من القرن السادس عشر ، فقد أنهت نشاطها ، لأنها تبينت انه لم يعد له سبب . على انها لم تختف نهائيا ، وظلت تمارس لونا من النشاط المحدود الى وقت قريب .

ومن الطبيعى ان جوته يولى أمور القضاء والعدالة هذا

الاهتمام فيقدم فى هذه المسرحية أنماطا عديدة منها . الى جانب نظام المحكمة السرية ، نرى نظام العدالة القائمة على قوة الساعد وفعالية الفرسانية ، عدالة الشهامة ، ونرى أخيرا صورة العدالة الحديثة القائمة على القانون الرومانى فى حديث أوليياريوس . ومن الطبيعى أن يفعل جوته هذا فقد علمنا انه درس الحقوق فى جامعاتلايبتسيج وشتراسبورج ، وختم دراساته بدرجة الليسانس وكانت فى جامعة شتراسبورج فى ذلك الوقت مساوية للدكتوراة ، وعالج المحاماة ، الى أن ضمه الأمير كارل أوجوست الى معيته ، وأدخله سلك الوزارة ، ودخل هو سلك الأدب والثقافة .

فى الاتجاه الذى صنعه جوته بمسرحية ((جوتس فون برليشينجن)) نشأت فى عام ١٧٧٥ مسرحية (( أوتو )) لمعاصره وزميله كلينجر ، ثم نشأت مسرحية (( انجنس برناورين )) للاديب فون تورنج ، ومسرحية (( أوتو فيتسلباخ )) لماريوس بابو ، واستمر الاتجاه الى أيام هاينريش فون كلايست حيث انشأ مسرحية ((كيتشن فون هايلبرون)) (١٨١٠) ، ومسرحية ((الحارس)) لأخيم فون أرنيم (١٨١٧) ، وتلقف الطبيعيون (( جوتس )) ومواده العديدة ، وصاغوها على طريقتهم ، ومن أبرز الأمثلة على هـــذا مسرحيـــة (( فلوريان جاير )) (١٨٩٥) لجـرهارت هاوبتمان تلك التى يعالج فيها شخصية أخرى من شـخصيات ثورة الفلاحين . وجدير بالذكر ان الكاتب الاسكتلندى الشهير ولتر سكوت ( ١٧٧١ ــ ١٨٣٢ ) ترجم ((جوتس فون برليشينجن )) الى الانجليزيه فى عام ١٧٩٩ ( كذلك ترجم من أعمال مدرسة العاصفة والاندفاع مسرحية ليونوره للأديب الألمانى بورجر ، عام ١٧٩٥ ) ، وتأثر باتجـاه جوته فيها ، تأثرا ظهر فى مؤلفاته الروائية الملحمية ذات الطابع التاريخى . وهذا يعنى أن مسرحيـــة (( جوتس برليشينجن )) تمثل عمـلا أدبيـا انسـانيا بمعنى الكلمـة ، اندفع جوته الى تأليفهـا متـأثرا بالأدب الانجليزى ، فلما اكتملت أخصبت الأدب الانجليزى نفسه ، بدفعها

ولتر سكوت فى اعماله الروائية التاريخية • وهذه هى الثقافة الانسانية الحقة ، أخذ وعطاء .

## الخلفيــة التــــاريخية فى « جوتس فون برليشينجن »

ليس معنى ان مسرحية (( جوتس فون برليشينجن )) مسرحيــة تاريخية أن جوته قص فيها التاريخ كأنه المؤرخ . لا انه لم يفعــل . انها تضرب جذورها فى التاريخ ، أو تبرز على خلفية تاريخية . وقد لاحظ معاصرو جوته انه لم يكن امينا حيال التاريخ ، بل ان البعض اقترح عليه أن يخرج طبعــة علميــة محققة من سيرة جــوتس فون برليشينجن ، يزودها بمقدمة وبملاحظات هامشية ، وبما الى ذلك من عناصر الطبعات المحققة ، فذلك أفضل وأقوم سبيلا . بل ان عميد المدرسة الطبيعية جرهارت هاوبتمان عندما ألف (( فلوريان جاير )) التزم الحقيقة التزاما علميا ، وعارض بذلك طريقة جوته . وليس فى هــذا ما ينتقص من مذهب جــوته ، بل فيه تعظيم لعمله لأن من طبيعة العمــل الفــذ ، أن يدفع لا الى تقليــده فحسب ، بل الى معارضته ، ومن هذا التقليد والمعارضة تتكون أقطاب الحياة الفنية النشيطة .

وهناك أمور فى (( جوتس فون برليشينجن )) لا يسهل على الانسان فهمها ان لم يتصور احداث العصر الذى جرت فيه . ويمكننــا أن نجمع هذه الأحداث فى مجموعات ثلاث :

* أحداث المانيا
* حركة الاصلاح الدينى ومارتن لوثر
* الغزو التركى

أما أحداث ألمانيا فتتسم منذ نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر بالعنف والتقلب من نواح متعددة : ناحية اختيار

القيصر ، وناحية الاصلاح الدينى وناحيــة الأمن الداخلى . كانت المانيا عبارة عن مجموعة من الامارات والدوقيات تضمها صورة متكاملة فى ظاهرها متفككة فى حقيقتها اسمها (( الرايخ الرومانى المقــدس )) ، وكان على رأس هذا الرايخ قيصر يختار بالانتخاب ، يختاره أمراء سـبعة هم (( الأمراء النــاخبون )) . وكان هؤلاء الأمراء الســبعة من ضربين : أربعــة من أهل الدنيــا ، وأربعــة من رجال الدين ، أو المطارنة ــ الأمراء . وكان الأمراء الناخبون فى العادة يختارون أضعف المرشحين حتى لا تضيع سيطرتهم فى اماراتهم وكانوا يطلبون من المرشح أن ينزل لهم عن شىء من حقوقه نظير اختيارهم اياه ، فكان يزيد ضعفا . وفى الوقت نفسه زادت أهمية المدن لاشـتغالها بالتجــارة والصناعة فكونت أحلافا تضمها وتسعى الى تأمين كيانها فى وســط هــذا الرايخ المفــكك بين الأمراء المتنازعين . وكانت الأمور الدينيــة تشغل بال الناس وكان التفكير فى اصلاحها لا ينقطع ، ولكن رجال الدين كانوا يجتمعون ولا يستطيعون الوصول الى شىء ، اللهم الا التصميم على قتل الأفكار الجديدة بقتل أصحابها كما حدث فى عام ١٤١٥ عندما قرروا قتل (( هوس )) بتهمة الالحــاد . ومع انتصــاف القرن الخامس عشر حدثت فى الدنيا أمور هزت كيان ألمانيا بل والعالم كله ، منها اختراع المطبعة واستيلاء الترك على القسطنطينية وتوسعهم فى الغزو . أما الأمن الداخلى فكان مختلا من جراء نشاط محــاكم التفتيش ، وظلم الأمراء للرعية ، وتحول الفرسان الى قطاع طرق . وفى عام ١٤٣١ قام الفــلاحون بأول ثورة لهم ، فى منطقة فورمس . ويمكننا أن نضرب مثلا للاضطراب الداخلى ما حدث فى منطقة بوهيميا عندما مات الملك كارل الرابع ، ووقع الاختيار على شخص ضعيف ليجلس على العرش هو الأمير فنتسل ، الذى اضطر على الفــور الى الدخــول فى حــروب ضــد أخيــه زيجســموند وعمــه يوبست فون ميرن . ثم تولى البفالتسجراف روبرشت الحكم عام ١٤٠٠ وبقى فى الحكم عشر سنوات بشق الأنفس ، وسرعان ما خلفه زيجيســموند فى عام ١٤١٠ ، وبقى حتى عام ١٤٣٧ . فى مثل هذه المعارك كانت قوة

الأمراء الصغار تزداد ، وكانت قوة الفرسان قطاع الطرق تزداد ، وكان البائس على أية حال هو الشعب ..

فى عام ١٤٥٢ تلقى فريدريش الثالث ائرايخ الرومانى المقدس فى روما وحاول أن يصلح الأحوال على قدر امكانه . فزوج ابنه ماكسميليان من ابنة ملك بورجونيا وضم بذلك الأراضى الواطئة الى الرايخ . وفى عام ١٤٩٣ أختير ماكسميليان الأول ليكون قيصرا ( توفى عام ١٥١٩ ) .. على أن زواج ماكسميليان من ابنة ملك بورجونيا ، أشعل نار العداء المسلح بين فرنسا والرايخ ، وأصبح على الرايخ أن يواجه الترك من ناحية والفرنسيين من ناحية أخرى . وبدأ ماكسميليان ، الذى نعم بشهرة شعبية كبيرة فى عصره وبعده ، حركة اصلاح ، فأنشأ مجلس الرايخ فورمس وأنشأ محكمة الرايخ ( العليا ) وبدأ يجمع ضرائب خاصة بالرايخ كسلطة عليا . وخلف ماكسميليان الاول كارل الخامس الذى اعتزل الحكم فى ١٥٥٦ ، وخلفه ابناه ، ويهمنا منهما فرديناند الاول الذى مات عام ١٥٦٤ وخلفه آلى عام ١٦١٢ ماكسميليان الثانى . ويسجل التاريخ فى عام ١٥٢٣ ان الفارس فرانتس فون زيكينجن والفارس أولريش فون هوتن قاما بهجمات عنيفة ضد الامارات التى كان على رأسها أمراء مطارنة ، ولكن هجماتهم سرعان مع أخمدت . وفى العام التالى قام الفلاحون بثورة وطالبوا بالحرية وبالغاء السخرة والعبودية وغير ذلك من الحقوق ولكن الثورة فشلت لخلاف دب بين القادة ، وأهم هؤلاء القادة : جيورج ميتسلر ، فلوريان جاير ، فندل هيبلر ، جيكلاين روهرباخ ، ميشائل جاسماير ، توماس مونتسر . كذلك يسجل التاريخ حروبا عنيفة بين كارل الخامس وفرانسوا الاول . أولها حرب عام ١٥٢١ التى استمرت الى عام ١٥٢٦ ثم حرب عام ١٥٢٦ التى استمرت حتى عام ١٥٢٩ ، ثم حرب عام ١٥٣٦ التى استمرت حتى عام ١٥٣٨ وهكذا كانت حالة الحرب بين فرنسا وألمانيا ما تكاد تهدأ حتى تعود الى الالتهاب من جديد .

والأمر الثانى الذى ينبغى الالمام به لفهم جوانب مسرحية « جوتس فون برليشينجن » هو « حركة الاصلاح الدينى » وحياة مارتن لوتر . ومارتن لوتر يظهر فى المسرحية فى مشهد الأخ مارتن ، ويعرض بنفسه شيئا من أفكاره . ويرجع اهتمام جوته بشخصية لوتر الى أمور متعددة من بينها انه نشأ على المذهب اللوترى ، وأهمها فى تقديرنا هو أن لوتر شخصية من الشخصيات المحببة الى مفهوم حركة العاصفة ، انه رجل بسيط من الشعب ، أحس فى نفسه قوة فطرية ، تدعوه الى الحياة حياة طبيعية ، والدعوة الى تجريد الدين من اضافات أدخلت عليه وأثرت على أصالته ، أحس فى نفسه قوية فطرية عارمة لا تقوم على الكفاءة الجسمانية بل على الكفاءة الروحية . فهو نظير جوتس . ولوتر رجل له مكان عظيم فى تاريخ الفكر وفضل هائل على اللغة الألمانية ، فهو صانعها . وهو عندما صنعها صاغها على أساس اللغة الفطرية التى يتكلمها الطفل فى الشارع والأم فى البيت والرجل البسيط فى السوق . وهذا بالضبط هو المثل الأعلى الذى كانت حركة العبقرية تسعى اليه .

ولد لوتر فى ١٠ نوفمبر عام ١٤٨٣ وتوفى فى ١٨ فبراير ١٤٥٦ . وتهمنا فى حياته أمور منها انه دخل فى عام ١٥٠٥ ، وكان آنذاك طالبا بجامعة ارفورت ، فى الدير ، ضمن طائفة الأوجستينر ، وكانت طائفة ذات نظام قاس مسرف فى القسوة . ويرجع السبب فى دخوله الدير الى حادثة طرأت له وهى موت صديق عزيز عليه ، تلتها حادثة أخرى هى سقوط صاعقة بجواره كادت أن تودى بحياته ، فأصابه الجزع ، وفضل حياة التأمل . وكان فى الدير يعذب نفسه عذابا شديدا باستعمال السوط ليلا ونهارا ، وكان هذا نظاما معروفا فى الدير ، ولكنه كان يسرف فيه ، حتى أمره رئيس الدير ، بالقصد فى العذاب ، والاكتفاء به نهارا . وقد سجل عنه رفيق له فى الدير انه كان يقول انه لا يستطيع أن يتخلص من الخوف وانه لا يستطيع أن يحتمل ذنوبه وان الله قد أنذره . وفى عام ١٥٠٨

استدعى الاخ مارتن أو الراهب مارتن ، كما كان يسمى فى ذلك الوقت ، للتدريس فى جامعة فيتنبرج . وكان رئيس الدير يستعين به دائما فى تدبير الأمور فى الأسفار والمهام ، وهكذا ذهب الى روما فى عام ١٥١٠ لشأن من شئون الدير ، فلما عاد ، كان أشد حزنا ، فقد خيبت الكنيسة هناك ظنه ، لأنه رآها دنيوية منعمة ، وكان يود لو رآها باطنية روحانية طبيعية . وقد أخذ مارتن لوتر نفسه بالدرس والتأمل حتى أحس نفر ممن حوله بأنه فى الطريق الى شىء عظيم . فى عام ١٥١٣ كون فكرته عن المنة الالهية التى أنشأ عليها مفهومه عن العدالة . وفى عام ١٥١٥ كون فكرته عن صكوك الغفران وبدأ يهاجم رجال الكنيسة .

وفى عام ١٥١٧ بدأ المعركة بتعليق لافتة على باب الكنيسة يدعو فيها العلماء الى مناقشة فى ٩٥ موضوعا من موضوعات الدين . وحاول كبار رجال الدين تهدئته وانذاره فلم يوفقوا ، ثم هدده البابا فى عام ١٥٢٠ . فما كان من مارتن لوتر الا أن هاجمه وحرق الوثيقة البابوية . وبدأ الامراء ينضمون الى حركة مارتن لوتر وعلى رأسهم الأمير فريدريش الحكيم ( ساكسونيا ) الذى أعلن انضمامه الى مارتن لوتر فى عام ١٥٢١ . حتى القيصر ، كارل الخامس ترفق بلوتر ومنع عنه هجوم رجال الكنيسة واتهامه اياه بالالحاد . وعكف لوتر على ترجمة العهد الجديد فأتمه فى عام ١٥٢٢ وطبع ولاقى نجاحا ورواجا كبيرا ، كذلك نشر مجموعة من الدراسات احداها عن (( حرية الانسان المسيحى )) أدت الى قيام الفلاحين بالثورة ، لانهم لم يفهموا مقصده وهو الحرية الدينية ، وفهموا شيئا آخر هو حريتهم السياسية ، وحريتهم حيال الاقطاعيين . وفى عام ١٥٢٥ تزوج مارتن لوتر ــ وهو شىء محرم على رهبان وكهنة الكاثوليكية ــ من راهبة خرجت من الدير وحطمت نذر الرهبنة ، هى كاتارينة فون بورا ( ولدت عام ١٤٩٩ وتوفيت عام ١٥٥٢ ) ورزق منها بأولاد . وقد أدت حركة الاصلاح الدينى اللوترية الى نتائج بالغة الأهمية والخطورة

منها انشاء الطائفة الانجيلية والمذهب البروتستانتي وشطر الكنيسة مرة أخرى ، ومنها تجديد التفكير فى الأمور الدينية والفلسفية ، ومنها اشاعة الفرقة ، ثم القتال المتمثل فى حرب الثلاثين عاما ، ومنها أيضا التمهيد بطريقة غير مباشرة للثورة السياسية والاجتماعية ، ومنها أخيرا تدعيم اللغة الالمانية ورفع قدرها أمام اللغة اللاتينية والتمهيد بذلك لأدب قومي جديد .

والشيء الأخير الذي يعيننا على فهم الخلفية التاريخية (( لجوتس فون برليشينجن )) هو الغزو التركي لأوروبا . وقد احتك الاوروبيون بالترك منذ وقت مبكر ، فى القرن الحادى عشر ، عندما تعرض الترك فى تحركهم من وسط آسيا الى آسيا الصغرى للدولة البيزنطية . وقد وصل هذا التعرض الى درجة أسر الامبراطور البيزنطى فى عام ١١٧١ . وقد اتجه نظر الترك الى التوسع فى اتجاهات مختلفة منها الاتجاه الأوروبى ، فاستولوا على القسطنطينية وحاربوا فى البلقان وتوغلوا حتى وصلوا الى فيينا . وقد أحدث استيلاء الترك على القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ فى عصر محمد الثانى دويا هائلا فى الدار الأوروبية المسيحية ، ولكن أوروبا لم تستطع أن تقوم بحركة مضادة رادعة ، فلما وصل الترك فى عام ١٥٢٦ الى فيينا تملك الناس رعب هائل أطلق عليه اسم (( الرعب من الترك )) ، نشأت فى ظله أعمال فنية ومؤلفات شعبية كثيرة تسب الترك والمسلمين بما يحلو لها . ولقد ظل أثر هذه المؤلفات العدائية باقيا حتى الآن ، وان اتخذ صورا مخففة تارة ، ومحورة تارة أخرى . وجدير بالذكر أن الترك حاصروا فيينا آخر مرة فى عام ١٦٨٣ وفشلوا فى فتحها . ومن يومها أخذ النجم التركى يافل شيئا فشيئا .

وبعد فهذه هى مسرحية (( جوتس فون برليشينجن )) التى حقق فيها جوته نموذجا عظيما لما يمكن أن تؤتى به مدرسة العبقرية أو العاصفة والاندفاع ، ووصل بها بضربة واحدة الى قمة الشهرة فى

بلاده أولا وفى الخارج ثانيا ، واستطاع أن يربط فيها على نحو مثمر بين التراث الشيكسبيرى والأدب الالمانى ، وأنتج اذ انتجها مسرحية تاريخية رائدة ، فتحت الباب الى مدرسة تقلدها ونسير فى طريقها ، ومدارس تعارضها وتنتج فى حماسها اعمالا تختلف فى الصبغة ولا تقل فى الأهمية .

دكتور مصطفى ماهر

# جوتس فون برليشنجن
## ذو اليد الحديدية

---

**Götz von Berlichingen**
**mit der eisernen Hand**

## ● أشخاص المسرحية

| | |
|---|---|
| القيصر ماكسيميليان | Kaiser Maximilian |
| جوتس فون برليشنجن | Götz von Berlichingen |
| اليزابث : زوجته | Elisabeth |
| ماريا : أخته | Maria |
| كارل : ابنه الصغير | Karl |
| جيورج : غلامه | Georg |
| مطران بامبرج | Bischof von Bamberg |
| فايزلينجن | Weislingen |
| أدلهايد فون فالدورف | Adelheid von Walldorf |
| ليبيتراوت | Liebetraut |
| رئيس دير فولدا | Abt von Fulda |
| أولياريوس : دكتور فى القانون | Olearius |
| الأخ مارتن | Bruder Martin |
| هانس فون زيلبيتس | Hans von Selbitz |
| فرانتس فون زيكينجن | Franz von Sickingen |
| ليرسه | Lerse |
| فرانتس : غلام فايزلينجن | Franz |

| | |
|---|---|
| Kammerfräulein der Adelheid | وصيفة آدلهايد |
| Metzler, Sievers, Link, Kohl, Wild | ميتسلر ، زيفرس ، لينك ، كول ، فيلد : زعماء الفلاحين الثائرين |
| Hoffrauen, Hofleute | سيدات وسادة بلاط بامبرج |
| Kaiserliche Räte | مستشارو القيصر |
| Ratsherrn von Heilbronn | أعضاء مجلس بلدية هايلبرون |
| Richter des heimlichen Gerichts | قاضي المحكمة السرية |
| Zwei Nürnberger Kaufleute | تاجران من نورنبرج |
| Max Stumpf | ماكس شتومبف : خادم القيصر |
| Ein Unbekannter | مجهول |
| Brautvater | والد العروس |
| Bräutigam | العريس ( الاثنان من الفلاحين ) |
| Berlichingsche, Weislingsche, Bambergsche Reiter | فرسان برليشنجيون وفايزلنجيون وبامبرجيون |
| Hauptleute, Offiziere, Knechte von der Reichsarmee | قادة وضباط وجنود من جيش الرايخ |
| Schenkwirt | الساقي |
| Gerichtsdiener | محضر المحكمة |
| Heilbronner Bürger | مواطنون من هايلبرون |
| Stadtwache | شرطة المدينة |
| Gefängniswärter | حرس السجن |
| Bauern | فلاحون |
| Zigeunerhauptmann | شيخ الغجر |
| Zigeuner, Zigeunerinnen | رجال ونساء من الغجر . |

# الفصل الأول

( شفارتسنبرج فى مقاطعة فرانكن . حانة )

( ميتسلر وزيفرس يجلسان الى منضدة . اثنان من جنود
( الفرسان عند المدفأة . صاحب الحانة )

زيفرس : هيا ياهينزل (١) كأسا أخرى من النبيذ المعتق ، وارع الله فى ملئها !

صاحب الحانة : أنت لاتشبع أبدا .

ميتسلر ( الى زيفرس بصوت خفيض) : أعد على قصة برليشنجن مرة أخرى ! ان أهل يامبرج يفتاظون حتى لتكاد وجوههم تسود من الغيظ .

زيفرس : البامبرجيون ؟ وماذا يفعلون هنا ؟

ميتسلر : فايزلينجن فى القصر عند السيد الجراف منذ يومين ، وقد اصطحبوه الى هناك بالحفاوة ، ولست اعرف من اين أتى . ولكنهم ينتظرون فسوف يعود الى بامبرج مرة ثانية .

زيفرس : ومن هو هذا الفايزلينجن ؟

---

(١) هينزل هى صيغة المداعبة من هانس ، وهو أشهر اسم ألمانى ويقابل بالفرنسية والانجليزية «جان» «جون» وبالعربية «حنا» .
( المترجم )

ميتسلر : انه اليد اليمنى للمطران ، رجل ضخم يتربص بجوتس .

زيفرس : عليه أن يحترس وان يتنبه .

ميتسلر (بصوت خفيض) : نريد المزيد ! (بصوت مرتفع) منذ متى
عاد النزاع بين جوتس ومطران بامبرج ؟ لقد قيل ان
اتفاقا عقد بينهما شمل كل المنازعات وسواها .

زيفرس : هه ، اعقد اتفاقا مع الكهنة وجرب ! عندما تبين المطران
انه لن يحقق مأربه وأنه سيخرج من القسمة بالنصيب
الهزيل ، انكمش وركز جهده على اتمام اتفاق التسويه .
فامتثل بريشينجن الكريم ورضى دون أن ينصت أو يمحص
وهكذا يتصرف رائعا عندما يعلم أنه هو الأعلى .

ميتسلر : حفظه الله ورعاه ! انه من الاخيار المخلصين !

زيفرس : انصت نرى هذا مخجلا مشينا ! لقد ضربوا أحد صبيانه
وأسروه على غرة . ولكن صبرا ! سوف يجعلهم يعضون
بنان الندم على فعلتهم .

ميتسلر : من المؤسف أن ضربته الأخيرة فشلت ، ولابد أنه اغتاظ
أشد الغيظ .

زيفرس : لا أظن أن شيئا أثار غيظه على هذا النحو منذ وقت طويل.
تصور أنه كان يعلم كل شيء بغاية الدقة ، كان يعلم متى
يرجع المطران من الحمامات (١) وفى كم من الفرسان وأى
طريق يسلك . ولو لم يخنه هؤلاء المنافقون لتمكن منه
وأكمل عليه نعمة الحمام وسلخ جلده .

الفارس الأول : ماذا تقولون على مطراننا ؟ أظن انكم تريدون الشجار.

---

(١) كان المطران مصابا بالحصوة وكان يذهب الى الحمامات المعدنية للاستشفاء . (المترجم)

زيفرس : لا تتدخلوا فيما لا يعنيكم ! ماذا أتى بكم الى منضـــدة ليست منضدتكم ؟!

الفارس الثانى : من سمح لكم بالحديث عن مطراننا بهذا الاستخفاف ؟

زيفرس : هل لكم أن تستجوبونى ؟ انظروا الى هذا الوجه القبيح !
(الفارس الأول يضربه على قفاه)

ميتسلر : اضرب الكلب ! اقتله !

(يتشاجرون)

الفارس الثانى : تعال هنا اذا كنت جريئا .

صاحب الحانة ( يفرقهم ) : الا تهدءون ! يا للمصيبة ! ان اردتم أن تتضاربوا فاخرجوا من حانتى واذهبوا الى أية داهية . فحانتى مكان محترم منظم لابـــد أن يحسن رواده فيـــه سلوكهم . (يدفع الفارسين الى الباب ويخرجهما عنوة) . وأنتم ياحمير ، ماذا تفعلون ؟

ميتسلر : لاتسترسل فى الاهانة ياهينزل والا انهلنا على صلعتك ضربا. تعال أيها الزميل وانضم الينا ، فاننا نريد أن نوسـعهم ضربا فى الخارج .

(اثنان من فرسان برليشنجن يدخلان)

الفارس الأول : ما هنالك ؟

زيفرس : آه ، نهارك سعيد يابيتر ! نهارك سعيد يافايت ! من أين تأتيان ؟

الفارس الثانى : أرجو ألا يخطر ببالك أن تقول فى خدمة من نحن ؟

زيفرس (هامسا) : فى خدمة سيدكم جوتس طبعا ؟ أليس كذلك ؟

الفارس الاول : سد فمك . هل تشاجرتما ؟

زيفرس : مع الشخصين الذين قابلتماهما بالباب ، انهما يامبرجيان.

الفارس الاول : ماذا يفعلان هنا ؟

ميتسلر : فايزلينجن فى القصر هنا عند صاحب الضيافة وكانا برفقته

الفارس الأول : فايزلينجن ؟

الفارس الثانى : ( هامسا ) : بيتر . هذه لقمة نزلت الى أفواهنا من السماء ! ( بصوت مرتفع ) منذ متى ؟

ميتسلر : منذ يومين ، وهو على قدر مافهمت من أحد رجاله ، ينوى السفر اليوم .

الفارس الأول ( بصوت خفيض ) : ألم أقل لك انه سيأتى . كان الأحرى بنا أن نبقى حيث كنا . تعال يا فايت .

زيفرس : ولكن ساعدانا أولا على ضرب البامبرجيين .

الفارس الثانى : انتما اثنان وهما اثنان . لابد أن ننصرف ، وداعا. ( يخرجان ) .

زيفرس : هؤلاء الفرسان كلاب أنذال . انهم لا يفعلون شيئا الا اذا دفعت الثمن .

ميتسلر : انني أكاد أقسم لك على أن هذين الفارسين يدبران أمرا . فى خدمة من هما ؟

زيفرس : ليس لى أن أقول . انهما فى خدمة جوتس .

ميتسلر : هكذا . هيا بنا نلاحق الوغدين . وأنا لا أخشى أسياخ الحديد طالما كان معى عصا من خشب .

زيفرس : ليتنا نتمكن يوما ما من الأمراء الذين يسلخون جلودنا .

## ( حانة بالغابة )

جوتس ( أمام الباب تحت شجرة زيزفون ) : أين جنودى ! لابد أن أروح وأجىء حتى لا يغلبنى النعاس . فقد أمضيت خمسة

أيام وخمس ليال أتربص به . لكم يتعبنا هذا النصيب الضئيل من الحياة والحرية ! ولكنى سأرتاح عندما أنالك يا فايزلينجن . ( يصب لنفسه شيئا من الشراب ) وهذه زجاجة أخرى فرغت . جيورج ! ما دمت أجد الشراب والشجاعة ، فأنا أسخر من الأمراء وطغيانهم ومؤامراتهم . ـ جيورج ! ـ أرسلوا محسوبكم فايزليجن الى الأقارب وأقارب الأقارب ما شئتم ، ودعوه يصورنى على الصورة السوداء التى تتوقون اليها . افعلوا ما بدا لكم . اما انا فهنا لا أنام . لقد أفلت منى يا مطران فليدفع حبيبك فايزلينجن الثمن ! يا جيورج ! ألا يسمع الغلام ؟ ! يا جيورج ! يا جيورج !

الغلام ( عليه عدة فارس من الكبار ) : سيدى .

جوتس : اين كنت ؟ هل غلبك النعاس ؟ وما هذا الزى الذى زججت بنفسك فيه ؟ هل أنت ذاهب الى حفل تنكرى ؟ ! أقبل! والله انه يناسبك ! لا تخجل يا غلام . فانك شجاع . ليتك كنت كبيرا على مقاسه ! هل هذه عدة هانس ؟

جيورج : نعم ، فقد أراد أن يستريح قليلا وخلعها .

جوتس : انه ينعم بما لا ينعم به سيده .

جيورج : هل غضبت ؟ لقد سحبت العدة بخفة وتدرعت بها ثم أخذت سيف أبى القديم من مكانه على الحائط وجريت الى الخلاء وأخرجته من غمده .

جوتس : ورحت تضرب به ذات اليمين وذات اليسار ؟ لابد أن الأعشاب التى تلقت الضربات فى حالة لا تحسد عليها . هل هانس نائم ؟

جيورج : لقد هب واقفا عندما ناديتنى وعنفنى لانك ناديت . وهممت بخلع العدة فسمعتك تعيد النداء مرتين ثم ثلاث مرات فأتيت من فورى .

جوتس : اذهب واعطه عدته وقل له استعد وفتش على الخيل .

جيورج : لقد علفت الخيل وأحسنت لجامها ويمكنك أن تركب متى اردت .

جوتس : آتني دورقا من الخمر ، وأعط هانس كاسا وقل له ان عليه أن ينشط فقد حان وقت النشاط ، واني أنتظر عودة الكشافة بين لحظة وأخرى .

جيورج : أى سيدى !

جوتس : ماذا بك ؟

جيورج : ألا تأخذونى معكم ؟

جوتس : مرة أخرى يا جيورج ، عندما نكون خارجين لخطف التجار أو لنهب القوافل .

جيورج : لطالما قلت لى انك ستأخذنى مرة أخرى فلم تفعل . آه ، خذنى هذه المرة . هذه المرة . أريد أن أسير خلفكم وأن أتطلع اليكم من جانب ، وأن أجمع لكم الأسهم المتناثرة .

جوتس : سنأخذك معنا فى المرة القادمة يا جيورج . ولابد أن تكون لك سترة حديدية وخوذة معدنية ورمح .

جيورج : خذونى معكم . لو كنت معكم فى المرة الماضية لما فقدت القوس .

جوتس : هل بلغك هذا ؟

جيورج : نعم بلغنى انك قذفت العدو بالقوس على رأسه فالتقطه جندى من المشاة ، وضاع القوس . هه ، أليس هذا هو الذى حدث ؟

جوتس : هل حكى لك هذا جنودى ؟

جيورج : نعم وعزفت لهم لقاء هذا على الناى بعض الألحان ، وعلمتهم

عددا من الأغاني المرحة ، وكنا في هذه الأثناء نمشط الخيول .

جوتس : انك لصبي شجاع حقا (١) .

جيورج : خذوني معكم حتى أظهر شجاعتي .

جوتس : أعدك بأننا سنأخذك معنا في المرة القادمة ، فلا يمكن أن تندس في معركة ان لم يكن معك سلاح . وسنحتاج في المستقبل الى رجال ، فسيأتي في المستقبل وقت ثمين يقدم الأمراء كل ما تحويه خزائنهم للحصول على رجل يكرهونه الآن . اذهب يا جيورج ، وأعد الى هانس عدته وآتني خمرا . ( جيورج يخرج ) أين جنودي ؟ يا للعجب ! هذا راهب . من أين يأتي ؟

( الراهب مارتن يدخل )

جوتس : نعم مساء أيها الأب المبجل . من أين تأتي في هذه الساعة المتأخرة ؟ انك لتخجل الكثيرين من الفرسان بهذه الهمة وأنت رجل السكينة المقدسة .

مارتن : شكرا لك أيها السيد الكريم . وأنا أخ متواضع لا أكثر ، وهذا لقبي ان كانت هناك حاجة الى تلقيبي بلقب . واسمي في الدير أوجستين وأفضل أن أنادي باسمي الذي عمدت به وهو مارتن (٢) .

---

(١) واضح من كلام جوتس انه يقدر الصبي وماله من صفات الفارس ، وسنتبين في آخر المسرحية أن جوتس كان يفضل هذا الصبي الشجاع على ابنه كارل اللين ، وانه كان يعتبر جيورج ابنه في الفرسانية ، وظل يفكر فيه — دون ابنه — حتى فاضت روحه .

(٢) أوجستين ومارتن هما اسما المصلح الديني « مارتن لوثر » صاحب المذهب البروتستانتي : اسم الدير ، واسم العمادة .

( المترجم )

جوتس : لا شك أنك متعب ، يا أخ مارتن ، وظمآن .

( الغلام يدخل )

وها هو ذا النبيذ يأتي في موعده .

مارتن : أنا لا أشرب الا الماء ، فليس لي أن أقرب الخمر .

جوتس : هل نذرت ألا تشرب الخمر ؟

مارتن : لا يا سيدى الكريم ، لا يتعارض شرب الخمر مع نذرى نفسي للرهبنة ، ولكن الخمر نقيض النذر ، ولذلك لا أشرب الخمر .

جوتس : ما معنى هذا ؟

مارتن : طوبى لك لأنك لم تفهم . أردت أن أقول ان حياة الانسان هي الأكل والشرب .

جوتس : هذا صحيح .

مارتن : فأنت عندما تأكل وتشرب تكون كأنك ولدت من جديد ، تكون أكثر قوة وشجاعة ومقدرة على عملك . والنبيذ يملأ قلب الانسان بهجة ، والبهجة أم الفضائل . وانت عندما تشرب النبيذ ، تصبح ضعف ما أنت : تتضاعف سرعتك في التفكير وقدرتك على التصميم ، وتتضاعف سرعتك في التنفيذ .

جوتس : صدقت ، هذا هو ما يفعله الشرب بي .

مارتن : وهذا هو ما قلته . ولكنا ـ

( يدخل جيورج حاملا آنية بها ماء )

جوتس ( الى جيورج سرا ) : اذهب الى طريق داخسباخ وضع أذنك على الأرض واسمع هل هناك خيول قادمة ثم عد الى توا .

مارتن : ولكننا عندما نشرب ونأكل نتحول الى عكس ما ينبغي أن نكون ، لأن هضمنا الخامل يلون رأسنا بلون المعدة ،

فتتولد في الراحة المتخمة شهوات تزيد فوتها حتى فوق ذم
التي ولدتها .

جوتس : اليك هذه الكأس ، يا أخ مارتن ، فانها لن تفسد نومك ،
لأنك سرت اليوم كثيرا . ( يقدمها اليه ) في صحة
المكافحين !

مارتن : باسم الله ! ( يتقارعان الكؤوس ) . أنا لا أحتمل الكسالى،
ولست أقول أن كل الرهبان كسالى ، فهم يفعلون
ما يستطيعون . وقد أتيت اليوم من دير القديس فايت
حيث قضيت الليلة الماضية . هناك قادني رئيس الدير
الى الحديقة فرأيتها شبيهة بخلية النحل ، فيها الخس
الممتاز ، والكرنب الذي يشتهيه الفؤاد ، والقرنبيط
والخرشوف الذي لا مثيل له في أوروبا .

جوتس : لا يعجبك هذا اذن ( ينهض وينظر الى حيث ذهب الصبي
ثم يعود ) .

مارتن : كم تمنيت لو أصبحت بستانيا أو عطارا أجمع الأعشاب
الطبية . ما كان أسعدني لو أصبحت هذا أو ذاك .
ورئيس الدير الذي ألزمه يحبني ، أعني دير ارفورت في
سكسونيا ، يحبني ويعلم انني لا أهدأ لا ولا أستريح ،
ولذلك فهو يرسلني هنا وهناك لقضاء هذه أو تلك من
المهام . ورحلتي هذه المرة الى مطران كونستانسة (١) .

جوتس : لنشرب كأسا أخرى . في صحة التوفيق .

مارتن : العقبى لك .

---

(١) معلوم ان مارتن لوتر عاش ثلاث سنوات في دير الأوجوستينيين
بمدينة ارفورت في مقاطعة سكسونيا من عام ١٥٠٥ الى عام ١٥٠٨ .
( المترجم )

جوتس : لماذا تتطلع الى هكذا يا اخي ؟

مارتن : لأنني معجب بسربالك .

جوتس : اتحب أن تلبسه ؟ انه ثقيل ولبسه متعب .

مارتن : وهل هناك في الدنيا شيء لا يتعب . وليس هناك شيء يتعبني أكثر مما يتعبني أنه ليس لي أن أكون انسانا بشرا . لقد نذرت عندالرهبنة ثلاثة نذور : الفقر والعفة والطاعة ، وهي أمور ، اذا تمعنا فيها فرادى ، تبينا انها لا تطيقها الطبيعة ، وانها كلها لاتتحمل بحال من الأحوال. وما أقسى على الانسان أن يكون عليه أن يضوى حياته كلها بتجبن تحت هذا العبء أو تحت اصر الضمير الذى ينقض الظهر أكثر من كل عبء . آه يا سيدى ! ما أهون مشاق حياتك اذا قيست بضروب بؤس طائفة تلعن أحسن الغرائز التى بها ننشأ وننمو ونترعرع وتعتقد خطأ أنها بذلك تقترب الى الله .

جوتس : لو لم يكن النذر الذى نذرته شيئا له حرمته ، لحرضتك على ارتداء سربال وأعطيتك حصانا وخرجنا للمعارك سويا .

مارتن : ليت الله يجعل القوة تدب فى كتفى ليتحمل السربال، ويجعل القدرة تسرى فى ذراعى لأصيب العدو بالرمح من فوق الحصان . أيتها اليد الضعيفة التى اعتادت من قديم على حمل الصلبان وشارات السكينة وتحريك المباخر عند الهيكل ، كيف يمكنك التحكم فى الرمح والسيف ؟ ! وأنت يا صوتى الذى اعتدت على انشاد الترانيم الدينية ، لن تكون الا الرسول الذى ينبىء العدو بضعفى ، بينما يبعث صوتك أنت يا سيدى الرعب فى نفس عدوك ! ولكن ليس هناك نذر يحق له أن يحول بينى وبين الرجوع الى الطائفة التى أنشأها خالقى !

جوتس : نشرب نخب هذا الرجوع السعيد .

مارتن : اشربه لك أنت وحدك يا سيدى . فان رجوعى الى قفصى رجوع تعيس ما فى ذلك شك . أما أنت يا سيدى فانت عندما ترجع الى بيتك وانت تشعر بشجاعتك وبقوتك التى لا ينال منها ضعف ، فتتمدد على فراشك بعد صحو طويل آمنا من هجوم العدو ، وتلقى أسلحتك جانبا لتنام نومة أجمل طعما لديك من الشرب عندى بعد طول ظمأ : يمكنك أن تتحدث عن السعادة .

جوتس : لكن هذا شيء لا أناله الا فيما ندر .

مارتن ( يزداد حماسا ) : ولكنك عندما تناله تحس بطعم الجنة . انك عندما ترجع من المعركة محملا بالغنيمة التى غنمتها من أعدائك وتتذكر : هذا طعنته من فوق الحصان قبـل أن يتمكن من الرمى ، وذاك أرغمته بحصانة الى التراب ، ثم تصعد ممتطيا صهوة حصانك الى قصرك و — —

جوتس : ماذا تعنى ؟

مارتن : ونسائك ! ( يصب نبيذا ) فى صحة زوجك ! ( يفرك عينيه ) لا شك أن لك زوجا ؟

جوتس : انها امرأة كريمة ممتازة .

مارتن : طوبى لمن كانت له زوج فاضلة ! انه يعيش حياته مرتين . اما أنا فلم أعرف النساء مع أن المرأة هى تاج الخليقة .

جوتس ( لنفسه ) : ان حاله لتحزننى ! فشـعوره بما يعانيـه من الرهبانية يكاد يفتك بقلبه .

جيورج ( يقبل عدوا ) : سـيدى ! سمعت خيولا مسرعة . أظنهما اثنين . لا شك أنهما هما .

جوتس : أخرج حصانى . وقل لهانس أن يستعد وأن يمتطى صهوة

حصانه . وداعا أيها الأخ العزيز ، كان الله فى عونك . كن شجاعا صبورا .. وسيمنحك الله المجال الذى تنشط فيه .

مارتن : قل لى من أنت ، أرجوك .

جوتس : متأسف . وداعا . ( يمد اليه يده اليسرى ) .

مارتن : لماذا تصافحنى بيدك اليسرى ؟ ألست خليقا بحقوق الفرسانية ؟

جوتس : والله لو كنت أنت القيصر ، لكان عليك أن ترضى بيدى اليسرى . فان يدى اليمنى ، وان كنت أستعملها فى الحرب ، لا تستطيع أن تحس بالحب : انها والقفاز شىء واحد ، انظر انها حديد .

مارتن : اذن فأنت جوتس فون برليشنجن ! أحمدك يا ربى لأنك أريتنيه ، أريتنى الرجل الذى يكرهه الأمراء ، ويلوذ به المظلومون . ( يمسك بيده اليمنى ) اعطنى هذه اليد ، دعنى أقبلها .

جوتس : لا يصح !

مارتن : دعنى ! أينها اليد التى تزيد قيمتها على قيمة رفات الأولياء أنت يا من تجرى فيك أعظم الدماء قدسية ، انك آلة ميتة ، ولكنك حية بثقة أكرم النفوس فى الله . ( جوتس يضع الخوذة على رأسه ويتناول الرمح ) لقد مر علينا منذ زمن طويل راهب زارك فى الوقت التى أصيبت فيه يمناك بطلقة من لاندسهوت ، وحكى لنا عما عانيته ومن ألمك للعجز الذى أوشك أن يحول بينك وبين رسالتك ، وعن الخاطر الذى راودك عن فارس كنت قد سمعت به ، كانت له يد واحدة ، وكان رغم ذلك فارسا شجاعا خدم الناس طويلا ــ لا أنسى هذا ولن أنساه أبدا .

( يدخل الجنديان .. جوتس يذهب اليهما )
( يتحدثون سرا )

مارتن ( يكمل حديثه ) : لن أنسى أبدا أنه قال فى أكرم وأصفى ايمان بالله : وماذا أجنى اذا كانت لى اثنتا عشرة يدا ولم تمنحنى يارب منتك ؟ سأتمكن بهذه اليد الواحدة .

جوتس : الى غابة هاسلاخ اذن . ( يعود الى مارتن ) وداعا أيها الأخ العزيز . ( يقبله ) .

مارتن : لا تنسانى ، فلن أنساك . ( جوتس يخرج )

مارتن : لقد انتفض فؤادى عندما رأيته . لم ينطق بكلمة ، ولكنى بروحى عرفت روحه . انها لمتعة أن يرى الانسان رجلا عظيما .

جيورج : أيها السيد الجليل ، هل ستنام عندنا ؟

مارتن : هل أجد عندكم سريرا ؟

جيورج : لا يا سيدى . لست أعرف السرر الا من حديث الناس ، وليس لدينا فى الحانة سوى القش .

مارتن : فيه الكفاية . ما اسمك ؟

جيورج : جيورج ، يا سيدى الجليل .

مارتن : جيورج . ان سيدك رجل شجاع .

جيورج : انهم يقولون انه كان فارسا . وأنا كذلك أريد أن أصبح فارسا .

مارتن : انتظر . ( يخرج كتاب الصلوات ويعطى الغلام صورة القديس جيورج ) انظر ، ها هو ذا الفارس ! اتبع مثله وكن شجاعا واتق الله . (مارتن يخرج ) (1) .

---

(1) القديس الفارس جيورج ، من شهداء المسيحية فى أوائل القرن الرابع الذين عذبوا عذابا شديدا الى الموت . وقد الصقت به =

جيورج ( وهو يتطلع الى الصورة ) : ما أجمل هذا الحصان الابيض. ليت لى حصان مثله ! آه ـ وهـذا السربال الذهبى ـ اه ، ما أقبح هذا التنين ـ سأذهب الآن لأصيد العصافير. يا قديس جيورج ، اجعلنى كبيرا قويا وأعطنى رمحا وسربالا وحصانا ثم ارسل الى التنانين .

## ( باكستهاوزن . قلعة جوتس )

( اليزابث . ماريا . كارل ، ابن جوتس الصغير )

كارل : من فضلك يا عمتى احكى لى مرة ثانية حكاية الولد التقى ، فانها جميلة جدا .

ماريا : احكها لى انت ، يا نبيه ، حتى أرى هل كنت منتبها أم لا .

كارل : انتظرى قليلا ، أريد ان أفكر وأتذكر ـ نعم ، يحكى انه كان هناك ولد صغير ، وان أمه كانت مريضة ، فذهب الى . .

ماريا : لا ، فقالت له أمه : يابنى العزيز .

كارل : أنا مريضة .

ماريا : ولا أستطيع الخروج .

كارل : وأعطته نقودا وقالت له : اذهب واشتر لك شيئا تفطر به فجاء رجل فقير .

ماريا : فذهب الولد . وفى الطريق قابله رجل هرم ، كان ـ قل يا كارل ، كان ماذا .

كارل : كان ـ هرما ـ

ماريا : طبعا . كان لا يكاد يستطيع السير وقال له : يابنى العزيز .

= أسطورة مصارعة التنانين فاشتهر بين العامة . ويقال انه نصير المظلومين وسند الفرسان والفلاحين . (المترجم)

كارل : اعطنى شيئا لأننى لم آجد خبزا لا الامس ولا اليوم . فأعطاه الولد النقود .

ماريا : التى كان يريد أن يشترى بها افطارا له .

كارل : فقال له الرجل الهرم –

ماريا : فأمسك الرجل الهرم الصبى .

كارل : من يده وقال له : وقد أصبح قديسا جميلا جليلا ، وقال له : يا صغيرى العزيز .

ماريا : أم المسيح تثيبك على احسانك : اذا لمست مريضا .

كارل : بيدك – أظن ، بيدك اليمنى

ماريا : نعم .

كارل : فسيبرأ فى الحال .

ماريا : نعم .

ماريا : فجرى الصبى الى البيت وهو لا يستطيع الكلام من فرط سروره .

كارل : وعانق أمه وبكى من شدة فرحه .

ماريا : فصاحت الأم : ماذا بى . وأصبحت – هه يا كارل .

كارل : وأصبحت – وأصبحت .

ماريا : أنت لا تنتبه . وأصبحت بصحة جيدة . وشفى الصبى الملك والقيصر وأصبح غنيا وبنى ديرا كبيرا .

اليزابت : لست أفهم لماذا تأخر زوجى خمس ليال وخمس أيام ، وكان يقدر أن ينتهى من العملية سريعا .

ماريا : القلق يساورنى منذ مدة طويلة • لو تزوجت برجل مثله يتعرض دائما للأخطار ، لما تحملت الأهوال ولمت فى العام الأول .

اليزابت : اننى أحمد الله الذى جعلنى أصلب عوداً .

كارل : هل لابد أن يذهب أبى الى حيث يكون الخطر ؟

ماريا : انه يريد ذلك .

اليزابت : نعم لابد ، يا عزيزى كارل .

كارل : لماذا ؟

اليزابت : هل تذكر المرة الماضية عندما ذهب على ظهر حصانه ، وأحضر لك الخبز الأبيض معه ؟ (١)

كارل : هل يحضر لى هذه المرة أيضا ؟

اليزابت : أعتقد ذلك .. والذى حدث أن خياطا من شتوتجارت كان رامياً ممتازاً حصل فى مباراة الرماية بكولونيا على المركز الأول .

كارل : وهل كانت الجائزة عظيمة ؟

اليزابت : كانت مائة تالر (٢) . ولكنهم بعد أن ربح رفضوا أن يعطوه جائزته .

ماريا : أليس هذا الفعل فعلا شريرا يا كارل ، هه ؟

كارل : يا لهم من أشرار !

اليزابت : فاتى الخياط الى أبيك ورجاه أن يساعده فى الحصول على ماله ، فخرج أبوك مناضلا وأسر من أهل كولونيا

---

(١) كان الألمان حتى عصر متأخر ، ربما حتى أوائل القرن التاسع عشر يعتبرون الخبز الأبيض نوعا من الفطائر ، بعكس أمم أخرى مثل الفرنسيين الذين كان فلاحوهم يأكلون العيش الأبيض منذ وقته مبكر . أما الخبز الألمانى العادى فكان يصنع من الدقيق الاسود الخام ، أو من الحبوب المجروشة . ( المترجم )

(٢) التالر عملة فضية قديمة . ( المترجم )

عددا من التجـار ، وظل يضيق على أهل كولونيـا حتى دفعوا ما عليهم . هل كنت أنت أيضا تخرج لأمر كهذا ؟

كارل : لا ! فلابد أن يسير الانسان خلال الغابة الكثيفة ، الكثيفة التى يسكنها الفجر والسحرة .

اليزابت : وهل يخاف الصبى الشجاع من السحرة ؟

ماريا : الأفضل يا كارل أن تعيش عندما تكبر فى قصرك كفارس مسيحى ورع ، فالانسان عندما يعيش فى ضياعه الخاصة يجـد فرصا كافيه لعمل الخير . وان أعدل الفرسان ليرتكبون فى كراتهم من الظلم أكثر مما يحققون من العدل .

اليزابت : انت لاتعرفين معنى ماتقولين ياأختى . عسى الله أن ينعم علينا بأن يصبح ابننا بمرور الوقت أكثر شجاعة وهمة ، والا يشابه فايزلينجن الذى يخون زوجى .

ماريا : لانريد أن نشط فى الحكم عليه ، يا اليزابت . فأخى ساخط وأنت أيضا . أما أنا فدورى فى هذه الأمور دور المشاهد، وحكمى لذلك أكثر اعتدالا .

اليزابت : ان مايفعله فايزلينجن لايغتفر .

ماريا : أما أنا فقد أعجبنى ماسمعته عن هـذا الرجل ، ألم يقص زوجك نفسه الكثير عن طيبته ولطفه . وماكان أسعد أيام شبابهما التى قضياها معا كصبيين كريمين فى معيـة الماركجراف .

اليزابت : هذا جائز .. ولكن خبرينى عن موضع الخير فى رجل يلاحق أحسن وأخلص أصدقائه ، ويبيع خـدماته للعـدو الذى يتربص بزوجى ، ويحاول أن يغير فكر قيصرنا العظيم عنا وهو الذى يشملنا بعفوه وكرمه ، فيسعى بالوشاية وينقل اليه أخبارا مختلقة تضر بنا .

كارل : أبى . أبى . الحارس ينفخ فى النفير لحن : ((أهلا ، أهلا ، افتح ، افتح !))

اليزابت : اذن فقد أتى بغنيمة .

(فارس يدخل)

الفارس : لقد صدنا . لقد اقتنصنا . سلام الله عليكن أيتهـا النساء الكريمات .

اليزابت : هل قبضتم على فايزلينجن ؟

الفارس : قبضنا عليه وعلى ثلاثة من الفرسان .

اليزابت : ماذا حدث فطال غيابكم الى هذا الحد ؟

الفارس : كنا نتربص به فى الطريق بين نورنبرج وبامبرج ، ولكنه لم يأت ، على الرغم من اننـا كنا نعلم انه فى الطريق . وأخيرا بحثنا عنه هنا وهناك وتبينا انه انتحى جانبا وأقام هادىء البال عند الجراف فى شفارتسينبرج .

اليزابت : وهم يريدون أن يستعدوه على زوجى .

الفارس : وأبلغت سيدى بالخبر فى الحال . فصاح بنا : هيـا ! وركبنا الخيول وتوغلنا فى غابة هاسلاخ . فصادفنا شيئا عجيبا حقا. ما كدنا ننفذ فى الليل البهيم حتى وجدنا أحد الرعاة ومعه قطيع أغنامه، وجاء خمسة من الذئاب وهجموا على الأغنام ونالوا منها بغيتهم . فضحك سيدنا وقال : السعد واتانا يارفاق ! (1) السعد واتى الكل فى كل مكان وكان من نصيبنا ! وفرحنا جميعا بهذا الفأل الحسن واذا بفايزلينجن يقبل ومعه أربعـة من الرجـال على ظهـور الخيل .

---

(1) اشارة الى معتقد شائع يجعل اللقاء بالذئاب مجلبة للخير ( المترجم )

ماريا : ان قلبى ليرتعد فى جسمى .

الفارس : وأمسكت أنا ورفيقى ، كما أمر سيدى ، بفايزلينجن وأطبقنا عليه كأننا أصبحنا شخصا واحدا ، فلم يتمكن من الحركة ، ثم هجم السيد وهانس على الفرسان وغلباهم وأخذا منهم يمينا بالعمل فى صفنا ، الا أحدهم فقد تمكن من الفرار .

اليزابت : أريد أن أراه . هل سيصلون عما قريب ؟

الفارس : أمامهم الوادى يرتقونه ويصلون بعد ربع الساعة .

ماريا : لابد أنه محطم النفس .

الفارس : نعم وتبدو عليه الكآبة الشديدة .

ماريا : سيحز فى قلبى النظر اليه .

اليزابت : آه . ـ ساعد الطعام الآن ، فلابد أنكم جائعون جميعا .

الفارس : جائعون جدا .

اليزابت : خذ مفتاح المخزن واحضر أحسن النبيذ . فقد استحققتموه . ( تخرج )

كارل : أريد أن أذهب معك ياعمتى .

ماريا : تعال ياولد . (يخرجان)

الفارس : لن يكون هذا الولد كأبيه ، والا لطلب الذهاب الى مربط الخيل .

(جوتس . فايزلينجن . جنود الفرسان)

جوتس (وهو يضع الخوذة والسيف على المنضدة) : فكوا أربطة سربالى وأعطونى سترتى . سأنعم الآن بالراحة . أصبت ياأخ مارتن . ـ لقد شغلتنا شغلا شديدا ، يافايزلينجن . (فايزلينجن لايرد ، ويقطع المكان جيئة وذهابا) تشجع .

تعال ، ضع عنك أسلحتك وسربالك . أين ملابسك ؟ أرجو الا يكون شيء قد ضاع منك . (الى أحد الجنود) سل جنوده عن حاجياته وافتحوا الحقائب وحافظوا عليها ألا يضيع منها شيء . ويمكنك أن تأخذ من ملابسي ان شئت .

فايزلينجن : دعني في حالي ، فكل الامور تستوى في نظرى .

جوتس : يمكنني أن أعطيك ثوبا جميلا نظيفا وان كان من النيل . فقد ضاق على . وهو الثوب الذى كنت أرتديه في حفل عرس سيدى الكريم الفالتسجراف ، يوم اغتاظ منى مطرانكم ، وكنت قد أغرقت له قبل أسبوعين سفينتين في نهر الماين . وكنت بصحبة فرانتس فون زيكينجن في «حانة الوعل» بهايدلبرج ، وصعدنا الدرج ، فلما بلغنا البسطة ذات السور الحديدى ، رأينا المطران عندها واقفا فمد يده الى فرانتس مصافحا ثم مدها الى أيضا ، ونحن نسير الواحد وراء الآخر . وضحكت في نفسي وذهبت الى جراف هاناو الذى أحبه وقلت له : لقد مد المطران يده الى مصافحا، وأراهن أنه لم يعرفني . وسمع المطران كلامي ، لأنني كنت أتكلم بحماس ، فأقبل علينا مغتاظا — وقال : طبعا لأنني لم أعرفك مددت اليك يدى . فقلت : لقد لاحظت ياسيدى أنك لم تعرفني ، خذ ، هذه يدك أعيدها اليك . هنالك احمرت رقبة الرجل من الغيظ حتى شابهت السرطان ، وجرى الى الحجرة وشكاني للفالتسجراف لودفيج ولأمير ناساو . وكثيرا ما تندرنا بهذه الواقعة فيما بعد .

فايزلينجن : كم أحب لو تركتني وحدى .

جوتس : لم هذا ؟ أرجوك أن تأخذ راحتك . حقيقة أنك في قبضتي ولكني لن أسيء اليك .

فايزلينجن : لم يساورني في ذلك أدنى ريب . فهذا واجب تفرضه عليك الفروسية .

جوتس : وأنت تعلم أن الواجب الفرسانى مقدس عندى .

فايزلينجن : أنا أسير . وكل ماعدا ذلك لايهمنى .

جوتس : لا يصح أن تتكلم على هذا النحو ، عندما تتكلم مع أمراء قد يزجون بك فى قاع زنزانة سحيقة ويكبلونك بالأغلال ويأمرون الحارس أن ينفى النوم عن عينيك بالنفخ فى النفير .

(يدخل الجنود بالملابس . فايزلينجن يغير ملابسه . كارل يدخل )

كارل : صباح الخير ياأبى .

جوتس (يقبله) : صباح الخير يابنى . كيف أمضيتم الوقت فى غيابى ؟

كارل : كنت فى غاية المهارة ، يا أبى . لقد قالت لى عمتى اننى فى غاية المهارة .

جوتس : هكذا ؟

كارل : هل أحضرت لى معك شيئا ؟

جوتس : لا ، لم أحضر لك شيئا فى هذه المرة .

كارل : أنا تعلمت كثيرا .

جوتس : عظيم .

كارل : هل تحب أن أحكى لك قصة الولد التقى ؟

جوتس : بعد الأكل .

كارل : وتعلمت شيئا آخر .

جوتس : وماهو ياترى .

كارل : ان ياكستهاوزن قرية وقصر على الياكست ، وانها منذ مائتى عام ارث وملك آل فون برليشينجن .

جوتس : هل تعرف السيد فون برليشينجن ؟

كارل : (يحملق فيه )

جوتس (لنفسه) : انه من فرط تبحره فى العلم لايعرف أباه . ـ من هو مالك ياكستهاوزن ؟

كارل : ياكستهاوزن قرية وقصر على الياكست .

جوتس : لم أسالك عن هذا . ـ لقد تعلمت أنا أسماء جميع المسالك والدروب والمخاضات قبل أن أعرف أسماء الأنهار والقرى والقصور . ـ هل أمك فى المطبخ ؟

كارل : نعم يا أبى . انها تطبخ وتعد الشواء .

جوتس : هذا تعرفه جيدا ياحضرة الطباخ ؟

كارل : وقد أعدت عمتى لى تفاحة لأحلى بها .

جوتس : ألا تستطيع أن تأكل التفاحة طازجة ؟

كارل : ولكن طعمها يحلو فى فمى اذا قليت .

جوتس : أنت تريد أن تنال دائما شيئا خاصا ـ يافايزلينجن ،ساعود اليك توا ، فلابد أن أحيى زوجتى . تعال معى ياكارل .

كارل : من هذا الرجل ؟

جوتس : سلم عليه . وارجوه أن يفرح بك .

كارل : هه ، يارجل ! هل لك يد ؟! طب نفسا فسينتهى اعدادالطعام حالا .

فايزلينجن (يرفعه الى أعلى ويقبله) : أيها الطفل السعيد ، الذى لا يثور ، اللهم الا اذا تأخر عليه العشاء . متعك الله بالصبى يابرليشينجن .

جوتس : حيث يكثر الضوء ، يكثف الظل ـ ولكن الحمد لله على نعمته . ولننتظر ماسيصير اليه حاله . (يخرجان)

فايزلينجن : ليتنى أكون فى نوم واستيقظ . ليت ما جرى لى يكون

حلما . لقد وقعت فى قبضة برليشينجن. فى قبضة رجل لم انفصل عنه الا بشق الأنفس ، وكنت أتحاشى التفكير فيه تمـا يتحاشى الانســان الحريق ، وكنت آمل أن أقهره . أما هو ـ الصديق القديم المخلص جوتس . سبحان الله ، الى أية نهاية يمكن أن ينتهى كل هذا ؟ لقد عدت يا أديلبرت الى هـذه القاعة التى كنا نصخب فيها ونحن صغار ، فى الوقت الذى كنت فيه تحبه وتتعلق به كأنه روحك . أين ذلك الانسان الذى يتصل به ويجد الى كرهه سبيلا ؟ آه . لقد أصبحت نكرة فى هذا المكان . لقد مضيت أيتهـا الأوقات السعيدة التى كان فيها برليشينجن الكبير يجلس الى المدفاة هنا وكنا نجتمع حوله وننغمس فى ألعابنا ، وكنا نحب بعضنا البعض كالملائكة . آه . يا للقلق الذى سيتملك المطران وأصدقائى على !! فأنا أعلم أن الناس فى كل مكان سيهتمون بالحادثةالتى حدثت لى . ولكن ماجدوى هذا . هل فى امكانهم أن يعطونى ما أطمح اليه ؟

جوتس (حاملا زجاجة من النبيذ وكأسين) : لنشرب كأســا الى أن يفرغوا من طهى الطعام . تعال . اجلس وكأنك فى دارك . وتذكر أنك عدت للقاء جوتس فى بيته ، وقد مضت مـدة طويلة لم نجلس فيها معا ونشرب معا كأســا من الراح القراح .. (يقدم اليه كأسا) حتى يبتهج الفؤاد .

فايزلينجن : أوقات مضت وانتهت .

جوتس : لا قدر الله . صحيح أننا لن ننعم مرة أخرى بأيام رغدة كتلك التى أتيحت لنا فى بلاط الماركجراف حيث كنا نصحو معا وننام معا ونخرج معا . أيام الشباب التى أذكرها بالبهجة والسرور . أتذكر يوم حدث سوء تفاهم بينى وبين البولونى الشرير لأنك مسست شعره المزفت الأجعد بكمى بدون قصد ؟

فايزلينجن : نعم ، كنا على المائدة ، وحرك نحوك السكين .

جوتس : فضربت بهمة وشجاعة ، وتوليت أنت زميله . هكذا كنا متلازمين متعاضدين يخلص كل منا لصاحبه ، وكان الناس يعرفوننا بهذه السمة . (يصب له نبيذا ويقدمه اليه) كنا كالتوأمين كاستور وبولوكس اللذين روت الاسطورة الاغريقية أنهما كانا لاينفصلان أحدهما عن الآخر . وكم كنت أفرح عندما ينادينا الماركجراف بكاستور وبولوكس .

فايزلينجن : مطران فورتسبورج هو الذى سمانا هكذا .

جوتس : كان عالما ، وكان مع ذلك لطيفا متواضعا . وسأظل أذكره ماحييت وأذكر كيف كان يداعبنا ويمتدح انسجامنا وتوافقنا ويقول السعيد من كان توأم صديقه .

فايزلينجن : لاتسترسل فى هذا الحديث .

جوتس : لم لا ؟ لم يكن يحلو لى بعد الجهد الشاق شىء أكثر مما كان تذكر الماضى يحلو لى . طبعا ، عندما أتذكر كيف كنا نحمل السراء والضراء معا ، وكيف كان كل واحد منا لصاحبه كل شىء ، وكيف كنت أتصور فى ذلك الحين أن تلك الحال ستدوم ماحيينا ! ألم تكن تلك سلواى الوحيدة عندما أطاحت ضربة بيدى عند لاندسهوت ، وتوليتنى أنت بالرعاية وعنيت بى أكثر مما يعنى الأخ بأخيه ؟ لقد كنت فى ذلك الوقت آمل أن يصبح آديلبرت يدى اليمنى . والآن ـ

فايزلينجن : آه .

جوتس : لو أنك اتبعتنى آنذاك عندما رجوتك أن تذهب معى الى برابانت ، لظلت المياه فى مجاريها . ولكن حياة البلاط المقيتة والاغراق فى الملذات واللهو مع النساء أفعدتك . كنت دائما أقول لك عندما كنت أجدك تباسط النسوة الشمط

الفاسقات الدنيئات وتحكى لهن عن الزيجات التعيسة والبنات الساقطات ، وان لهذه بشرة غليظة ولتلك مالا أدرى ماذا مما تحببن الاستماع اليه ، كنت أقول لك : يا أديلبرت ستصبح نذلا !

فايزلينجن : فيم حديثك هذا ؟

جوتس : ايت الله يمكننى من نسيانه . أو ليته يغيره . ألست حرا كريما ككل انسان فى ألمانيا ، مستقلا لاتتبع الا القيصر وحده ؟ فلماذا تنضوى تحت لواء التبع والرعية ؟ ماذا تنال من المطران ؟ هل لأنه جارك ؟ لأنه قد يستطيع أن يشاكسك ؟ أما لك ذراعان وأصدقاء للرد على مشاكساته؟ أتتنكر لقيمة الفارس الحر الذى لا يتبع الا الله والقيصر ونفسه ؟ أتجعل من نفسك الخادم الاول لكاهن حقود حسود عنيد ؟

فايزلينجن : دعنى أتكلم .

جوتس : هل لديك ماتقوله ؟

فايزلينجن : انك تنظر الى الأمراء كما ينظر الذئب الى راعى الغنم . فهل يمكنك أن تنكر أنهم يسهرون على خير بلادهم وشعوبهم؟ ثم هل هم فى مأمن لحظة واحدة من الفرسان الظلمة الذين ينقضون فى كل الشوارع والمسالك على رعاياهم ويخربون القرى والصروح ؟ فاذا كانت ممتلكات القيصر الالمانى العزيز تتعرض من الناحية الاخرى لهجوم العدو اللدود (1) ، فكيف يلتمس العون من الاقاليم والأمراء فيها لايكادون

(1) يشير الى الاتراك الذين كانوا منذ عام ١٥٢٦ فى حرب مع آل هابسبورج . ( المترجم )

يأمنون على حياتهم : أليس حب الخير هو الذى يحركهم الى التفكير فى اشاعة الهدوء فى ألمانيا وتأكيد القانون والعدل وتمكين كل انسان ، كبيرا أو صغيرا من التمتع بثمار السلام (١) ؟ وانت يا برليشسينجن تلومنا على أننا نلوذ بحماهم لانهم قريبون منا ، بدلا من التماس حماية صاحب الجلالة القيصر الذى يبعد عنا ولايعرف كيفيحمى نفسه .

جوتس : نعم ! نعم ! فهمت . لو كان الأمراء يافايزلينجن على ماوصفت لنلنا كلنا مانصبو اليه ، ولتحقق لنا الهدوء والسلام . كم أتمنى لو استطعت أن أصدقك ! الهدوء والسلام يتمناه كل طائر جارح ليلتهم غنيمته حسبما يشتهى . أكثر الله من خيرهم ، انهن يكافحون من أجل الهدوء والسلام حتى ابيضت شعورهم ! وما أحقر الطريقة التى يلعبون بها على القيصر ، فيروجون أنه يريد الصالح ويرمى الى الاصلاح ، ثم يأتى كل يوم انتهازى جديد ويبشر بهذا أو ذاك من الآراء . والسيد يعتقد أن كل شىء ينفذ بسرعة ويسر ، لأنه يفهم كل الامور ولأنه صاحب الحل والربط الذى يقول الكلمة فتتحرك لتحقيقها آلاف الأيدى. وهكذا تتوالى الأوامر ، وهكذا تنطوى الواحد بعد الآخر فى النسيان ، والأمراء لايسعون الا لما فيه صالحهم ويتشدقون بالهدوء والامن الذى يسود الرايخ حتى يدوسوا الصغار بنعالهم . وأنا استطيع أن أقسم على أن هناك من الأمراء

---

(١) السلام المشار اليه هو ما يسمى بالسلام الأبدى الذى قرره القيصر فى مجلس الرايخ عام ١٤٩٥ ، والذى كان القصد منه أن يكف عن تحقيق العدل كل بيده ، وأن يكون اقامة العدل من شأن السلطة القضائية ( المترجم )

من يشكر الله فى سره على أن الاتسراك ينصبون للقيصر ميزانهم .

فايزلينجن : أنت ترى الأمور من جانبك .

جوتس : هذا مايفعله كل انسان . ولكن المهم هــو : فى جــانب من النور والحق ؟ وأقل ما يقال إن أفكارك تخشى النور .

فايزلينجن : لك أن تقول ما شئت فأنا أسير .

جوتس : بل انت حر اذا كان ضميرك صافيا. الا تذكر مافعلوه باتفاقية السلام ؟ لازلت أذكر يوم ذهبت وأنا فى السادسة عشرة مع الماركجراف الى مجلس الرايخ . كان الغيظ يرتسم على أشداق الأمراء ، وكان رجال الدين أشد غيظا . يومها ملأ مطرانكم أذنى القيصر صخبا وضجيجا ، وكأن معجزة أنبتت العدل على قلبه • واليوم يختطف واحدا من صبيانى فى الوقت الذى ارتبط فيه معى باتفاق لتسوية خلافاتنا وأصبحت فيه لا أتوقع شرا . ألم تعقد بيننا تســوية ؟ فما شأنه بالصبى ؟

فايزلينجن : حدث هذا دون علمه

جوتس : فلماذا لايطلق سراحه ؟

فايزلينجن : لأنه لم يتصرف كما ينبغى .

جوتس : كما ينبغى ؟ وأنا أقسم لك انه فعل ما ينبغى عليه أن يفعله وانني متأكد من ذلك تماما كما أنا متأكد من انه أسر بعلمك وعلم المطران . أم لعلك تظن أننى غرير ولدت اليوم وأننى لا أعرف القصد من كل هذه الأمور ؟

فايزلينجن : انت ثائر ولهذا فأنت تظلمنا .

جوتس : أتحب يافايزلينجن أن أصارحك بكل مايعتمل فى نفسى ؟ أنا فى نظركم شوكة تتهدد أقدامكم ، أنا الرجل الصغيرالبسيط

ومثلى زيكينجن وزيلبيتس . لاننا مصممون على أن نموت
قبل أن نضطر الى الاعتراف لأحد غير الله بالهواء الذى
نتنسمه والى وضع عهودنا وجهودنا فى خدمة انسان غير
القيصر . لهذا يطوقوننا ويشون بى لدى صاحب الجلالة
القيصر ولدى أصدقائهم وجيرانى ، ويبثون الجواسيس
حوالى . انهم يريدوننى بأية وسيلة . وهذا هو السبب
الذى من أجله قد قبضتم على أحد صبيانى ، فقد كنتم
تعلمون أننى أرسلته ليكشف لى الطريق قبل أن أسلكه ،
ولهذا السبب لم يتصرف معكم كما ينبغى ، كما تمنيتم ،
لم يخنى . وأنت يافايزلينجن ، أنت عميلهم .

فايزلينجن : برليشينجن .

جوتس : لا حاجة بى الى كلمة أكثر . فانا عدو الشروح والتفاسير .
والانسان اما أن يخون نفسه أو يخون آخر ، أو يخون
نفسه وآخر معا فى أغلب الأحوال .

كارل : الى المائدة ، ياأبى .

جوتس : هذا خبر سعيد ـ تعال ، وأرجو أن تسرى نسائى عنك ،
فقد كنت محبوب النساء ، وطالما تناقلت البنات أخبارك!
تعال ! (يخرجون)

## ( فى قصر المطران ببامبرج • قاعة الطعام )

( مطران بامبرج • رئيس دير فولدا • اوريـاريوس
سبتراوت . جماعة البلاط . المائدة ممدودة . الحلو
يقدم ، ويأتى خدم بكؤوس كبيرة )

المطران : هل يدرس كثير من النبلاء الالمان فى جامعة بولونيا (1)

(1) جامعة ايطالية شهيرة ( المترجم )

أولياريوس : من النبلاء ومن عامة المواطنين . ويمكنني دون تفخيم او تعظيم أن أقول انهم يحظون بأعظم التقدير ، حتى اعتاد الناس في الجامعة على ترديد عبارة كالمثل السائر تقول : «مجد كالماني من النبلاء» . ففي الوقت الذي يبذل فيه الطلاب من طبقة العامة الجهد الحميد لتعوضهم مواهبهم عما لم يؤتوه بالميلاد ، يسمى الطلاب من طبقة النبلاء في منافسة كريمة الى زيادة حسبهم بألوان من التحصيل الباهر .

رئيس الدير : آه .

ليبراوت : هناك من يقول مالم نعهده في حياتنا . «مجد كالماني من النبلاء» ، تلك عبارة لم أسمع بها في حياتي .

أولياريوس : انهم محط اعجاب الجامعة كلها ، وسيعود منهم بدرجة الدكتوراه قريبا نفر من الذين طال عهدهم بالدرس وتأكدت مهارتهم فيه • وسيسر القيصر ان يعينهم في المناصب الأولى .

المطران : هذا ما لن يتأخر فيه .

رئيس الدير : هل تعرف على سبيل المثال ذلك الشاب من النبلاء ؟ ــ هو من منطقة هيسن ــ

أولياريوس : من منطقة هيسن كثيرون .

رئيس الدير : اسمه ياسيدي ــ وهو ــ ألا يعرفه أحد منكم ؟ ــ أمه واحدة من ــ آه . وأبوه كان بعين واحدة ــ وكان مارشالا .

ليبراوت : فون فيلدنهولتس ؟

رئيس الدير : تماما ــ فون فيلدنهولتس .

أولياريوس : نعم أعرفه ، انه شاب ذو قدرات عديدة ، وقد اشتهر خاصة بقدرته على المجادلة .

رئيس الدير : ورثها عن أمه .

ليبراوت : ولم يكن زوجها يود أن يعرف شيئا عن هـــذه القــدرة قط .

المطران : كنت تتكلم عن القيصر الذى كتب لكم القـــانون ، فمـا اسـمه ؟

أولياريوس : يوستينيانوس (١) .

المطران : رجل عظيم . أطال الله بقاءه .

أولياريوس : بقاء ذاكره ! (يشربون)

رئيس الدير : لابد أن مدونة يوستينيانوس هذه كتاب جميل .

أولياريوس : حقا ، حتى ان الانسان ليود أن يسميه كتاب الكتب ، انه ديوان يضم كل القوانين ويذكر فى كل قضية الحكم الصائب . أما الأحوال التى تتصف بالتشابك أو الغموض أو التى لم يرد ذكرها ، فقد تناولتها التعليقات التىدونها أعلم الرجال على أعظم كتاب وزينوا بهـــا حواشـــيه وجمتوها .

رئيس الدير : مجموعة تضم القوانين كلها ! شيء عظيم ! لابــد أن الوصايا العشر فيها .

أولياريوس : بمعناها لا بلفظها .

رئيس الدير : هذا ماقصدت اليه ، ولابد أنها مذكورة بمفردها دون ايضاحات أخرى .

المطران : وأجمل شيء هو ماقلته من أن الدولة التى تدخل هـــذه

---

(١) المقصود هو القيصر البيزنطى الذى عاش بين عامى ٤٨٢ و ٥٨٥ للميلاد وعرف بحروبه ضد الفندال والقوط والفرس ، واشتهر بمجموعة القوانين التى أمر بجمعها فأصبحت من المصنفات القانونية الهامة «مدونة القانون المدنى ليوستينيانوس» . (المترجم)

القوانين كاملة وتحسن القيام عليها تعيش فى أمن وسلام مؤكد .

أوليباريوس : لا جدال فى هذا .

المطران : فى صحة دكاترة القانون جميعا !

أوليباريوس : هذا شىء ينبغى على أن أمجدكم من أجله . (يشربون) ليت الله يجعل الناس فى بلدى يتكلمون عن دكاترة القانون على هذا النحو !

رئيس الدير : من أين أنت ياسيدى العالم العظيم ؟

أوليباريوس : من فرانكفورت على الماين ، تحت أمر نيافتكم !

المطران : أليست علاقتك بالسيد هناك طيبة ؟ وكيف هذا ؟

أوليباريوس : شىء عجيب حقا . ذهبت الى هناك لاتسلم ميراثا آل الى بعد وفاة أبى ، فرجمنى العامة بالحجارة عندما عرفوا اننى من رجال القانون .

رئيس الدير : أعوذ بالله .

أوليباريوس : ولكن السبب هو أن المحكمة هناك ، وهى تتمتع بشهرة واسعة فى دائرة فسيحة ، تتكون من رجال لايلم أحد منهم بطرف من القانون الرومانى ، ويعتقدون أن الانسان يكفيه العمر والخبرة ليحصل على معرفة دقيقة بأحوال البلد ما ظهر منها وما بطن ، ويحكمون لهذا بين الناس من مواطنيهم وحياتهم طبقا لتقاليد موروثة وقليل من اللوائح .

رئيس الدير : وهذا خير .

أوليباريوس : ولكنه أبعد بكثير عن أن يكفى ، فحياة الانسان قصيرة والقضايا المختلفة لايمكن أن تطرأ فى جيل واحد . أما قانوننا نحن فعبارة عن مجموعة من القضايا من قرون

عديدة . يضاف الى هذا أن ارادة الانسان ورأيه يتغيران ، فما يلوح له اليوم من الصواب ، يتمثل له غدا خطلا ، وهذا يؤدى الى الارتباك والظلم . أما عندنا ، فالأمور تحددها القوانين ، والقوانين ثابتة لاتتغير .

رئيس الدير : لاشك أن هذا أحسن .

أوليباريوس : ولكن عامة الشعب لاتتبين هذا ولاتعترف به ، وهى على الرغم من شغفها بكل جديد ، تكره التجديد أشد الكره اذا أخرجها عن طريقها حتى ولو كان فى ذلك صالحها . والناس يكرهون رجل القانون وينظرون اليه كما لو كان يهدف الى اشاعة الاضطراب فى الدولة ، أو كما لو كان دجالا ، ويصيبهم مايشبه الجنون اذا فكر رجل من رجال القانون أن يقيم بينهم .

ليبتراوت : أنت اذن من فرانكفورت . وأنا مشهور هناك . فعندما احتفل بتتويج القيصر ضيعنا على عريسكم شيئا من حقوق الزوجية . قلت ان اسمك أوليباريوس ؟ لاأعرف هناك عائلة بهذا الاسم .

أوليباريوس : أبى كان اسمه أولمن . ولكنى رغبة فى تجنب سوء فهم الاسم فى عناوين مؤلفاتى اللاتينية ، سميت نفسى بنصيحة علماء أفاضل فى القانون وسيرا على سنتهم : أوليباريوس .

ليبتراوت : أحسنت بترجمة اسمك . فالنبى لا كرامة له فى وطنه . ولو أبقيت اسمك فى لغته لجرى لك مع لغتك مايجرى للانبياء مع أوطانهم .

أوليباريوس : لم يكن هذا هو السبب .

ليبتراوت : لكل شيء سببان .

رئيس الدير : لا كرامة لنبى فى وطنه .

ليبتراوت : أتعلم لماذا ياسيدى الجليل ؟

رئيس الدير : لأنه ولد ونشأ فيه .

ليبتراوت : حسنا . هذا هو السبب الاول . اما السبب الثاني فهو أنه بمخالطته السادة عن قرب يفقد سمة المهابة والقدسية التي يدفعنا البعد الغامض الى اضفائها عليه ، والحقيقة أنها لاتزيد عن أن تكون قطعا من الدهن الغليظ

أولياريوس : يبدو أنك ميسر لقول الحقائق .

ليبتراوت : مادامت الجرأة في قلبي ، فلايفتقر اليها فمي .

أولياريوس : بل يفتقر الى المهارة في وضع الامور في موضعها .

ليبتراوت : كاسات شفط الدم تكون في موضعها اذا شفطت .

أولياريوس : عمال الحمامات يعرفون بالمريلة التي يرتدونها ، ولاينبغي ان يغضب الانسان منهم وهم يؤدون عملهم • والافضل ان تزيد من الحيطة فتلبس طاقية المهابيل .

ليبتراوت : أين حصلت على الدكتوراه ؟ قل لي حتى أعرف الورشة المناسبة التي أذهب اليها اذا خطر ببالي أن أصبح دكتورا .

أولياريوس : أنت وقح .

ليبتراوت : وأنت متعجرف .

( المطران ورئيس الدير يضحكان )

المطران : لنتحدث في موضوع آخر ـ ولاينبغي أن نثور الى هذا الحد ياسادة . هذا لايليق على المائدة . ـ تكلم في موضوع آخر ياليبتراوت .

ليبتراوت : في الناحية المقابلة لمدينة فرنكفورت شيء يسمونه زاكسنهاوزن ـ

أولياريوس (للمطران) : ما أخبار حرب الاتراك ياصاحب السمو ؟

المطران : القيصر لايولي اهتمامه شيئا أكثر مما يوليه اعادة الهدوء الى

الرايخ أولا ، وبالقضاء على المنازعات الاهلية وتثبيت أركان المحاكم وسمعتها . ثم يقولون انه يريد بعد ذلك أن يخرج بنفسه لمحاربة أعداء الرايخ والمسيحية . أما الآن فهو مشغول بمشاكله الشخصية ، ومازال الرايخ رغم اتفاقات اعادة السلام الكثيرة يبدو كأنه جحر حفره القتلة والسفاحون. مازالت مناطق فرانكن وشفابن وأوبرراين وماحولها تتعرض للفرسان الجسورين المتهورين الذين يشيعون الخراب والدمار . هناك زيكينجن الاعرج وبرليشينجن ذو اليد الحديدية ينتقصان فى تلك الأجزاء من هيبة القيصر .

رئيس الدير : اذا لم تتخذ ياصاحب الجلالة اجراء عاجلا فسيتمكنون من الانتصار علينا ـ

ليبتراوت : لايمكن أن ينتصر عليك الا رجل يستطيع أن يدس دن خمرفولدا الضخم فى كيس صغير .

المطران : انما يشغل بالى بنوع خاص عدو لى منذ سنوات عديدة لايرضى بتسوية ويعمل على النيل منى بطريقة لاتوصف . ولكن هذه الحال لاينبغى أن تدوم طويلا ، وهذا هو ما آمله . والقيصر يعقد بلاطه الآن فى أوجسبورج . وقد اتخذنا اجراءاتنا ولايمكن أن نفشل . ـ ياحضرة الدكتور هل تعرف أديلبرت فايزلينجن ؟)

أولياريوس : لا ياصاحب النيافة .

المطران : اذا انتظرت حتى يعود هذا الرجل ، فستسعد برؤية أكرم وأذكى والطف فارس .

أولياريوس : لابد أنه رجل ممتاز حقا ، اذ استحق كل هذا المديح من فم كفمك .

ليبتراوت : وان لم يكن قد درس بجامعة .

المطران : معلوم ! (الخدم يهرعون الى النافذة) . ماهنالك ؟

خادم : دخل فيربر تابع فايزلينجن لتوه من بوابة القصر .

المطران : انظر باى خبر أتى ، لابد أنه سيعلن عن قرب وصوله .

(ليبتراوت يخرج . الباقون يقفون ويشربون كأسا أخرى وهم وقوف) .

(ليبتراوت يعود)

المطران : كيف الاخبار ؟

ليبتراوت : تمنيت لو أن أحدا غيرى هو الذى حمل اليك النبا . لقد أسر فايزلينجن .

المطران : آه .

ليبتراوت : اختطفه برليشينجن وثلاثة من رجاله عند هاسلاخ . وتمكن أحد الرجال من الفرار ، فحمل اليك النبأ .

رئيس الدير : نبا الشؤم .

أولياريوس : انه يحز فى فؤادى .

المطران : أريد أن أرى الرجل ، فليصعد الى ، حتى أكلمه بنفسى . آتونى به الى حجرتى . (يخرج)

رئيس الدير (يجلس) : هات جرعة من الخمر .
(الخدم يصبون شيئا من الخمر فى كأسه)

أولياريوس : ألا تودون ياكرام أن نتمشى قليلا فى الحديقة ؟ يقولون : بعد الأكل قف أو تمشى ألف خطوة .

ليبتراوت : حقا ، فالجلوس لايصلح لكم . وستصابون بضربة دم اذا ظللتم جالسين .

( رئيس الدير ينهض )

ليبتراوت (لنفسه) : عندما أنالك فى الخارج سأعرف كيف ألف بك ألف خطوة .. (يخرجون)

## ( ياكستهاوزن )

## ( ماريا و فايزلينجن )

ماريا : تقول أنك تحبنى . وأنا يسرنى أن أصدقك وأتمنى أن أسعد معك وأسعدك .

فايزلينجن : لست أحس الا شيئا واحدا ، هو أننى لك وحدك . (يعانقها) .

ماريا : دعنى من فضلك . لقد سمحت لك بقبلة على سبيل الصدقة، ولكن يبدو أنك تريد أن تمتلك مالايحق لك الا بشروط .

فايزلينجن : أنت قاسية ياماريا . الحب الطاهر يسر الرب ولا يغضبه .

ماريا : ليكن . ولكنى لم أنشأ على هذا . كانوا يعلموننى أن الغزل كالسلاسل تشتد اذا تقاربت ، وأن البنت اذا أحبت صارت أوهن من شمشون بعد ضياع شعره .

فايزلينجن : من علمك هذا ؟

ماريا : رئيسة الدير . فقد لازمتها حتى السادسة عشرة من عمرى، ولم أحس بالمتعة التى كنت أحسها معها، الا عندما عرفتك. كانت قد أحبت ، فتكلمت . وكان قلبها يجيش بالعاطفة . لقد كانت امرأة ممتازة .

فايزلينجن : فقد كانت مثلك . ( يتناول يدها ) ماذا سيحدث لى عندما يكون على أن أتركك .

ماريا (تسحب يدها) : ستحس بالضيق ، على ماأتمنى ، لأننى أعرف ماسيحدث لى . ولكن لابد أن ننصرف .

فايزلينجن : نعم ، ياحبيبتى . ثم أننى أود الرحيل .. لأننى أحس بالنعيم الذى سيتاح لى عندما أقدم هذه التضحية ، أعنى

عندما أرحل . بارك الله فى أخيك وفى اليوم الذى خرج فيه ليقبض على .

ماريا : لقد كان قلبه فى ذلك اليوم يفيض بالأمانى لك ولنفسه . وقال لنا وداعا ، سأجتهد فى استرداده .

فايزلينجن : ولقد نحقق له ما أراد . كم كنت أتمنى ألا تصاب أملاكى فى ادارتها وأمنها بالضر نتيجة انهماكى فى حياة البلاط السخيفة . ولك أن تصبحى زوجى حالا .

ماريا : ولكن التاجيل فيه متعته .

فايزلينجن : لاتقولى هذا ياماريا ، والا ظننت أن حبك لى أضعف من حبى لك . وأنا أعلم أننى اكفر عن ذنبى بحق ، وأعلم أيضا أن الآمال الكبار سترافق كل خطوة من خطواتى . أريد أن أكون لك وحدك وألا أعيش الا فى صحبة جماعة من الأخيار بعيدا عن العالم ، منفصلا عنه ، أنمتع بالسعادة الكاملة التى يتبادلها قلبان كقلبينا . ماذا تساوى حظوة الامير ومرضاة الدنيا اذا قيست بهذه السعادة الفريدة ؟ طالما تمنيت وتمنيت ، فاوتيت أكثر مما تمنيت وأملت .

( جوتس يدخل )

جوتس : لقد عاد صبيك ، وكان متعبا جائعا لا يستطيع الكلام ، فأعطته زوجى طعاما حتى يسترد قواه . وقد فهمت منه أن المطران لايريد أن يطلق سراح صبينا الذى أسره ، وأنه يريد أن يعين القيصر محكمة ويحدد يوما لتسوية القضية . ومهما يكن من أمر ياأديلبرت فأنت حر طليق ، ولست أطلب منك سوى يدك تعدنى بها أنك لن تعين أعدائى لا فى السر ولا فى العلانية .

فايزلينجن : هات يدك أصافحك ، ولتكن الصداقة والثقة من هذه

اللحظة قائمة ثابتة بيننا لاتتغير وكأنها قانون أبـدى من قوانين الطبيعة الأبدية . واسمح لى أيضا أن أمد يدى الى هذه اليد (يتناول يد ماريا) لأنال أكرم البنات جميعا .

جوتس : هل أرد عنك ؟

ماريا : أو قل معى .

جوتس : تلك سعادة غامرة أن تتفق مصالحنا معا هـذه المرة أيضا ! لا حاجة بك ياعزيزتى الى الخجل ، فنظراتك تتحـدث بلسانك وتأتى بالدليل الكافى . اذن فانت تريدين فايزلينجن: تصافحا وتعاهدا ، وأنا أباركما . ـ أى صديقى وأخى !ـ شكرا لك ياأختى ! ـ انك تعرفين فى غزل أشياء غير آتيال القنت . لقد فتلت خيطا قيدت به هذا الطائر الفردوسى وهو صعب المنال . ماذا بك يا أديلبرت، انك لا تبدو على سجيتك ؟ أنا ـ أنا سعيد جـدا ، لقد تحقق لى ماكنت أحلم به فقط وآمله ، واذا بى كأنى مستغرق فى حلم . آه . لقد انتهى حلمى . رأيت فى هذه الليلة فى المنـام اننى أقدم اليك يدى اليمنى الحديدية ، فأمسكتنى بقوة حتى كادت يدى تنقصم وتنفصل عن ساعدى . فأخـذنى الرعب وصحوت ، وكان ينبغى على أن أكمل الحلم لأراك تضـع لى بدلا منهـا يدا حية جديدة . ـ عليك الآن أن تصلح حال قصرك وضياعك الى الكمال ، بعد أن أدت حياتك فى البلاط بالقصر وبالارض الى الاضطراب . لأنادى زوجى. اليزابت .

ماريا : أخى غمره الفرح .

فايزلينجن : والفرح الذى غمرنى جدير بأن ينافس فرحـه ويعـلو عليه .

جوتس : ستسكنين مكانا جميلا .

ماريا : فرانكن منطقة خصبة مباركة .

فايزلينجن : ويمكنني أن أقول أن قصري يقع في أخصب وأجمل بقعة .

جوتس : صدقت . دعني أوضح لها وأصف . من هذه الناحية ينساب نهر الماين ، وترتفع الارض على هيئة جبل تكسوه الحقول والأعناب ويتوجه قصرك ، ثم ينحنى النهر بسرعة حول المنعطف وراء صخرة القصر . والناظر من نوافذ القاعة الكبرى يرى الارض تنحدر بشدة الى المياه الجارية ، ويرى منظرا طبيعيا يمتد الى أميال وأميال .

( اليزابث تدخل )

اليزابث : ماذا تصنعون هنا ؟

جوتس : مدى يدك اليهما انت أيضا وقولى لهما : باركتما الله . فقد اتفقا على الزواج .

اليزابث : بهذه السرعة .

جوتس : لم يكن هذا مستبعدا .

اليزابث : عسى أن يستمر تلهفك عليها كما كان في الوقت الذي سعيت فيه لتنيل يدها . ثم . لتسعد بها بقدر تمسكك بحبها .

فايزلينجن : لست أرجو سعادة الا على هذا النحو .

جوتس : سيقوم الخطيب ، يازوجى العزيزة ، برحلة صغيرة ، لان هذا التغير العظيم يستتبع تغيرات أخرى كثيره طفيفة . فسيبتعد أولا عن بلاط المطران ويدع صلة الصداقة التى تربطه به تبرد قليلا قليلا . ثم سينتزع ضياعه من أيدى المستغلين . والآن تعالى يا أختى ، تعالى يا اليزابث . نريد أن نتركه وحده ليلتقى بصبيه الذى يحضر اليه دون شك بأخبار سرية .

فايزلينجن : ليس لدى ماأخفيه عنك .

جوتس : ولا ما أتوق الى كشعه ! ـ يافرانكن وياشفاين ، لقد ارتبطنا برباط أخوة لهم تعهداه من قبل. والآن سنعرف كيف نضيق الخناق على الأمراء . (يخرج الثلاثة)

فايزلينجن : رب السماء . هل أستحق منك أنا الدنيء هذه السعادة؟ انها أكبر من أن يستطيع قلبى تحملها . كيف تركت هؤلاء البائسين وكنت أعتقد أننى أسيطر عليهم ، كيف تخلصت من نظرات الامراء ومن التبجيل فى كل مكان . جوتس أيها الصديق المخلص . لقد أعدتنى الى نفسى . وأنت ياماريا. لقد أتممت تغيير فكرى . اننى أحس بنفسى حرا طليقا كأننى أهيم فى هواء صاف . لاأريد أن أرى بامبرج مرة أخرى ، أريد أن أقطع كل علاقاتى المهينة التى كانت تحط بى دون قدرى . لقد اتسع قلبى ، ولم يعد يسعى لاهثا الى عظمة محرمة . ليس هناك فى الدنيا بلاشك من عظمة وسعادة الا فى أن يكون الانسان بغير حاجة الى السيطرة أو الخضوع ، ليصبح شيئا .

( فرانتس يدخل )

فرانتس : حياك الله ياسيدى العظيم . لقد حملت اليك تحيات كثيرة جدا لا أعرف مع كثرتهامن أين أبدأ . بامبرج ومنطقة قطرها عشرة أميال تبعث اليك ألف تحية .

فايزلينجن : مرحبا بك يافرانتس . وماذا معك من أخبار ؟

فرانتس : أنت ماثل فى ذاكرة صحبة البلاط والناس جميعا ، على نحو لا سبيل الى التعبير عنه .

فايزلينجن : هذا أمر لن يطول .

فرانتس : بل سيستمر ماحييت ، وعندما تموت سيشع متلألئا اكثر من الحروف النحاسية على شواهد القبور .

فايزلينجن : وماذا قال المطران ؟

فرانتس : كان مشتاقا الى معرفة كل شيء وانهال على بأسئلة متلاحقة عرقلت سرعتها اجاباتي .. وكان قد أحاط بالخبر قبل وصولي ، لأن فيربر الذى هرب من هاسلاخ كان قد ذهب اليه وأخبره بما حدث . ولكنه كان يريد أن يعرف كل شيء ، وسألني قلقا عما اذا كنت سليما لم يصبك سوء . فقلت له : انه سليم معافى من قمة رأسه الى أخمص قدمه .

فايزلينجن : وماذا قال بشأن الاقتراحات ؟

فرانتس : كان في أول الأمر يريد أن يطلق سراح الأسير ، وأن يدفع حتى يخلصك من أسرك . فلما علم انك ستخرج من الأسر دون هذا وذاك ، لقاء وعد منك يكون معادلا لدية الأسير صمم على أن يحدد موعد لمقاضاة برنيشنجن . وقد حملني بمائة رسالة لك ـ نسيتها كلها ، وأفاض في خطبة موضوعها : لايمكنني الاستغناء عن فايزلينجن .

فايزلينجن : بل سيكون عليه أن يتعلم كيف يستغني عني .

فرانتس : ماذا تعني ؟ لقد قال لي : قل له أن يسرع في الحضور فهناك أمور كثيرة تنتظره .

فايزلينجن : يمكنها أن تنتظر . فلن أعود الى البلاط .

فرانتس : لن تعود الى البلاط ؟ سيدي . كيف طرأ عليك هذا ؟ ليتك تعلم ماأعلم .. ليتك تستطيع أن تحلم بما قد رأيت .

فايزلينجن : ماذا بك ؟

فرانتس : ان مجرد الذكرى تجعلني افقد السيطرة على نفسي . بامبرج لم تعد بامبرج ، لقد حل بها ملاك على هيئة امرأة جعلها ساحة في واجهة الجنة .

فايزلينجن : فقط .

فرانتس : لو انك رأيتها ولم تفقد السيطرة على نفسك ، فلك على أن أصبح قسيسا !

فايزلينجن : فمن هذه ؟

فرانتس : أدلهايد فون فالدورف .

فايزلينجن : آه . لقد سمعت الكثير عن جمالها .

فرانتس : سمعت ؟ ان كلمة سمعت فى هذه الحالة لتشبه قولك رأيت بالنسبة للموسيقى . انه ليصعب على اللسان أن يعبر عن سمة واحدة من سمات روعتها ، لأن العين تعجز عن الابصار فى حضرتها .

فايزلينجن : أنت لست فى وعيك .

فرانتس : هذا ممكن . عندما رأيتها فى المرآة الاخيرة لم يكن لدى من الوعى الا قدر مايكون لدى السكران . أو بعبارة أخرى عندما رأيتها أحسست بأنى أختلج بما يختلج به القديسون عندما تلوح لهم الرؤى السماوية . الحواس كلها تقوى وتسمو وتكمل ولكنك لاتستطيع أن تستعمل أيا منها .

فايزلينجن : هذا شيء عجيب .

فرانتس : عندما ذهبت لتوديع المطران ، كانت هى جالسة بجواره ، تلعب معه الشطرنج . وتلطف معى جدا ، ومد الى يده لأقبلها وقال لى كلاما كثيرا لم أسمع منه شيئا . لاننى تطلعت الى جارته التى ركزت بصرها على رقعة الشطرنج وبدت كأنها تعد للعبة عظيمة . ارتسمت حول فمها وخدها سمة رقيقة تعبر عن التربص . كم وددت أن أكون قشاط الملك العاجى الذى تحركه بيدها . كان النبل والظرف يرتسمان على جبينها . وكان نور باهر يشع من محياها وصدرها عندما ينحسر عنهما شعرها الفاحم .

فايزلينجن : لقد حولك هذا الى شاعر .

فرانتس : لقد أحسست فى تلك اللحظة بما يجعل الشاعر شاعرا : انه القلب الممتلىء باحساس واحد غامر. فلما فرغ المطران من كلامه وانحنيت له ، نظرت الى وقالت لى : بلغه منى أنا أيضا تحية وان لم يعرف بعضنا بعضا ، وقل له أن ياتى سريعا ، فهناك أصدقاء جدد ينتظرونه ، ولا ينبغى أن يتجاهلهم لكثرة القدامى . ـ وأردت أن أرد بشيء ، ولكن الطريق الموصل بين قلبى ولسانى كان موصدا . فاكتفيت بالانحناء . وكنت أتمنى أن أقبل طرف اصبعها الصغير ، ولو كلفنى ذلك مالى جميعه . وبينما أنا واقف لا أزال ، أسقط المطران قشاط عسكرى علىالأرض فركعت لألتقطه ، ولمست وأنا انهض طرف ثوبها فسرت فى جوانحى نشوة عارمة ، ولا أعرف كيف خرجت من الحجرة .

فايزلينجن : هل زوجها أيضا فى البلاط ؟

فرانتس : لا ، فقد ترملت منذ أربعة أشهر . وسعت الى بلاط بامبرج فلزمته لتسرى عن نفسها . وستراها هناك . انها عندما تنظر الى انسان ، يحس كأنه يقف فى شمس الربيع .

فايزلينجن : سيكون تأثيرها على أقل مما تصور .

فرانتس : لقد سمعت أنك تزوجت أو نحو ذلك .

فايزلينجن : أرجو أن يتم زواجى عاجلا. ماريا الحلوة ستسعد حياتى. روحها الحلوة ترتسم فى عينيها الزرقاوين . انها بيضاء كملائكة السماء وانها هى الطهر والحب . وانها ستأخذ بيد قلبى الى الراحة والهناءة . أحزم متاعى . اننا راحلون الى قصرى . لاأريد أن أرى بامبرج حتى ولو كان القديس ((فايت)) نفسه هو الذى يريدنى . (يخرج)

فرانتس : أســـتغفر الله . عسى الله أن يأتى بالخير . ماريا لطيفة
وجميلة ، ولست آخذ على أسير مريض أنه هام بها ،
ففى عينيها سلوى وحزن جذاب . ــ أما أنت ياأدلهــابد
فحولك الحياة والنار والهمة . ــ أنا ــ لقد جننت ــ لقد
جننتنى نظرة من عينها • لابد أن يذهب سيدى الى هناك
لابد أن اذهب أنا الى هناك . فاما أن أعقل بالتطلع اليها
أو أجن .

# الفصل الثانى

( بامبرج • قاعة )

( المطران وادلهايد يلعبان الشطرنج .. ليبتراوت يحمل قيثارة ، سيدات ورجال البلاط حوله عند المدفأة )

ليبتراوت ( يعزف ويغنى ) :

بالسهام والقوس
طار كيوبيت
بالمشاعل الوهاجة
يريد الحرب جريئا
والنصر عزيزا
بيـده العنيفة .
هيـا . هيـا .
اضرب . اضرب .
الأسلحة صلصلت
والأجنحة هفهفت
والعيون تحرقت .

فالفى الصـدور
ويلاه .. عارية
واستقبلته راضية
كلها فى حضنها .
وسدد سهامه
الى مكمن النار

ودللوه وعانقـوه
ونهنهوه اليها .
آه . آه . آه . أى . أى . أى .

آدلهايد : لست ملتفتا الى اللعب . مات الملك .

المطران : بل هناك مخرج .

آدلهايد : ولكنك لن تتمكن من الدفاع عنه طويلا . مات الملك .

ليبتراوت : لو كنت سيدا عظيما لما لعبت هـذه اللعبة ، ولحرمتها فى البلاط وفى البلاد من أقصاها الى أقصاها .

آدلهايد : صدقت ، فهذه اللعبة امتحان للمخ .

ليبتراوت : لا ، ليس لهذا السبب . ولكن لأننى أفضل أن أسـمع دوى ناقوس الموت ونعيق طيور الشؤم وعويل كلب البـلاط الغضوب ، أسمعها حتى وأنا سابح فى أعمق نوم ، على أن أسمع من الحصان والطابية وما الى ذلك من بهـائم الشطرنج العبارة الأبدية : مات الملك .

المطران : من يخطر بباله مثل هذا الخاطر .

ليبتراوت : يخطر مثلا ببال من كان ضعيفا فى بدنه ، قويا فى ضميره ، والضعف فى البدن والقوة فى الضمير صفتان كثيرا ماتجتمعان معا . انهم يسمون الشطرنج اللعبة الملكية ويقولون انها اخترعت لملك منح مخترعها بحرا من التقدير والمكافأة ، ولو صح هذا ، فاننى أتصوره ، بل أكاد أراه أمامى : شخصا قاصرا فى العقل وفى العمر ، تحت وصاية أمة أو زوجه ، له زغب فى ذقنه وشعر أشقر فاتح فى سالفيه ، لينا كغرس الصفصاف ، يحب لعبة ((الضامة)) ويلعب مع النساء ، لا بدافع الحب ، لا قدر الله ، بل بدافع تضييع الوقت . وكان له مدير للبـلاط ، كان نشـيطا الى درجة

لايصلح معها أن يكون عالما ، عصيا الى درجة لايصلح معها أن يكون من أهل المجتمع ، فاخترع اللعبة لولى العهد ، وجعلها متجانسة مع سموه مناسبة له ـ وهكذا .

آدلهايد : مات . عليك أن تكمل ثغرات كتب التاريخ التى بين أيدينا يالييبتراوت . (ينهضون)

لييبتراوت : أو أن أردنا مزيدا من الفائدة ، نكمل ثغرات أمتنا . فهذه أمجاد أجدادنا والصور المرسومة لها تستعمل لغرض واحد هو تزيين الحيطان الفارغة فى غرفنا وفى خلقنا : أصبح هناك شىء يستفاد به .

المطران : تقول انه لا يريد الحضور .

آدلهايد : اطرح هذا الموضوع من تفكيرك أرجوك .

المطران : فماذا ياترى سبب ذلك ؟

لييبتراوت : ماذا ؟ الأسباب كثيرة متتالية تنزل الواحد بعد الآخر كحبات المسبحة بين أصابع المسبحين . لقد هبط الى حالة من الغيظ فى مقدورى أن اعالجه منها بسهولة .

المطران : اذن فافعل ، اذهب اليه .

لييبتراوت : ومهمتى :

المطران : مهمة غير محدودة بحدود . لاتوفر شيئا من شأنه أن يعيده الينا .

لييبتراوت : هل لى ، ياسيدتى الكريمة ، أن أدخلك فى الموضوع ؟

آدلهايد : بتحفظ .

لييبتراوت : تلك مهمة عسيرة .

آدلهايد : هل معرفتك بى قليلة أم هل أنت صغير غرير لا تعرف النغمة التى تتحدث عنى بها الى فايزلينجن ؟

ليبتراوت : نغمة صفارة اجتذاب الدجاج ، أظن .

آدلهايد : لن تصبح عاقلا أبدا .

ليبتراوت : وهل يمكن أن يصبح الانسان عاقلا ، ياسيدتى الكريمة ؟

المطران : اذهب ، اذهب الآن . وخذ أحسن حصان من خيولى واختر من تريد من الجنود وآتنى به .

ليبتراوت : ان لم أسحر له وآتيه الى هنا ، فقولوا ان عجوزا شمطاء ممن يعالجن الثآليل والنمش تفهم فى السحر أكثر مما أفهم (١) .

المطران : وماذا يجدى فهمك . لقد تسلط عليه برليشينجن تماما . وحتى لو جاء الى هنا فستكون ارادته معقودة على الانصراف عنا ثانية .

ليبتراوت : ارادته ، وماذا تهمنا ارادته ، المهم القدرة . القدرة على التفكير فى الرحيل بعد أن يصافحه الأمير وتبتسم له امرأة حسناء . ان يقوى على الافلات (٢) . والآن دعونى أرحل ، باذنكم .

المطران : مع السلامة .

---

(١) كلام ليبتراوت ملىء بالتلميحات والمعانى الخفية . وقد استعمل هنا كلمة Sympathie التى تعنى نوعا من المرهم أو المسحوق كانت هناك جماعة من النساء ممن تدعين السحر يستعملنه فى علاج أمراض الجلد ، وتعنى فى الوقت نفسه التلطف لاجتذاب الناس . (المترجم)

(٢) فى الاصل الالمانى يستعمل ليبتراوت كلمة من قبيل الجناس، تعنى نوعا من السمك وتشبه اسم فايزلينجن أعظم الشبه ، ويكون المقصود انه لن يفلت من شباكى أو من شباك آدلهايد .

(المترجم)

آدلهايد : وداعا . (يخرج)

المطران : عندما يأتى الى هنا فسيكون اعتمادى عليك .

آدلهايد : هل تريد أن تستخدمنى كالغصن المطلى بالصمغ الذى يصيدون به الطيور ؟

المطران : لاتقولى هذا .

آدلهايد : أو كالطائر الذى يوضع فى الفخ فيجتذب وجوده الطيور ؟

المطران : لا ، فهذا الدور سيلعبه ليبتراوت . أرجوك لا ترفضى أن تقدمى لى خدمة لا يستطيع غيرك تقديمها .

آدلهايد : لنر .

## ( ياكسنهاوزن )

### ( هانس فون زيلبيتس . جوتس )

زيلبيتس : كل انسان سيلهج لك بالثناء لاعلانك حمل السلاح لتاديب نورنبرج .

جوتس : لو تريثت فى ذلك ، لأكل الغيظ قلبى . لقد حان حينهم عندما أسلموا تابعى الى أهل بامبرج . اما كان الأحرى بهم أن يفكروا فى .

زيلبيتس : انهم يحقدون عليك منذ زمن .

جوتس : وأنا عليهم . ومن الخير لى انهم هم الذين بدءوا .

زيلبيتس : ان مدن الرايخ والكهنة تقف معا .

جوتس : طبعا .

زيلبيتس : سنحمى لهم جهنم .

جوتس : وأنا معتمد عليك . عسى أن يقع عمدة نورنبرج بالعقد الذهبى

الذى يربطه حول رقبته فى شباكنا ، حتى يتمتع بجمال النكت التى أطلقها علينا .

زيلبيتس : لقد سمعت أن فايزلينجن عاد الى صفك . هل انضم فعلا الينا ؟

جوتس : لم يتم ذلك بعد . ولديه من الاسباب ما يحول بينه وبين معاونتنا علنا . ولكن كسبا كبيرا تحقق لنا ، اذ أنه لايقف ضدنا . والقسيس بدونه ، تماما كالجبة بدون القسيس .

زيلبيتس . ومتى نبدأ ؟

جوتس : غدا أو بعد غد . فلن يلبث تجار بامبرج ونورنبرج أن يعودوا من سوق فرانكفورت . ونصيد صيدا عظيما .

زيلبيتس : انشاء الله . (يخرج)

## ( بامبرج . حجرة آدلهايد )

( آدلهايد . وصيفة )

آدلهايد : تقولين انه أتى .. هذا ما لا أكاد تصديقه .

الوصيفة : لو لم أره بعينى رأسى لشككت أنا الأخرى .

آدلهايد : ليبتراوت جدير بأن يحيطه المطران باطار من ذهب ، فقد حقق عملا رائعا .

الوصيفة : رأيته وهو يدخل القصر ، وكان يركب حصانا أبيض ، وتملك الحصان عند الجسر الرعب ولم يرد أن يتحرك من مكانه ، وكان الناس قد أقبلوا من كل حدب وصوب لرؤيته ، وابتهجوا لفعلة الحصان ، اد أتاح لهم فرصة تحيته .. أما هو فقد شكر الجميع على عواطفهم الكثيرة ، وهو جالس على ظهر الحصان فى بساطة لطيفة . وعالج

الحصان تارة بالتدليل وتارة بالتهديد حتى اتجه الى بوابة القصر ، وكان برفقته ليبتراوت وقليل من الجند . (١) .

آدلهايد : هل يعجبك ؟

الوصيفة : يعجبني كما لم يعجبني رجل من قبل . كان يشبه القيصر ، هنا (تشير الى لوحة تمثل القيصر ماكسميليان)، كما لو كان ابنه . أنفه أصغر ، وعيناه عسليتان لطيفتان كعيني القيصر ، وشعره أشقر كشعره ، وقوامه بديع كأنما خلق ليكون قوام عروس . وكان وجهه يرسم عليه شيء من الحزن ـ لا أعرف ـ أعجبني كذلك .

آدلهايد : أنا مشتاقة لرؤيته .

الوصيفة : انه رجل يصلح لك .

آدلهايد : أنت مجنونة .

الوصيفة : الأطفال والمجانين ـ

( ليبتراوت يدخل )

ليبتراوت : فماذا أستحق الآن ياسيدتي الكريمة ؟

---

(١) تشبه هذه القطعة الابيات التي يصف بها دوق يورك دخول بولينجبروك في مسرحية شيكسبير الخالدة «ريشارد الثاني» ، الفصل الخامس ، المشهد الثاني :

« كان يمتطى صهوة حصان يتأجج نارا ،
وظل فوقه يتقدم بخطى بطيئة جليلة
والألسنة كلها تلهج : حفظك الله .
وهو يلتفت الى الناس من هذا الجانب تارة ومن ذاك تاره أخرى
ويقول لهم : أشكركم ياأيها المواطنون .»

(المترجم)

آدلهايد : ستتحق قرين من زوجتك . لانك ، قياسا على مافعلته ، لابد قد احتلت على نساء شريفات من زوجات الجيران وأخرجتهن عن واجبهن .

ليبتراوت : لا ، ياسيدتي الكريمة . بل رددتهن الى واجبهن . فكلما حدث هذا ...

آدلهايد : خبرني ، كيف أتيت بفايزلينجن الى هنا ؟

ليبتراوت : انك تعرفين تماما ، كيف يحتال الصياد على العصافير . أم تريدين أن أعلمك حيلي وأفانيني ؟ ـ تصنعت في مبدأ الأمر أنني لاأفهم شيئا من مسلكه على الاطلاق ، ووضعته بذلك في موضع ليس في صالحه ، اذ أصبح عليه أن يحكي لي الحكاية كلها . ورحت أنظر اليها من زاوية أخرى غير الزاوية التي أرادها ، وأقول أنني لاأجد ـ ولا أفهم ـ وما الى ذلك . ثم بدأت أتكلم عن بامبرج كلاما كثيرا مختلطا فيه العظيم وفيه الصغير ، وأوقظ في نفسه ذكريات قديمة معينة ، واشغل خياله ، فلما شغلت خياله ، نظمت خيوطا مختلفة ، مالبثت أن تقطعت . فلم يعد يعرف ماجرى له ، وعاد يحس بشيء يجذبه الى بامبرج ، كان يريد دون أن يريد . وما أن غاص في قلبه ليستبين ماغمض عليه واضطرب فيه ، وانشغل بذلك انشغالا حال بينه وبين التنبه الى ذاته ، ألقيت على رقبته حبلا قوامه ثلاث فتل : رضا النساء ورضا الأمير والتملق ، برمتها جيدا وأحكمتها ، ثم جذبته

آدلهايد : وماذا قلت عني ؟

ليبتراوت : الحقيقة ، ولاشيء غير الحقيقة . قلت انك تلاقين في أملاكك مشكلات تنغصك وانك كنت تأملين أن يتدخل بنفوذه عند القيصر لينهي أمورك على أيسر وجه .

آدلهايد : حقا .

ليبتراوت : سيأتى به المطران اليك .

آدلهايد : أنا فى انتظارهما . ( ليبتراوت يخرج ) نادرا ماتحرك قلبى هكذا انتظارا لزيارة ..

## ( فى غابة شبيسارت )

(برليشينجن . زيلبيتس . جيورج فى زى جندى من الفرسان)

جوتس : أما التقيت به ياجيورج ؟

جيورج : كان قد رحل فى اليوم السابق مع ليبتراوت الى بامبرج على ظهور الخيل ومعهما اثنان من الجنود .

جوتس : لست أفهم معنى هذا .

زيلبيتس : أما أنا فأفهمه . لقد كان تصالحكما أسرع من أن يدوم وليبتراوت رجل خبيث تمكن من التأثير عليه بثرثرته .

جوتس : أتعتقد أنه سينقض العهد ؟

زيلبيتس : لقد خطا الخطوة الاولى لنقضه ..

جوتس : لا ، لا أصدق هذا . ومن يعلم ربما كانت هناك ضرورة شديدة لذهابه الى البلاط ، فمازالت عليه تجاهه التزامات ونرجو الله أن يكون ماحدث خيرا .

زيلبيتس : نرجو الله أن يجعله أهلا لذلك وأن يوفقه للخير .

جوتس : خطرت ببالى الآن حيلة ، لنلبس جيورج زى الفارس البامبرجي الذى غنمناه ونعطيه جوازا بالمرور ، ليذهب الى بامبرج ويرى الأحوال هناك بنفسه .

جيورج : هذه مهمة طالما انتظرتها .

جوتس : تلك أول رحلة لك ، فاحترس ياغلام . فسيحزنني أن تحدث لك حادثة .

جيورج : لا تقلق ، فلن أضطرب لو تجمعوا حولى زرافات ووحدانا . ولن أعتبرهم أكثر من فيران وجرذان .. (يخرج)

## ( بامبرج )

( المطران . فايزلينجن )

المطران : لا نريد أن نعطلك .

فايزلينجن : لايمكن أن تطلب منى أن أنقض عهدا قطعته على نفسى .

المطران : بل كنت أود لو لم تقطع على نفسك عهدا كهذا . ماذا حملك على ذلك ؟ أما كنت أستطيع أن أخلصك بدون هذا العهد ؟ هل قيمتى قليلة فى بلاط القيصر .

فايزلينجن : ماحدث حدث وانتهى . وأرجو أن تغفر لى ان استطعت.

المطران : لا أفهم مطلقا ماذا دفعك الى هذه الخطوة .. هل تنكرت لى؟ أما كانت هناك مائة امكانية أخرى لتخليصك ؟ أليس عندى من المال ماكان يكفى لتهدئته ؟ أما كانت هجماتنا عليه وعلى رجاله ستستمر ؟ .. آه ! اننى لا أتصور اننى أتحدث الآن الى صديقه الذى يعمل ضدى والذى يكسح الألغام التى وضعها بيده .

فايزلينجن : أيها السيد الكريم .

المطران : ولكننى ـ عندما أنظر الى وجهك وأسمع صوتك ـ لا ، لايمكن . لايمكن .

فايزلينجن : وداعا ، أيها السيد الكريم .

المطران : سأباركك . أما اذا ذهبت ، فلن أقول لك الا : الى اللقاء. والآن ـ أدعو الله ألا نلتقى أبدا ..

فايزلينجن : قد تتغير الامور .

المطران : بل لقد تغير الكثير بالفعل للأسف .. وربما أتيت ذات يوم ورأيت عدوا أمام أسوارنا ، يهلك الحقول التى ارتقيت بها أنت نفسك الى الازدهار .

فايزلينجن : لا ، أيها السيد الكريم .

المطران : لا يمكنك أن تقول لا . الجيران من غير رجال الدين يتربصون بى . وطالما كنت أنت معى ـ اذهب يا فايزلينجن . ليس لدى ما أقوله لك . لقد حطمت الكثير اذهب .

فايزلينجن : وأنا لا أعرف ماذا أقول لك .

( المطران يخرج )

( فرانتس يظهر )

فرانتس : آدلهايد فى انتظارك . وهى على الرغم من مرضها ، لا تريد أن ترحل قبل أن تودعك .

فايزلينجن : تعال .

فرانتس : هل سترحل فعلا ؟

فايزلينجن : سنرحل الليلة .. ـ

فرانتس : كأننى سأرحل عن الدنيا .

فايزلينجن : وهذا هو احساسى أنا كذلك ، لا أكاد أعرف الى أين أنا راحل .

## ( حجرة آدلهايد )

( آدلهايد . الوصيفة )

الوصيفة : انت شاحبة ياسيدتى الكريمة .

آدلهايد : لست أحبه ومع ذلك فأنا أتمنى أن يبقى . انني أستطيع أن أعيش معه ، رغم أنني لاأريد أن أتزوجه .

الوصيفة : أتعتقدين أنه سيرحل ؟

آدلهايد : لقد ذهب الى المطران ليودعه .

الوصيفة : ولكنه سيقع فيما بعد فى موقف عصيب .

آدلهايد : ماذا تعنين ؟

الوصيفة : أتسائلينني ، ياسيدتى الكريمة ؟ لقد شبك شـــصك قلبه فاذا حاول أن يفلت نزف .

( آدلهايد . فايزلينجن )

فايزلينجن : الست بخير ، يا سيدتى الكريمة ؟

آدلهايد : هذا أمر لا يهمك . فانت راحل عنا ، راحل عنا الى الأبد فما سؤالك اذا كنا نعيش أو نموت ؟

فايزلينجن : انت تتنكرين لى .

آدلهايد : بل آخذك على الهيئة التى تبدو عليها .

فايزلينجن : الظاهر يخدع .

آدلهايد : فهل أنت حرباء ؟

فايزلينجن : ليتك ترين مافى قلبى .

آدلهايد : سأرى فيه العجب .

فايزلينجن : بلا شك . ستجدين فيه صورتك .

آدلهايد : ملقاة فى ركن مع صور عائلات ماتت وانتهت . ارجـــوك يافايزلينجن أن تعرف أنك تتحدث معى ، وأن تعلم أن الكلمات الكاذبة تعظم اذا كانت أقنعة توارى أفعـالا ، وأن المقنع اذا انكشف أمره يلعب دورا دنيئا . انك لاتنكر

افعالك ، وتتحدث مع ذلك بصددها . فما عسى الانسان أن يقول عنك ؟

فايزلينجن : قولى ماتشائين . فانا معذب بما انا فيه ، ولست أخشى ماقد يقوله الناس عنى .

آدلهايد : لقد اتيت لتودعنى .

فايزلينجن : اسمحى لى أن اقبل يدك ، وأريد ان أقول : وداعا . تذكرينى . لم أفكر ــ اننى معذب ياسيدتى الكريمة .

آدلهايد : انك تخطىء التأويل : انما أردت أن أعينك على الرحيل ، لأنك أردت الرحيل .

فايزلينجن : بل قولى : لأنك اضطررت الى الرحيل . لو لم يحركنى واجب الفروسية والعهد المقدس .

آدلهايد : اذهب . اذهب . هذا الكلام ممكن أن تقوله للبنات اللاتى يقرأن قصة تويردانك (١) ويتأثرن بها ويتمنين رجلا مثله . تقول واجب الفروسية ؟ أو عبث الاطفال .

فايزلينجن : ولكنك لاتفكرين على هذا النحو ياسيدتى .

آدلهايد : اننى أقسم لك على أنك تفهم نفسك تماما . ماذا وعدت ؟ ومن ؟ لقد وعدت وعاهدت رجلا ينكر واجبه حيال القيصر والرايخ . ومتى ؟ فى اللحظة التى استحق فيها العقاب بالنفى لقيامه بخطفك . فى هذه اللحظة الزمت نفسك بواجب حياله ، فجاء عهدك لاغيا ، لأنه أخذ قسرا وعلى نحو مناف للحق . ثم ألا تحل قوانيننا من هذه العهود ؟

---

(١) قصة تويردانك هى ملحمة بطولية مجازية تصور حياة القيصر ماكسميليان الاول فى اطار رحلة لخطبة عروس تخللتها مغامرات . وقد طبعت عام ١٥١٧ وحظيت باعجاب البنات والصغار والسذج لما فيها من مغامرات مثيرة . (المترجم)

هذا الكلام لن يصدقه الا الاطفال الذين يصدقون بوجـود العفريت «روبيتسال» (١) . هناك أمور أخرى تخفيها . اتريد أن تصبح عدوا للرايخ ، عدوا لأمن الناس وسعادتهم، اتريد أن تصبح عدوا للقيصر ؟ وأن تكون زميل قطـاع الطرق ؟ انت يافايزلينجن ، ياناعم الروح .

فايزلينجن : ليتك كنت تعرفينه .

آدلهايد : اردت أن أعدل فى أمره ، فهو رجل ذو روح رفيعة جامحة . وويل لك من هذا . اذهب اليه وتخيل أنك ستكون له كالند للند . اذهب فسيسيطر عليك . أنت رجل لطيف، حليم ــ

فايزلينجن : وهو هكذا أيضا ــ

آدلهايد : ولكنك تلين وهو لايلين . سيتمكن منك بلاشك ، وستصير عبدا لنبيل ، لأنك جدير بأن تصبح سيدا للأمراء . ــ ولكن هذه قسوة منى ، عندما انفرك من المركز الذى ستشغله فى المستقبل .

فايزلينجن : ليتك أحسست باللطف الذى قابلنى به .

آدلهايد : اللطف . اتعتبر هذا مكرمة . بل هو واجبه . وماذا كنت قد فقدت لو أغلظ لك ؟ لو فعل ذلك لكان ذلك أقرب الى نفسى . انسان متعجرف ــ

فايزلينجن : انك تتحدثين عن عدوك .

آدلهايد : اننى أتحدث من أجل حـريتك ــ ولا أعرف مصـلحتى فى ذلك ، وداعا .

فايزلينجن : اسمحى لى بلحظة . (يتناول يدها ويصمت)

---

(١) Rübezahl عفريت من جبل الزبانية يرد ذكره فى عدد من الاغانى الشعبية القديمة والمؤلفات المتأخرة .

(المترجم)

آدلهايد : هل مازال لديك ماتقوله لى ؟

فايزلينجن : ــ لابد أن أرحل .

آلهايد : فارحل اذن .

فايزلينجن : سيدتى الكريمة . ــ لاأستطيع .

آدلهايد : ولكن ينبغى عليك .

فايزلينجن : فهل هذه آخر نظرة منك الى ؟

آدلهايد : اذهب ، فانا مريضة ، فى وقت غير مناسب قط .

فايزلينجن : لاتنظرى الى هذه النظرة .

آدلهايد : أتريد أن تكون عدونا ويكون علينا أن نبتسم لك ؟ اذهب

فايزلينجن : آدلهايد .

آدلهايد : أنا أكرهك .

( فرانتس يدخل )

فرانتس : سيدى الكريم . المطران أرسل من يناديك .

آدلهايد : اذهب . اذهب .

فرانتس : انه يرجوك أن تذهب اليه مسرعا .

آدلهايد : اذهب . اذهب .

فايزلينجن : لن أودعك الآن ، فساعود اليك . (يخرج)

آدلهايد : سيعود الى أنا ؟ لابد أن نصده . يأمر جريته ، عندما يعود ردیه على أعقابه . قولى له اننى مريضة وان الصداع يؤلمنى ، اننى أنام ــ رديه على أعقابه . فلو كان هناك أمل فى الابقاء عليه ، لما تحقق الا بهذه الوسيلة الجافة . ( تخرج )

## ( قاعة امام حجرة )

فايزلينجن : انها لاتريد أن ترانى ؟

فرانتس : لقد حل الليل ، فهل أسرج الخيول ؟

فايزلينجن : انها لاتريد أن تراني .

فرانتس : متى تامر سيادتك بالخيول ؟

فايزلينجن : لقد تاخرنا .. فلنبق هنا .

فرانتس : الحمد لله . (يخرج)

فايزلينجن : سنبقى . ولكن احترس ، فالاغراء عظيم . لقد حجم حصانى عندما هممت بدخول القصر ، لأن ملكا نريما تعرض له ، بعد أن عرف المخاطر التى تنتظرنى هنا . ـ ولكن لم يكن من العدل أن أترك الاعمال التى كان المطران قد كلفنى بها منقوصة، ولا أفكر حتى فى تنظيمها بحيث يستطيع آخر أن يكملها حيث تركتها . هذا شىء لى أن أفعله دون أن أضر برليشينجن ودون أن أنقض عهدنا . فليس لهم هنا أن يتشبثوا ببقائى . ـ اما كان الأفضل الا آت ؟! ـ ولكنى أريد أن أرحل غدا أو بعد غد .. (يخرج)

## ( فى غابة شبيسارت )

( جوتس . زيلبيتس . جيـورج )

زيلبيتس : أرأيت ، لقد ذهب كما قلت لك من قبل .

جوتس : لا . لا . لا .

جيورج : صدقنى فما أقول لك الا الحقيقة . لقد ذهبت كما أمرتنى بعد أن لبست زى البامبرجى وعلامته ، ورافقت لقاء اجر

جماعة من فلاحي راينك الى بامبرج ، واشتريت لى طعاما وشرابا .

زيلبيتس : وانت متخف فى الزى البامبرجى ؟ كان من الممكن أن ينكشف أمرك وتقع فى ورطة .

جيورج : وهذا ماخطر ببالى بعد ذلك . ولكن الفارس الذى يعمل للتورط من قبل حسابا ، لايستطيع أن ينجز أمرا من الأمور العظيمة . ووصلت بامبرج وهناك فى الحانة سمعت أول الأخبار : ان فايزلينجن والمطران تصالحا وكثرت الاشاعات عن زواج فايزلينجن بأرملة فالدورف .

جوتس : كلام فارغ !

جيورج : ولكنى رأيته وهو يقودها الى المائدة . انها والله جميلة ، جميلة جدا . وانحنينا جميعا لها ، فشكرتنا جميعا ، وأومأت برأسها وقد بدا السرور عليها ، ثم سارت مع فايزلينجن وتمتم الشعب وهو ينظر اليهما : ما أجملهما !

جوتس : هذا ممكن .

جيورج : استمع الى بقية الحديث . فلما علمت أنه فى اليوم التالى ذاهب الى الصلاة فى الكنيسة ، رتبت نفسى لأراه . كان وحده مع صبى ، وكنت أنا أسفل الدرج ، وقلت له بصوت منخفض : لدى كلمتان من صديقك برليشينجن . فذهل ورأيت الدليل على رذيلته يبدو على وجهه ، ولم يجرؤ على مجابهتى ، أنا ، صبى الفروسية البسيط .

زيلبيتس : كان ضميره اذن دون قدرك .

جيورج : هل أنت بامبرجى ؟ هذا هو السؤال الذى بدأ به كلامه معى . فقلت له : اننى أحمل اليك تحية من الفارس برليشينجن ، وقد كلفنى بسؤالك — فرد على بقوله : تعال غدا فى الصباح المبكر الى حجرتى لنستانف الكلام .

جوتس : فهل ذهبت اليه ؟

جيورج : طبعا ذهبت اليه ، وكان على أن انتظر فى القاعة الخارجية مدة طويلة ، طويلة جدا . وراح الغلمان ذوو الثيـاب الحريرية يحملقون فى من امام ومن وراء . فقلت فى نفسى : حملقوا فى ماشئتم فلن يجدى ذلك نفعا ـ وأخيرا اقتادونى اليه فوجدته غاضبا ، فلم أعبأ . وتقدمت اليه وأبلغته ماعندى ، فتملكه غيظ الأعداء وبدا كأنه رجل لا قلب له، وكأنه لايريد أن يلحظ هذا أحد . وتعجب من أنك تستجوبه على لسان صبى من صبيتك . فاغتظت لذلك . وقلت له أن هناك نوعين من الناس ، الأخيار والأشرار ، واننى فى خدمة جوتس فون برليتشنجن . فبـدأ من جديد يثرثر بكثير من الكلام المضطرب الذى يدور كله حـول معنى واحد : انك عاجلته وانه ليس ملتزما حيالك بعهد وانه لايريد أن يكون بينك وبينه شىء .

جوتس : هل سمعت هذا من فمه ؟

جيورج : سمعت هذا وأكثر من هذا ـ وهددنى ـ

جوتس : كفى . لقد أصبح فى نظرى شخصا ضائعا . خاننى الاخلاص والايمان مرة أخرى . مسكينة انت ياماريا . كيف أبلغك هذا الخبر .

زيلبيتس : ان فقدان ساقى الاخرى لأهون عندى من أن أكون دنيئا مثله . ( يخرج )

## ( بامبرج )

( آدلهايد . فايزلينجن )

آدلهايد : لقد بدأ الوقت يطول على طولا غير محتمل ، وأصبحت لا أحب الكلام وأخجل من اللعب معك . آه أيها الملل انك أشد وطأة من الحمى الباردة .

فايزلينجن : هل تعبت منى ؟

آدلهايد : ولكن تعبى من معاملتك أكثر من تعبى منك . ليتك ذهبت الى حيث أردت أن تذهب ولم نتمسك بك أن تبقى هنا .

فايزلينجن : هذه هى الحظوة عند النساء . فى مبدأ الأمر تحتضن المرأة أحب أمانينا بدفء الأمومة ، ثم تتغير مثل الدجاجة المتقلبة التى تهجر عشها وتترك صغارها للموت والفناء .

آدلهايد : انك تلوم النساء . كذلك يفعل لاعب الورق الأخطل عندما يعض الورق ويدوسه بقدميه لأنه تسبب دون ذنب فى خسارته . دعنى أحدثك عن الرجال . فماذا تكونون أيها الرجال حتى يحق لكم أن تتحدثوا عن التقلب ؟ انكم نادرا ما تكونون على النحو الذى تريدونه ، ولا تكونون على النحو الذى ينبغى أن تكونوا عليه مطلقا . أنتم ملوك فى زى براق يحسدكم عليه عامة الناس والسذج . ورب امرأة من العامة ، خياطة مثلا ، ودت لو تمكنت من الحصول على لآلىء طرف ردائك الذى تنبذه بكعوبك بازدراء ، لتصنع منه عقدا تحلى به جيدها ، وقدمت لقاء ذلك الكثير .

فايزلينجن : انك مرة .

آدلهايد : أنا أغنى الأغنية المضادة لأغنيتك . كانت حالى قبل أن أعرفك يافايزلينجن كحالة هذه الخياطة الساذجة ، كانت لك سمعة لها دون مجاز مائة لسان تلهج لك بالمديح على طريقة أطباء الأسنان فى الأسواق(١) ، وتصورك على صورة بارزة ، جعلتنى أقنع نفسى بتمنى رؤية جوهر الجنس البشرى والطائر الرائع فونكس فايزلينجن (٢) .

---

(١) كان الطباء الاسنان فى ذلك العصر يطوفون بالاسواق وينادون على فنهم ويمتدحونه للناس مهولين . (المترجم)

(٢) الفونكس طائر أسطورى عجيب ، والمقصود هنا الشىء أو الشخص الخارق للعادة . (المترجم)

فالام انتهت أمنيتى ؟!

فايزلينجن : تمثل لك الطائر الرائع ، الفونكس ، على هيئة دجاجة سوقية .

آدلهايد : بل هكذا كان . لأنك فى الحقيقة كنت أرفع من سمعتك ، فالعامة لايقدرون الا صورة العظمة التى تنعكس أمامهم . وانا قد اعتدت ألا أفكر فى الناس الذين أرجو لهم الخير ، بقيت الى جانبك مدة من الزمن وأنا أحس أن شيئا ينقصنى ولا أعلم ماهو . وأخيرا انفتحت عيناى ، ورأيت فيك بدلا من الرجل النشيط الذى أحيا أعمال الامارة ، ولم ينس فى ممارستها شهرته الواسعة ، والذى صعد على مائة عمل عظيم تشبه الجبال الملتفة بعضها فوق البعض الى السحاب ، الى المجد ، رأيت فجأة رجلا يتأوه كالشاعر المريض ، ويكتئب كالفتاة المنكوبة ، ويخمل كالأعزب العجوز . وأرجعت ذلك فى أول الأمر الى الحادثة التى حدثت لك وكانت جديدة مازالت تثقل على قلبك ، والتمست لك العذر ما استطعت . والآن وقد بدأت الحال معك تسوء يوما بعد يوم ، فينبغى أن تعذرنى اذا أنا جردتك عن حظوتى . لقد نلتها دون حق ، ولسوف أعطيها مدى الحياة لآخر ماكان لينقلها اليك .

فايزلينجن : اذن فدعينى .

آدلهايد : لا ، لن أدعك الا بعد أن تتبدد الأمانى كلها . فالعزلة فى هذه الظروف خطيرة . — يامسكين . لقد حزنت كما يحزن الشاب الذى تخونه أول صديقة له ، ولذلك فلن أنصرف عنك . هات يدك ، سامحنى على ما قلته لك بدافع الحب .

فايزلينجن : ليتك تحبيننى وتصبين على عاطفتى المتأججة قطرة من الشفاء . آدلهايد ! ان لومك ظالم مسرف فى الظلم ! لو علمت بجزء من مائة مما يضطرب فى نفسى منذ زمن طويل ، لما مزقتنى بهذه القسوة والتشفى والبلادة

والتحقير . انك تبتسمين . ـ لقد كلفنى الرجوع عن الخطوة التى كنت قد خطوتهـا يوما بأكمله من التفـكير والتدبير . كنت افكر فى الرجل الذى ساعمل ضده وله فى نفسى ذكرى جديدة قوامها الحب .

آدلهايد : أيها الرجل العجيب ! يامن تستطيع أن تحب من تحسد ! ما أشبه عملك بمن يمد العدو بالمؤنة .

فايزلينجن : هذا هو ما أحسه الآن . وليس فى قرارى تراجع . ولقد بلغه أننى عدت فأصبحت فايزلينجن ، ولابد أنه يفكر فى صالحه وفى كيفية التفوق علينا . كذلك نحن ، يا آدلهايد، لسنا خاملين . لقد دعمنا فرساننا وأمرناهم بالتأهب ، ومازالت مفاوضاتنا مستمرة . وسوف تتكامل مشروعاتنا فى مجلس الرايخ على ما نأمل .

آدلهايد : هل ستذهب الى المجلس ؟

فايزلينجن : اذا استطعت أن آخذ معى أملا واحدا . (يقبل يدها)

آدلهايد : آه يامن لاتؤمنـون ! آيات ومعجـزات لاتنقطع ! اذهب يا فايزلينجن وأتم عملك . وان صـالح المطران وصالحك وصالحى أمور متداخلة متضافرة . ولو كان السبب هو السياسة وحدها ...

فايزلينجن : انك تستطيعين التندر ..

آدلهايد : لست أتندر .. فقد وضع الأمير الغاصب يده على أملاكى ، وأملاكك لن يتركها جوتس سالمة ، فان لم نتماسك ، كمـا يتماسك أعداؤنا ، ونلفت نظر القيصر الينا ، ضعنا .

فايزلينجن : ولكننى لست خائفا . فغالبية الأمراء فى صف افكارنا والقيصر يطلب العون منا ضد الترك ، وطبيعى ان يجازينـا على هذا بالوقوف فى صفنا . أما أملاكك فتتملكنى رغبة شديدة فى تحريرها من الأعداء الغاصبين وفى دفع رؤوس

الشر فى شعابن الى وسادة السياف ، وفى اعادة الهـدوء
الى المطرانيه ، وفى تحقيق الامن لنا جميعا . ىم ـ ؟

آدلهايد : كل يوم يتبعه آخر . والمستقبل بيد الحظ .

فايزلينجن : ولكن ينبغى علينا أن نريد .

آدلهايد : طبعا نريد .

فايزلينجن : بكل تاكيد ؟

آدلهايد : طبعا . اذهب .

فايزلينجن : أيتها الساحرة !

## ( حانة )

( عرس فلاحين . موسيقى ورقص فى الخارج )

(والد العروس ، جوتس ، زيلبيتس الى مائدة . العريس ينضم اليهم)

جوتس : وأصوب شىء فعلتموه هو انهاء نزاعكم نهاية سعيدة بهيجة
هى الزواج .

والد العروس : انها أفضل مما كنت أحلم . ولقد عاد الصـفاء
والسلام بينى وبين جارى ، وفرحت البنت عـلاوة على
ذلك .

العريس : وانا امتلكت القطعة المتنازع عليها ونلت فوق ذلك أجمل
فتاة فى القرية . ليت الله فيضك لنا منذ مدة .

زيلبيتس : منذ متى تتنازعون وتتقاضون ؟

والد العروس : منذ ثمانية أعوام تقريبا . واننى والله لأفضل أن
أصاب بالحمى الباردة على أن أقف هذا الموقف من جديد !
انك لا تتصور الجهد الجهيد الذى تحتـاج اليه لتنتزع

حكما من الصعلوك الخسيس . ثم ماذا تنال بعد ذلك ؟
لعن الله المستشار سابوبى ! ذلك الايطالى اللعين الاسود القلب !

العريس : حقا ، انه شخص غريب الاطوار . لقد ذهبت اليه مرتين .

والد العروس : وأنا ثلاث مرات . وأخيرا صدر الحكم ياسادة ،وكان ينص على حق لى قدر حقه ، وحق له قدر حقى ، ووقفنا كالأغبياء الى أن وفقنى الله الى اعطائه ابنتى ومعها العقار المتنازع عليه .

جوتس (يشرب) : فى صحة التفاهم الطيب مستقبلا .

والد العروس : انشاء الله . ومهما يحدث فلن ألجأ الى القضاء فى حياتى مرة أخرى . فكم ضيعنا من المال ! كل تحية من وكيل النيابة تكلفك ثمنا .

زيلبيتس : هناك دورات قضائية عالية كل عام .

والد العروس : لم أسمع بها قط . آه ! كم ضاع منى من المال الجميل ! انها عملية نصب فاحشة .

جوتس : ماذا تعنى ؟

والد العروس : آه ، عملية نصب واحتيال .. المستشار وحده ، عفا الله عنه ، أخذ منى ثمانية عشر جولدن ذهبا (1) .

العريس : من ؟

والد العروس : من غير سابوبى !

جوتس : هذا شىء شائن .

والد العروس : طبعا ، كان على أن أقدم اليه عشرين جولدن . ذهبت

---

(1) انجولان عمله ذهبية كالجنيه الذهب والهيللر عملة نحاسية كالقرش . ( المترجم )

اليه بها فى بيته القائم وسط حديقة ، وعددتها له فى القاعة الكبيرة ، وقلبى يكاد ينفطر من الحزن . حقيقة اننى امتلك بيتا ومزرعة ، ولكن من أين لى المال السائل ؟ النقود ؟ ووقفت هناك وأنا فى حال لايعلمها الا الله . لم يكن معى الهيللر الأحمر الذى أدفعه أجرة للعودة . وأخيرا تشجعت وشرحت له الأمر ، وتبين أن الكيل فاض بى ، فألقى الى بقطعتين وصرفنى .

العريس : ما أعجب هذا ؟ سابوبى هو الذى فعل هذا ؟

والد العروس : فيم تعجبك ؟! طبعا سابوبى ولا أحد غيره .

العريس : أخذه الشيطان ! فقد أخذ منى أنا أيضا خمسة عشر جولدن ذهبا .

والد العروس : لعنه الله .

زيلبيتس : جوتس . ثم يقولون عنا اننا قطاع طرق .

والد العروس : ولهذا جاء الحكم بين بين ، ماأحقره من كلب دنىء !

جوتس : لاينبغى أن تسكتوا على هذا .

والد العروس : وماذا نفعل ؟

جوتس : اذهبوا الى المحكمة العليا فى شباير فهناك الآن دورة منعقدة ، وارفعوا الأمر الى القضاء للتحقيق واحقاق الحق .

العريس : أتظن اننا سنصل الى شىء ؟

جوتس : لو وافقتم على أن ألقنه درسا ، فردى بالايجاب .

زيلبيتس : المبلغ يستحق المحاولة .

جوتس : لقد خضت المعارك بسبب ربع هذا المبلغ .

والد العروس : ماذا تعنى ؟

العريس : نريد مهما حدث أن نفعل شيئا .

( جيـورج يدخـل )

جيورج : النورنبرجيون يتقدمون .

جوتس : أين ؟

جيورج : لو تمهلنا لقبضنا عليهم بين بيرهايم ومولباخ فى الغابة .

زيلبيتس : عظيم .

جوتس : هيا يا أولادى ! حياكم الله ! وعسى الله أن يوفقنا جميعا الى آمالنا .

أحد الفلاحين : شكرا لك . ألا تريدون البقاء للعشاء ؟

جوتس : لانستطيع ! وداعا !

# الفصل الثالث

## ( أوجسبورج . حديقة )

( تاجران نورنبرجيان )

التاجر الأول : لنقف هنا ، فلابد أن القيصر سيمر من هنا عندما يتجاوز الطريق الطويل .

التاجر الثانى : ومن معه ؟

التاجر الأول : أديلبرت فون فايزلينجن .

التاجر الثانى : صديق بامبرج . عظيم .

التاجر الأول : نريد أن نسجد للقيصر وبعد ذلك أتكلم أنا

التاجر الثانى : حسن ، انهما قادمان .

( القيصر . فايزلينجن )

التاجر الأول : يبدو عليه الحزن .

القيصر : أنا مكتئب يافايزلينجن ، فأنا عندما أسترجع حياتى الماضية أحس باليأس ، فكثير من مشروعاتى لم يتحقق الا نصفا ، وكثير منها فشل . والسبب فى ذلك كله أنه ليس هناك أمير فى الرايخ مهما كان من الصغر ، الا وتشغله مشاغلهوخيالاته عن أفكارى !

( التاجران يرتميان عند قدميه)

التاجر : ياصاحب الجلالة الرفيعة ! ياصاحب القوة العظيمة !

القيصر : من أنتما ؟ ماذا بكما ؟

التاجر : نحن تاجران من نورنبرج ، اثنان من عبيدك ياصاحب الجلالة ، نلتمسان عونك. لقد أسر جوتس فون برليشينجن وهانس فون زيلبيتس ثلاثين من رجالنا ونهباهم وهم عائدون من سوق فرنكفورت بجوار بامبرجى . نتوسل الى جلالتك أيها القيصر أن تعيننا ، والا كنا من الخاسرين ، واضطررنا الى التوسل التماسا للقمة العيش .

القيصر : سبحان الله . سبحان الله . ماهذا ؟ أحدهما بيد واحدة والآخر بساق واحدة ، ويفعلان كل هذا ، فماذا كان سيفعلان لو كان للأول يدان وللثانى ساقان ؟

التاجر : اننا نبتهل الى جلالتك فى أخلص خضوع أن تنظر الىأحوالنا العسيرة بعين الرأفة .

القيصر : ماذا تريدان ؟ اذا ما فقد أحد التجار جوالا من الفلفل ، أردتم أن تقلب الرايخ رأسا على عقب ، أما اذا حدثت مشكلات تهم القيصر والرايخ ، والملوك والأمراء والولاة ، فلايعرف أحد كيف يجمعكم .

فايزلينجن : لقد أتيتما فى وقت غير مناسب . اذهبا وانتظرا بضعة أيام هنا .

التاجران : بعد اذنكم ياصاحب الجلالة . (يخرجان)

القيصر : هناك تحرشات جديدة .. تظهر متلاحقة كما تظهر رؤوس الأخطبوط .

فايزلينجن : ولايمكن القضاء عليها قضاء مبرما الا بالسيف والنار والعزم الجرىء ..

القيصر : أتعتقد هذا ؟

فايزلينجن : لست اعرف شيئا أجدر بأن يعجل بفعله من هذا ، مادام

جلالة القيصر والأمراء لايتفقون فى أمر مصادمات أخـرى قليلة الأهمية . ثم ان هذه القلاقل لاتسبب شكوى ألمانيا كلها ، ان منطقة فرانكن ومنطقة شفابن همـــا المنطقتان الوحيدتان اللتان تظهر فيهما بقايا الحرب الاهلية الخاسئة وحتى فى هاتين المنطقتين نجد كثيرا من النبلاء والاحـــرار يشتاقون الى الهدوء والامن . فلو نحينا زيكينج وزيلبيتس وبرليشينجن جانبا ، لتفوض بعد قليل نشاط مشـيعى البلبلة والقلاقل . فهؤلاء الرجال هم الروح التى تحرك الجماعة المتمردة .

القيصر : ولكننى أحب أن أبقى على هؤلاء الرجال ، فهم يتميزون بالشجاعة والنبل ، وساحتاج اليهم فى الميدان اذا ماقمت بحرب .

فايزلينجن : كم كنا نود لو أنصتوا من بادىء الامر الى صوت الواجب! ثم ان مكافآتهم على أعمال التمرد التى يقومون بها بمنحهم الرتب الرفيعة فى الميدان أمر فى غاية الخطورة . فهذا الحلم وهذا الكرم من القيصر ، هو بالضبط الشىء الذى أساءوا استخدامه وأفحشوا ، وان حزبهم الذى يضع ثقته وأمله فى هذه الناحية ، لن يمكن السيطرة عليه الا بعد أن نكون قد أبعدناهم عن أعين الدنيا ، وجردناهم من كل أمل فى الترقى .

القيصر : أنت اذن تنصحنى بالقسوة .

فايزلينجن : لست أرى وسيلة أخرى للقضـــاء على الدوار الذى أصاب مناطق بأسرها . ألسنا نسمع هنا وهناك شكاوى مريرة يرفعها النبلاء من أتباعهم وعبيدهم الذين يثورون عليهم ويقاضونهم ويهددونهم بالانتقاص من سلطتهم العلية التقليدية : هذا الأمر الذى يهدد بنتائج بالغة الخطورة ؟

القيصر : اذن فقد سنحت فرصه جميلة لمجابهة برليشنجن وزيلبيتس،
ولكن لاأريد أن يمسهما سوء . أريد أن تقبضوا عليهما وأن
نلزمهما بالتعهد بالكف عن اثارة الشغب وعلى البقاء
فى قصريهما هادئين وألا يخرجا على الحد . وسأقترح هذا
الاجراء فى الجلسة القادمة .

فايزلينجن : سيقابلك الاعضاء ياصاحب الجلالة بعاصفة من
الاستحسان ستوفر عليك مهمة ختام الخطاب .
( يخرجان )

## ( ياكستهاوزن )

( زيكينجن . برليشينجن )

زيكينجن : نعم ، لقد أتيت لأطلب يد أختك الكريمة وفؤادها .

جوتس : ليتك اتيت بهذا الطلب من قبل . فلابد أن أقول لك : ان
فايزلينجن نال أثناء أسره عندى حبها ، وطلب يدها ،
وانني وافقت . وقد أطلقت سراحه ، كالطائر ، فتنكر لليد
التى قدمت اليه الطعام فى يوم ذى مسغبة . وهاهو ذا
يحوم التماسا للطعام فوق آكام لايعلم الا الله ماهى .

زيكينجن : هكذا ؟

جوتس : كما قلت لك .

زيكينجن : اذن فقد نكث بعهدين . من حظك السعيد أنك لم ترتبط
بالخائن برباط قرابة وثيق .

جوتس : والبنت المسكينة قاعدة تقضى حياتها فى البكاء والدعاء .

زيكينجن : نريد أن نجعلها تفرح وتغنى .

جوتس : كيف ؟! هل عزمت على الزواج بتريكة ؟

زيكينجن : انه لما يشرفكما أن يكون رجل كهذا هو الذى خانكما

فهل ينبغى أن تدخل البنت المسكينة الدير لان الرجل الأول الذى تعرفت به كان صعلوكا ؟ لا . أنا أصر على أن نصبح ملكة على قصورى .

جوتس : الله قلت لك انها لم تكن خالية القلب حياله .

زيكينجن : ألا تثق فى قدرتى على تبديد ظل شخص مهين من حياتها ؟ لنذهب اليها (يخرجان)

## ( معسكر قوات القيصر المختصة بتنفيذ الأحكام )

( قائد . ضباط )

القائد : علينا أن نلزم الحذر وأن نصون الرجال ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، فالامر الصادر الينا واضح ، ويتلخص فى أن نضيق عليه الخناق ونأسره حيا . ولاشك أن هذا أمر شاق فمن منا يستطيع أن يقربه ؟

الضابط الأول : حقا . ثم انه سيدافع عن نفسه كالخنزير البرى ولما لم يكن قد أصابنا نحن بضر ، فلن يكون من بيننا من يفكر فى فقدان ذراع أو ساق فى سبيل القبض عليه مرضاة للقيصر أو الرايخ .

الضابط الثانى : ولكننا اذا لم نقبض عليه لحق بنا العار . لو أمسكت بتلابيبه لما استطاع ان يفلت منى .

الضابط الأول : ولكن لاتمسكه باسنانك ، والا خلع فكك . ياعزيزى الشاب مثل هؤلاء الرجال لايمكن الامساك بهم كما تمسك بلص هارب .

الضابط الثانى : سترى .

القائد : لابد أنه تسلم رسالتنا ، ولاينبغي أن نضيع الوقت ، ولنرسل فرقة لمراقبته .

الضابط الثانى : دعنى أقودها .

القائد : أنت لاتخرف المنطقة .

الضابط الثانى : عندى جندى ولد ونشأ هنا .

القائد : اذا كان الأمر كذلك ، فانا موافق . (يخرجون)

( ياكستهاوزن )

( زيكينجن )

زيكينجن : كل شيء يسير على مايرام . لقد اذهلها طلبى نوعا ما ونظرت الى من قمة رأسى الى أخمص قدمى ، ولابد أنها قارنتنى بصاحبنا فايزلينجن . الحمد لله أننى أستطيع الصمود فى مثل هذه المقارنات . كانت اجاباتها قليلة ومتداخلة . أحسن . لابد أن يغلى الأمر المدة اللازمة لنضجه ، وهى قصيرة فى حالة البنات اللاتى تعرضن لتعاسة الحب واكتوين بها .

( جوتس يدخل )

زيكينجن : ماذا وراءك ياصهرى ؟

جوتس : لقد حكم على بالعزل .

زيكينجن : ماذا ؟

جوتس : اقرأ هذا الخطاب ففيه عبرة . لقد أمر القيصر بأن تخرج الى فرقة فتمزق لحمى لطير السماء وحيوان الأرض .

زيكينجن : بل هم . لقد أتيت فى الوقت المناسب .

جوتس : لا يازيكينجن ، لابد أن تذهب .. فقد تتحطم مشروعاتك العظيمة اذا أنت قررت فى وقت غير ملائم أن تصبح عدوا للرايخ . ثم انك ستفيدنى أكثر اذا أنت تظاهرت بالحياد. فالقيصر يحبك ، وأسوأ مايمكن أن يحدث لى ، هـو الوقوع فى الأسر ، وفى هذه الحالة سأكون بحـاجة الى تدخلك لاخراجى .. دعنا نتلافى المحنة التى سننحدر اليها اذا أنت تدخلت الآن وساعدتنى فى وقت غـير مناسب . فماذا سيحدث الآن ؟ لقد تحركت الحمـلة ضدى ، فلو نمـا الى علمهم أنك معى ، دعموا القوة ، ولم تستفد شيئا . والقيصر الآن عند العين ، واننى أضيع ضـياعا لا راد له ، اذا أمكنهم اثارة حماس جنودهم بالسرعة التى يجمعونهم بها .

زيكينجن : اذن فسأرسل اليك سرا عشرين فارسا .

جوتس : لا بأس . وقد أرسلت جيورج الى زيلبيتس والى جنودى فى المنطقة المجاورة . وعندما يجتمع رجالى حـولى ، ياصهرى العزيز ، فستقوم بهم قوة لم يعهدها من الامراء الا القليل .

زيكينجن : ولكنكم ستكونون قليل أمام كثرتهم .

جوتس : الذئب كثير أمام قطيع من الاغنام .

زيكينجن : وماذا اذا كان للقطيع راع خبير ؟

جوتس : لاتخف . فكلهم أجراء . والفارس المغوار لايستطيع القيام بشىء ان لم يكن سيد أعماله وصاحبه . لقد حدث لى هذا مرة من قبل ، عندما تحالفت مع الماركجراف ضد كونراد شوت ، فأرسل الى ورقة من المستشارية يحدد لى فيهـا كيف أركب وكيف أتصرف ، فمـا كان منى الا أن قذفت الورقة الى المستشارين قائلا : لا أعرف كيف أتبع هذه

الورقة ، ولا أعرف ماذا سيصادفني من مواقف ، وهي ليست مذكورة في الورقة ، لابد أن تكون لي حريتي ، افتح عيني وحدي وأرى ماينبغي فعله .

زيكينجن : أتمنى لك حظا سعيدا ياأخي . سأرحل الآن لأرسل لك ما أستطيع تدبيره على عجل .

جوتس : اذهب الى النساء فقد تركتهن معا وحدهم ، واريد أن تحصل على موافقتهن قبل أن ترحل عنهن . ثم ابعث الى بالفرسان وعد الى سرا ، لتاخذ ماريا معك لانني اخشى أن يتحول قصري قريبا الى مكان لا يصلح لاقامة النساء .

زيكينجن : لنامل خيرا . (يخرجون)

## ( بامبرج . حجرة آدلهايد )

(آدلهايد . فرانتس)

آدلهايد : أتعنى أن فرقتى العسكر قد خرجتا بالفعل للقبض عليه ؟

فرانتس : نعم ، وسيدى يسعده أن يخرج بنفسه لمجابهة أعدائك ، وكنت أود أن أخرج على التو معه ، بقدر ماكنت احب أن آت اليك . والآن أريد أن أرحل والحق به لأعود اليك عما قريب بأخبار سارة ، وهذا هو ما أمرنى به سيدى .

آدلهايد : وكيف حاله ؟

فرانتس : انه فرح مرح . وقد أمرنى ان اقبل يدك .

آدلهايد : آه ـ شفتاك متأججتان .

فرانتس (لنفسه وهو يشير الى صدره) : وقلبى هنا متاجج أكثر . (بصوت مرتفع) سيدتي الكريمة ، ان خدمك اسعد الناس تحت الشمس .

آدلهايد : ومن يقود الفرقة ضد برليشينجن ؟

فرانتس : السيد فون زيراو . وداعا ، ياخير وأكرم النساء . لابد أن أرحل . وعسى ألا تنسيني .

فرانتس : وماحاجتي الى هذا ؟ كفاني أنني رأيتك . ولست متعبا ولا جائعا .

آدلهايد : ولكن لابد أن تأكل وتشرب وتستريح .

آدلهايد : انني أعرف اخلاصك .

فرانتس : آه ، ياسيدتي الكريمة .

آدلهايد : لن تحتمل التعب والجوع ، فاسترح وتناول شيئا .

فرانتس : ماأعظم اهتمامك بشاب مسكين . (يخرج)

آدلهايد : الدموع في مآقيه . انني أحبه من كل قلبي . فلم يتعلق بي من قبل أحد بمثل هذا الصدق وهذه الحرارة (تخرج)

( ياكستهاوزن )

( جوتس . جيورج )

جيورج : انه يريد أن يكلمك شخصيا . ولست أعرف من هو ، انه رجل عظيم البدن متأجج العينين أسودهما .

جوتس : دعه يدخل .

( ليرسه يدخل )

جوتس : سلام الله عليك . بماذا أتيت ؟

ليرسه : أتيت بنفسي ، وليست كثير ، ولكنها كل ماعندي ، أقدمه اليك .

جوتس : مرحبا بك ، أهلا وسهلا ، أيها الرجل الشجاع ، الذي يأتي الى في هذا الوقت الذي لم أكن أتوقع فيه أن أحصل على

أصدقاء جـــدد ، بل كنت أخشى أن ينفض أصـدقائى القدامى من حولى . ماإسمك ؟

ليرسه : فرانتس ليرسه .

جوتس : أشكرك يافرانتس فقد تعرفت ، اذ تقدمت الى ، برجـل شجاع .

ليرسه : لقد عرفتكم من قبل مرة بنفسى ، ولكنك لم تشكرنى آنذاك .

جوتس : لا أذكرك .

ليرسه : هذا شيء يؤسفنى . أتذكر أيام كنت من أجل الفالتسجراف على عداء مع كونراد شوت ، وتأهبت للسير الى هاسفورت أيام الكرنفال ؟

جوتس : نعم أذكر .

ليرسه : أتذكر عندما واجهت قرب احـدى القرى خمسة وعشرين فارسا ؟

جوتس : نعم . اعتقدت فى أول الأمر أنهم لايزيدون على اثنى عشر وقسمت جماعتى وكانت تضم ستة عشر رجلا ، واختفيت وراء شونة القرية على أمل أن يمروا من عندى . وكانت خطتى أن نلاحقهم من الخلف ، واتفقت على ذلك مع نصف جماعتى .

ليرسه : ولكننا رأيناك وارتقينا مرتفعا عند القرية ، وخرجت أنت ولزمت القاع . ولما رأينا أنك لاتريد أن تصعد الينا ، نزلنا نحن .

جوتس : عند ذاك تبينت اننى فعلت كمن دس يده فى فحم متقد . كان العدو يعد خمسة وعشرين فارسا ، وكنا ثمانية . لم يكن الامر اذن هينا .. وتقدم أرهارد تروكسبيس فانفـذ رمحه فى واحد من جنودى ، فهجمت عليه وأسقطته من

فوق حصانه . ولو فعل رجاله مثلما فعل هو ومثلما فعل واحد من جنوده ، للقيت وللقيت جماعتى شرا مستطيرا .

ليرسه : هذا الجندى الذى أشرت اليه ـ

جوتس : كان هذا الجندى أشجع من رأيت . لقد أطبق على ، وكلما ظننت أننى أبعدته عنى وفكرت فى الهجوم عليه ، رأيته يطبق على من جديد ، ويسدد الى الضربات القوية ، حتى نفذت احدى ضرباته من خلال كم سربالى وجرحت ذراعى .

ليرسه : وهل غفرت له مافعل ؟

جوتس : لكم أعجبنى هذا الرجل !

ليرسه : الآن يمكننى أن آمل أن ترضى عنى . فقد جربت قدرتى فيك فى ذلك اليوم .

جوتس : أأنت هذا ؟ مرحبا بك ، مرحبا ! ألا ان لك أن تفاخر ،وتقول هل ضممت ياماكسميليان الى رجالك رجلا كهذا الرجل !

ليرسه : انما يدهشنى أنك لم تخمن أننى ذلك الرجل .

جوتس : وكيف يمكن أن يخطر ببالى أن يأتى الى من حاول قهرى وسعى الى غلبتى بمنتهى العنف ويعرض على خدماته ؟

ليرسه : بل هذا هو السبب ، ياسيدى . فقد كنت منذ صباى جنديا ودخلت فى معارك مع كثير من الفرسان . فلما التقينا فى ذلك اليوم ، فرحت . كنت أعرف اسمك ، واتيحت لى الفرصة لأعرفك أنت . ولم أثبت أمامك ، لا لأن خوفا ساورنى ، فقد عدت وعدت للهجوم عليك . أو باختصار لقد عرفت من أنت وقررت فى تلك الساعة أن أضع نفسى فى خدمتك .

جوتس : والى متى تريد أن تبقى معى .

ليرسه : سأخدمك عاما . بدون مقابل .

جوتس : لا . بل ستتقاضى أجرك كغيرك ، بل كمن صـمد أمامى فى معركة ريملين .

( جيورج يدخـل )

جيورج : هانس فون زيلبيتس يبعث اليك بالتحية ويبلغك أنه سيأتى غدا ومعه خمسون من الرجال .

جوتس : حسنا .

جيورج : هناك فرقة من جنود الرايخ تتقدم على طول نهـر الكوخر ولاشك أنها تتعقبك .

جوتس : كم عددها ؟

جيورج : خمسون .

جوتس : فقط . تعال ياليرسه ، نريد أن نفرق شملهم ، حتى اذا أتى زيلبيتس وجد جزءاً من العمل قد انجز .

ليرسه : ستكون تلك بداية عظيمة .

جوتس : الى الخيل . (يخرجون)

## ( غابة على حافة مستنقع )

( جنديان من جنود الرايخ يلتقيان )

الجندى الاول : ماذا تفعل هنا ؟

الجندى الثانى : لقد طلبت اذنا لأقضى الحاجة . فمنذ أنصخبالاعمى الذى هز أمعائى مساء أمس وأنا لا أستطيع أن أمكث على ظهر الحصان وأريد أن أسعى كل لحظة لقضاء الحاجه .

الجندى الاول : هل الفرقة مرابطة قريبا من هنا ؟

الجندى الثانى : على مسيرة نحو ساعة تجاه الغابة .

الجندى الاول : وكيف تبتعد هذه المسافة الطويله ؟

الجندى الثانى : أرجوك لاتفضح أمرى . فانا فى الحقيقة أقصد أقرب قرية لأحاول معالجة اصاباتى بكمادات ساخنة . ومن أين أتيت انت ؟

الجندى الأول : من أقرب قرية ، كنت هنـاك أحضر خمـرا وخبزا لضابطنا .

الجندى الثانى : اذن فما يفعله أمامنا تصنع ونفاق ؟! انه يوصـينا بالصيام ! ياله من قدوة !!

الجندى الأول : عد معى ياجبان .

الجندى الثانى : هل جننت حتى أعود معك . هنـاك فى الفـرقة كثيرون لايمانعون فى الصيام اذا كانوا بعيدين عن الضرب قدر بعدى عنه .

الجندى الأول : اسمع كلامى . هيا .

الجندى الثانى : ويلاه !

الجندى الأول : سأرتقى الشجرة .

الجندى الثانى : سأختفى فى الغاب .

( جونس ، ليرسه ، جيورج ، جنود على ظهر الخيول )

جونس : هناك عند البركة ثم ننحرف الى الغابة ناحية اليسار فنكون فى ظهورهم .

( يعبرون )

الجندى الأول (ينزل من فوق الشجرة) : لست فى مأمن هنا . ميشيل انه لايرد ! ميشيل ، لقـد انصرفوا . (يذهب ناحيـة المستنقع) ويلاه . لقد غرق . ميشيل . انه لايسـمعنى

ـ لقد مات . هل مت ياجبان . ـ لقد انهزمنا . الاعداء في كل مكان .

( جوتس ، جيورج على ظهر الخيل )

جوتس : قف يارجل والا قتلت .

الجندى : لاتقتلنى .

جوتس : سيفك . ياجيورج ، خذه الى الأسرى الآخرين الذين يسعهم ليرسه عند الغابة المنخفضة . ولابد أن ألحق بقائدهم الذى لاذ بالفرار . (يخرج)

الجندى : ماذا حدث للفارس الذى كان يقودنا ؟

جيورج : لقد أسقطه سيدى من الحصان من أسفل الى أعلى ، وانقلب وانغرست ريشة قبعته في الطين القذر . وحمله فرسانه على حصان وفروا به مذعورين مخبولين . (يخرجان)

## ( معسكر )

( القائد الفارس الأول )

الفارس الأول : انهم يهرولون الى المعسكر .

القائد : لابد انه فى أعقابهم . دع سرية قوامها خمسون رجلا تتاخر الى الطاحونة ، ولعله يتورط في تعقبها ، ويضل وربما أمكن القبض عليه . (الفارس يخرج)

( فارس ثان يقود بعضهم )

القائد : كيف الحال ياشاب ؟ هل قلمت أطراف القرون ؟

الفارس الثاني : ياللعجب ! ان أقوى القرون لتتناثر شظايا كالزجاج! انه شيطان ! لقد هجم على وكانما انقض الرعد على الأرض .

القائد : احمد الله انك رجعت حيا .

الفارس : بعد أن تحطم اثنان من ضلوعى . أين الطبيب الجراح ؟
(يخرجون)

## ( ياكسنهاوزن )

( جوتس . زيلبيتس )

جوتس : ماذا كنت تقول عن قرار اهدار دمى يازيلبيتس ؟

زيلبيتس : قلت انه من تدبير فايزلينجن .

جوتس : أتظن هذا ؟

زيلبيتس : لا أظن ، بل أعلم علم اليقين

جوتس : من أين ؟

زيلبيتس : كان فى مجلس الرايخ كما قلت لك ولف حول القيصر .

جوتس : اذن فلندبر خطة لخطفه .

زيلبيتس : عسى أن نوفق الى هذا .

جوتس : لنرحل الآن . ولتبدأ المطاردة .

## ( المعسكر )

( القائد . فارس )

القائد : لن يؤدى هذا الى شيء ، سيضربنا الثلة بعد الثلة ، فيقتل من يقتل وييأس من يأسر ، ومن يفلت يفضل أن يهرع باسم الله الى تركيا على أن يعود الى المعسكر . وهذا يعنى أننا سنضعف يوما بعد يوم . لابد أن نهجم عليه مرة بكل قوانا ، ونبذل أقصى مانستطيع ، وسأشترك بنفسى فى الهجوم ، وسيرى من هذا الذى يقف أمامه .

الفارس : نحن موافقون على كل شيء ، ولكنه يعرف تمام المعرفةطبيعة الأرض ويعرف المسالك والدروب الخفية فى الجبل ، حتى ان محاولة القبض عليه لتشبه محاولة صيد فار فى حقل القمح .

القائد : سنناله . هيا بنا أولا الى ياكستهاوزن . وسواء رغب أو لم يرغب فلابد أن يذهب الى هناك للزود عن قصره .

الفارس : هل تسير فرقتنا بكامل عددها ؛

القائد : طبعا . ألا تعلم اننا انكمشنا الى مائة ؟

الفارس : فلنعجل ، قبل أن ينصهر كل الجليد . وقد بدأ الدفء ينتشر فى المنطقة وما أشبهنا بالزبد فى الشمس . (يخرجان)

## ( جبل وغابة )

( جوتس . زيلبيتس . فرقة )

جوتس : انهم يقبلون بفرقة كبيرة . كان ينبغى أن يلحقنا فرسان زيكينجن الآن .

زيلبيتس : فلنقسم أنفسنا . أنا سأذهب ناحية اليسار حول المرتفع .

جوتس : حسن . وأنت يا فرانتس خذ الخمسين من جهة اليمين عبر الغابة الى أعلى . وسيأتون من ناحية المرج فاتصدى لهم . وأنت ياجيورج عليك أن تبقى معى . وعندما ترون انهم يهاجموننى ، اهبطوا على الفور من كل الجهات . نريد أن نضربهم ضرب عزيز مقتدر ، وهم لايتوقعون أننا نستطيع أن نوقعهم فى شر أعمالهم . (يخرجون)

( مرج ، تل مرتفع فى جانب ، وغابة فى الجانب الآخر )

( القائد . فرقة تنفيـذ حكم القيصر )

القائد : انه فى المرج . وان وقوفه هناك لعمل وقح ، لابد أن يدفع ثمنه . انه لايهاب التيار الذى يوشك أن ينهمر فوقه ؟

الفارس : أرجو الا تكون فى المقدمة ، فهو فى تقديرى ، ينوى أن يتلفف أول من يصادفه ويزرعه فى الارض مقلوبا . سر فى المؤخرة .

القائد : لا أحب هذا .

الفارس : أرجوك . فانك العقدة التى تمسك حزمة العيدان ، اذا انحلت تفرقت العيدان وتحطمت .

القائد : أنفخ فى النفير . لعل نفخك يطيح به . (يخرجون)
(زيلبيتس يبدو وراء المرتفع على ظهر حصان يعدو)

زيلبيتس : هيا ورائى . ينبغى أن نجعلهم يصيحون فى أيـديهم : تكاثروا . (يخرج)

( ليرسه خارجا من الغابة )

ليرسه : هيا لنجدة جونس . انهم يكادون يحاصرونه . ماأشـجعك يازيلبيتس ، لقد خففت الضغط عليه . نريـد أن ننثر رؤوسهم فى المرج كالشوك . (يمر . ضوضاء)

## ( مرتفع عليه برج للمراقبة )

( زيلبيتس ، جريحا . جنود )

زيلبيتس : اتركونى هنا فى مرقدى وعودوا الى جونس .

الجندى الأول : دعنا نبقى فانت بحاجة الينا .

زيلبيتس : ليتسلم أحد منكم البرج وينظر كيف نسير المعركة .

الجندى الأول : وكيف أبلغ البرج ؟

زيلبينس · اطلع على كتفى فتبلغ النافذة ثم ارفع نفسك الى الفتحة .

الجندى الأول (يتسلق) : آه ياسيدى .

زيلبيتس : ماذا ترى ؟

الجندى الاول : فرسانك يهربون الى المرتفع ..

زيلبيتس : صعاليك أنذال . ليتهم يقفون وأصاب أنا بقنبلة فى رأسى!
ليسرع أحدكم اليهم ويسبهم ويلعنهم ويحضهم على العودة
الى مواقعهم . (جندى يخرج) أترى جوتس ؟

الجندى : أرى الريشات الثلاث السود وسط المعمعة .

زيلبيتس : اسبح أيها السباح الماهر وسط الخضم . أما أنا فممدد
هنا .

الجندى : أرى خصلة من الريش الابيض ، من هذا ؟

زيلبيتس : انه القائد .

الجندى : جوتس يطبق عليه — آه — لقد سقط .

زيلبيتس : القائد ؟

الجندى : نعم ياسيدى .

زيلبيتس : مرحى .. مرحى .

الجندى : ويلاه . لم أعد أرى جوتس .

زيلبيتس : اذن فلتمت يازيلبيتس .

الجندى : هناك معمعة فظيعة تحيط به . وخصلة الريش الزرقاء
التى فوق رأس جيورج تختفى هى الاخرى .

زيلبيتس : كفى ، انزل . ألا ترى ليرسه ؟

الجندى : لا أرى شيئا . لقد اختلط الحابل بالنابل .

زيلبيتس : لاترى شيئا . تعال . وماذا يفعل فرسان زيكينجن ؟

الجندى : لاباس بهم . ـ أحدهم يهرب الآن ألى الغابة . وهـــذا آخر يهرب أيضا . الفرقة كلها تهرب . لقد ضاع جوتس .

زيلبيتس : انزل .

الجندى : لا أستطيع . ـ يافرحتاه . يافرحتاه .. اننى أرى جوتس. وأرى جيورج .

زيلبيتس . على حصانه !

الجندى : شامخا على ظهر حصـــانه . انتصر . انتصر . انهم يولون هاربين .

زيلبيتس : جنود الرايخ ؟

الجندى : نعم وعلمهم بينهم ، وجوتس خلفهم . انهم يتفـــرقون . جوتس يبلغ حامل العلم ـ لقد أمسك العلم ـ يالصموده ! وهذه حفنة من الرجال حوله . زميلى وصل اليه . ـ انهم قادمون .

( جوتس . جيورج . ليرسه . ثلة من الجند )

زيلبيتس : مبارك ياجوتس . انتصرت . انتصرت .

جوتس : (ينزل من فوق حصانه) : كان نصرا غاليا . نصرا غاليا . هل جرحت يازيلبيتس ؟

زيلبيتس : المهم أنك عشت وانتصرت . لم أفعـــل أنا الا القليـــل . وفرسانى الكلاب الجبناء !! كيف انتصرت ؟

جوتس : لقد سار الامر على مايرام هذه المرة . وهذا جيورج أدين له بحياتى ، وهذا ليرسه أدين له بحياتى كذلك . فعندما تمكنت من القائد وطرحته من فوق حصانه أرضا ، دس رجاله سيوفهم فى حصانى وأطبقوا على . فاسرع جيورج

الى ، وقفز كالبرق من فوق حصانه ، فامتطيته أنا كالرعد.
ولكن كيف وصلت الى هذا الحصان ؟

جيورج : سددت الى واحد من رجالهم كان يتاهب لضربك طعنة من خنجرى نفذت الى أحشائه من تحت السربال عندما ارتفع نتيجة لاندفاعه الى أعلى . فخر طريح الارض ، وبهذا انقذتك من عدو ، وكسبت حصانا .

جوتس : وبقينا حتى نفذ فرانتس الينا ضاربا من يتعرضون له ، وبدأنا نحصد العدو من الداخل الى الخارج حصدا .

ليرسه : وكان المفروض أن يحصد الفرسان الكلاب الجبناء الذين أتيت بهم من الخارج الى الداخل حتى تلتقى مناجلنا وقد أنهت عليهم . ولكنهم هربوا كما هرب جنود فرقة الرايخ .

جوتس : لقد هرب الاصدقاء وهرب الأعداء . لم يبق الا أنتم تحمون ظهرى رغم قلتكم . فقد كان انشغالى بالأوغاد أمامى يكفى. وساعدنى وقوع قائدهم على ارغامهم ، ففروا . وغنمت رايتهم وقليلا من الاسرى .

زيلبيتس : هل أفلت منك القائد ؟

جوتس : كانوا قد تمكنوا من انقاذه . تعالوا ياأولادى . تعالوا . تعال . يازيلبيتس . ـ اصنعوا له نقالة من الاغصان . ـ فلست تستطيع ركوب الحصان . تعال الى قصرى . لقد تفرق شملهم . أما نحن فقليل ، ولست أعرف هل لديهم مدد يلاحقنا . تعالوا ياأصدقاء ، انتم ضيفى . وأن كأسا من النبيذ ليحلو طعمها فى باقة من الاصدقاء كهذه .

## ( معسكر )

( القائد )

القائد : كم أود أن أقتلكم جميعا بيدى . أتهربون من المعركة ، ولم يكن معه الا حفنة من الرجال بل أقل بكثير . أتفرون أمام رجل واحد . هذا شيء لايصدقه أحد الا من أراد أن يسخر منا . — امتطوا خيولكم ، أنتم ، وأنتم وأنتم ، ولفوا في المنطقة بحثا عن جنودنا ، ومن تجدونه أعيدوه ، وان امتنع فاقتلوه . نريد أن نصلح مالحق بسيوفنا ولو أدى ذلك الى تحطيم النصال .

## ( ياكستهاوزن )

( جوتس . ليرسه . جيورج )

جوتس : لاينبغى أن نفقد لحظة . مساكين أنتم يارجال ، فلست أستطيع أن أمنحكم شيئا من الراحة . انتشروا في المنطقة وحاولوا اكتساب من تستطيعون من الفرسان ، واجمعوهم في فايلرن ، فذلك أأمن مكان . واذا وجدتم أننا تأخرنا فاعرفوا أنهم تقدموا أمامقصرى . (اثنان يخرجان) وسأرسل الآن واحدا للاستطلاع . لقد بدأت الحرارة تشتد ، ياليتهم كانوا من الشجعان ! كل مايعتمدون عليه هو الكثرة ، وهذا هو شأن الكثرة . (يخرج)

( زيكينجن . ماريا )

ماريا : أرجوك ياعزيزى زيكينجن ، لاتترك أخى . فقد تفرقت فرسانه وفرسان زيلبيتس وفرسانك . وهو الآن وحده بعد أن جرح زيلبيس وجاء به الى القصر . وأنا خائفة .

زيكينجن : لا تخافى ، فلن أبتعد .

( جوتس يأتى )

جوتس : هيا الى الكنيسة ، فالكاهن ينتظر . ولابد أن يتم زواجكما فى ظرف ربع ساعة .

زيكينجن : دعنى هنا .

جوتس : بل عليكما أن تذهبا حالا الى الكنيسة .

زيكينجن : حسن ــ ثم ماذا ؟

جوتس : ثم عليكما بعد ذلك أن تسيرا طريقكما .

زيكينجن : جوتس !!

جوتس : الا تريدان الذهاب الى الكنيسة ؟

زيكينجن : هيا ! هيا !

## ( المعسكر )

( القائد . فارس )

القائد : كم عددهم جميعا ؟

الفارس : مائة وخمسون .

القائد : مائة وخمسون وكانوا أربعمائة . ماأقبح هذا ! هيا بنا الآن الى ياكستهاوزن مباشرة قبل أن يستريح ويخرج .

## ( ياكستهاوزن )

( جوتس . اليزابث . ماريا . زيكينجن )

جوتس : باركما الله ومنحكما أياما سعيدة وأبقى ماقد يقتطع منكما لأبنائكما من بعدكما .

اليزابت : أما الأبناء فادعو الله أن يكونوا مثلكم : مخلصين . ثم ليصبحوا بعد ذلك ماشاءوا .

زيكينجن : أشكركم جميعا ، وأشكرك ياماريا . لقد أخذتك الى الهيكل ، وعليك أن تأخذينى الى السعادة .

ماريا : نريد أن نقوم معا بالحج الى تلك البلد المقدسة .

جوتس : بالسلامة .

ماريا : ليس هذا مقصدى ، فلن نرحل عنكما .

جوتس : بل لابد أن ترحلا ياأختى .

ماريا : انت يا أخى أقسى مما ينبغى .

جوتس : وانتما أرق مما ينبغى .

( جيورج يدخل )

جيورج (سرا) : لم أستطع أن أستميل فارسا واحدا . وكان هناك شخص واحد أوشك أن يقبل ، ثم غير رأيه ورفض .

جوتس : ليكن ياجيورج ! لقد بدأ الحظ ينقلب كالجو المتقلب ياجيورج . كنت أتوقع هذا . (بصوت عال) زيكينجن ، أرجوك أن ترحلا الليلة دون ريث . اقنع ماريا بهذا . انها زوجتك ، ولابد أن تجعلها تحس بأنك الرجل والمتصرف . فان النساء اذا وقفن فى طريق مشروعاتنا ، أصبح عدونا فى الميدان المكشوف أكثر أمنا من جند بقلعة منيعة .

( جندى يقبل )

الجندى (بصوت منخفض) : سيدى ، راية الرايخ ظهرت والقوات تتحرك ناحيتنا بسرعة كبيرة .

جوتس : لقد أيقظتهم بضرباتي . كم عددهم ؟

الجندى : مائتان تقريبا . ولاأعتقد أنهم على بعد يزيد على الساعتين من هنا .

جوتس : أما زالوا وراء النهر ؟

الجندى : نعم ياسيدى .

جوتس : لو كان لدى خمسون فقط ، لما تركتهم يعبرونه . ألم تر ليرسه ؟

الجندى : لا ، لم أره ياسيدى .

جوتس : صح في الجميع أن يتأهبوا . ـ ينبغي أن نفترق الآن ياأعزائي ـ ابك ياعزيزتي ماريا ، فستأتي لحظات في المستقبل تسعدين فيها . وخير للمرء أن يبكي يوم فرحه من أن يفرح فرحا عظيما يتلوه بؤس فيما يأتي من الايام . وداعا ياماريا . وداعا ياأخي .

ماريا : لاأستطيع أن أنفصل عنك ياأخي . دعنا ياأخي . أتقلل من شأن زوجي فترفض مساعدته في هذا الوقت العصيب ؟

جوتس : نعم لقد وصلت الى هذه الدرجة . ربما كنت قريبا من السقوط . أما أنتما فتبدآن اليوم حياتكما ، وينبغي أن أن تبتعدا عن محنتي . لقد أمرت أن تسرج خيولكما لترحلا على الفور .

ماريا : أخي . أخي .

اليزابت (الى زيكينجن) : لنرضخ له . هلم بنا .

زيكينجن : ماريا ، حبيبتي ، لنرحل .

ماريا : حتى أنت ؟ ان قلبي لينفطر .

جوتس : اذن فابقي . وسيضرب الحصار حول قصري في ظرف ساعات قليلة .

ماريا : ويلاه ! ويلاه !

جوتس : سندافع نحن عن انفسنا على قدر استطاعتنا .

ماريا : ارحمينا يا أم المسيح .

جوتس : وفى النهاية اما نموت أو نستسلم . ـ انك ان لم تبرحى فستدفمين بزوجك الى مصيرى .

ماريا : أنت تعذبنى بكلامك .

جوتس : ابقى ! ابقى ! لنقع فى الآسر جميعا ! ستدفن يازيكينجن فى قبرى . لقد كنت آمل أن نتمكن من مساعدتى على الخروج من محنتى .

ماريا : لنرحل . سنرحل . اختاه ! اختاه !

جوتس : خذها الى مكان أمين ، ثم اذكرنى .

زيكينجن : لن يتم زفافنا الا بعد أن أطمئن على خلاصك من الخطر .

جوتس : اختى ـ اختى العزيزة . (يقبلها)

زيكينجن : لنخرج . لنخرج .

جوتس : لحظة واحدة فقط . ـ سأراكما مرة ثانية . ليكن لكما فى ذلك عزاء . سنلتقى مرة ثانية .

( زيكينجن وماريا يخرجان )

جوتس : كنت أدفعها الى الرحيل ، فلما تأهبت للرحيل ، وددت لو بقيت . اليزابت ، ابقى معى .

اليزابت : حتى الموت . (تخرج)

جوتس : من أحبه الله ، اعطاه امرأة كهذه المرأة .

( جيورج يدخل )

جيورج : لقد اقتربوا ، رأيتهم من البرج . كانت الشمس تطلع

فلمعت أطراف رماحهم .. ولما رأيتهم كان خوفى كخوف القطة أمام جيش من الفيران . وانما نحن الذين نؤدى دور الفيران .

جوتس : تأكد من احكام مزاليج الابواب . وأوصدها من الداخل بعروق الخشب والاحجار • (جيورج يخرج) نريد أن نتهكم من صبرهم ونجعلهم يأكلون شجاعتهم كما يقرضون أظافرهم. (صوت نفير من الخارج) آه ! هذا صعلوك يرتدى الزى الاحمر سيلقى علينا سؤالا هل نريد أن نكون أنذالا . (يذهب الى النافذة) ماذا تريد : (تسمع أصوات من الخارج على بعد)

جوتس (لنفسه) : ألا فليلتف حبل المشنقة حول عنقك !

(حامل النفير يستمر فى الكلام)

جوتس : انه يسميني «مستهزئا بجلالة القيصر» ـ لابد أن الذى ألف هذا الكلام من الكهنة .

(حامل النفير ينتهى من الكلام)

جوتس (يجيب) : أنا أستسلم ؟! على العفو أو النقمة ؟! مع من تتكلمون ؟ هل أنا واحد من قطاع الطرق ؟ قل لقائدك : اننى أكن لجلالة القيصر دائما الاحترام الواجب . أما هو ، فقل له ، أن له أن ـــ (يقفل النافذة بعنف) (*) .

## ( أثناء الحصار • المطبخ )

( اليزابت .. جوتس يتكلم معها )

جوتس : العمل عليك كثير يازوجتى المسكينة .

---

(*) كتب جوته من الطبعة الاولى عبارة عنيفة ظهرت الطبعات التالية خالية منها . (المترجم)

اليزابت : ليته يـدوم ! فـلا أظن أن لدينـا من المؤنة مايمكننا من الصمود طويلا .

جوتس : لم يكن لدينا وقت لاختزان المؤنه .

اليزابت : وقد توسعت فى اطعام الكثيرين منذ زمن طويل . لقد فرغ النبيذ .

جوتس : لنصمد الى اللحظة التى يطلبون منا فيها الاستسلام الكريم ، فنحن نسبب لهم خسائر كبيرة . أما هم فيطلقون القذائف طوال النهار ويصيبون الجـدران ويكسرون النوافـذ . وماأشجع ليرسه ! انه يلف ببندقيته متلصصا ، ويطلق النار على من يجرؤ على الاقتراب . طلقة واحدة . بم ! ويرقد على الارض .

جندى : الفحم ياسيدتى الكريمة !

جوتس : ماذا تريد ؟

الجندى : لقد فرغت القذائف ونريد أن نسبك غيرها .

جوتس : وكيف حال البارود ؟

الجندى : بين بين . ونحن نقتصد فى الطلقات ما استطعنا .

## ( قاعة )

( ليرسه ومعه قالب لسبك القذائف . الجندى يحضر الفحم )

ليرسه : ضع الفحم وابحث عن رصـاص فى البيت . وسـأبدأ أنا هنا . ( يخلع نافذة وينتزع الرصاص الذى يمسك ألواح الزجاج ) لابد أن نفعل كل ما يمكن فعله . ــ هكذا حال الدنيا ، لا يعلم الانسان الام تصير الأشـياء ، هل كان الصانع الذى ركب الألواح الزجاجية وثبتها بالرصـاص يعرف أن هذا الرصـاص سـيتحول الى قذائف تصيب

واحدا من أحفاده بألم خبيث فى رأسه ؟ وأبى عندما خلفنى ، هل كان يعرف طيور السماء أو ديدان الأرض التى ستنهشنى ؟

( جيورج يأتى بميزاب من ميازيب السطح )

جيورج : اليك هذا الرصاص . لو أصبت بنصف القذائف التى تسبك منه ، لفنى العدو كله ولما بقى واحد يعود الى صاحب الجلالة ليقول له : لم نبل بلاء طيبا ياسيدى .

ليرسه ( يقطع منها ) : قطعة عظيمة .

جيورج : وعلى المطر الآن أن يبحث له عن طريق آخر ، هذا شىء لا يهمنى . فالفارس المغوار والمطر المنهمر يتشابهان فى أنهما ينفذان فى كل مكان .

ليرسه ( يسبك ) : اضبط الملعقة . (يذهب الى الشباك) أرى جنديا من جنود الرايخ يلف على هواه ، لابد أنهم يظنون أن رصاصنا قد فرغ . اذن فليجرب هذه الرصاصة وما زالت ساخنة بنار المسبك . ( يشحن بندقيته ) .

جيورج ( يسند الملعقة الى الحائط ) : دعنى أنظر .

ليرسه ( يطلق ) : لقد وقع العصفور .

جيورج : لقد صوب هذا الجندى نحوى ( يسبكان من جديد ) عندما تسلقت الى نافذة السطح لأحضر الميزاب . وأصابت طلقته حمامة لم تكن بعيدة عنى فوقعت فى الميزاب فشكرته على الشواء الذى مكننى منه وعدت بغنيمة مزدوجة .

ليرسه : لنشحن بنادقنا ونتجول فى أنحاء القصر لنكسب غذاءنا .

( جوتس يأتى )

جوتس : ابق يا ليرسه . أريد أن أتكلم معك . أما أنت يا جيورج فلا أحب أن أعطلك عن الصيد .

( جيورج يخرج ) .

جوتس : انهم يعرضون على اتفاقا .

ليرسه : فلاخرج اليهم لاسمع ما يريدون .

جوتس : لابد أن العرض هو : أن أسلم نفسى اليهم أسيرا بالشروط الفرسانية .

ليرسه : ليس هذا شيئا . ماذا لو طلبنا أن يمنحونا انسحابا حرا، فانت لا تنتظر من زيكينجن خلاصا ؟ نخفى الذهب والفضة بحيث لا يصل اليهما انسان مهما أوتى من المهارة ، ونترك لهم القصر ونخرج على أحسن حال .

جوتس : لن يتركونا نخرج .

ليرسه : لنحاول . سأنادى عليهم أن يؤمنوا خروجى وأخرج اليهم .

## ( قاعة )

جوتس : هكذا يجمعنا الخطر الداهم معا . كلوا هنيئا مريئا يارفاق. لا تنسوا الشراب . لقد فرغت الزجاجة . آتينا بأخرى يا زوجتى العزيزة . ( اليزابت تهز كتفيها ) ألم يعد عندنا غيرها ؟

اليزابت ( بصوت خفيض ) : واحدة فقط . وقد حفظتها لك على جانب .

جوتس : لا ! لا ! يا حبيبتى ! هاتيها . انهم يحتاجون الى القوة ، لست أنا . والقضية قضيتى .

اليزابت : هاتوها من الدولاب الخارجى .

جوتس : انها آخر زجاجة . ولا أظن أن هناك مبررا للتوفير والتدبير لم أكن منذ وقت طويل أحس بالسرور الذى أحس به الآن . ( يصب خمرا ) يعيش القيصر !

الجميع : يعيش ! يعيش !

جوتس : لتكن هذه هي كلمتنا قبل الأخيرة عندما يأتينا الموت . انني احبه لأن مصيرنا واحد ، وان كنت أسعد منه . فعليه أن يمسك لأعضاء الرايخ فيرانهم في الوقت الذي تقرض الجرذان فيه املاكه . انني اعرف أنه يتمنى أن يموت على أن يظل طويلا روح هذا الجسم المعتل . ( يصب خمرا ) بقي من الخمر كمية تكفي لدورة أخرى . وماذا تكون كلمتنا عندما يفرغ دمنا كخمر هذه الزجاجة ، تقل وتقل ثم لاتنساب الا في قطرات ( يصب القطرات الأخيرة في كأسه ) ؟

جيورج : تعيش الحرية !

جوتس : نعيش الحرية !

الجميع : تعيش الحرية !

جوتس : وهل نموت هادئين اذا ظل هؤلاء بعدنا أحياء ؟ اننا نتمنى أن يرفل أحفادنا في السعادة وأن يرفل قياصرتنا في السعادة أيضا . ولو أن خدم الأمراء خدموهم كراما أحرارا كما تخدمونني ، ولو أن الأمراء خدموا القيصر كما أود أن أخدمه أنا ...

جيورج : لتغير الكثير .

جوتس : ليس الى الحد الذي قد يبدو لك . ألم أعرف بين الأمراء رجالا ممتازين ، فهل فني جنس الرجال الممتازين ؟ أعني الرجال الأخيار الذين كانوا يسعدون في اتباعهم ، الذين كانوا يقبلون عن طيب خاطر أن يكون لهم جار كريم حر ولا يخافونه ولا يحسدونه ، الذين كانوا يفرحون عندما يجلسون مع كثير من نظرائهم الى المائدة ، وكانوا لايحتاجون

الى تحويل الفرسان الى امعات تنادمهم فى البلاط لـكى يعيشوا معهم .

جيورج : هل رأيت رجالا من هذا النوع ؟

جوتس : بلاشك . سأذكر طوال حيانى كيف نظم لاندجراف (هاناو) رحلة للصيد واجتمع الأمراء والسادة المدعوون للطعـام فى العراء تحت السماء وهرع أهل الريف جميعا للتطلع اليهم . لم تكن تلك الرحلة وتلك الجلسة حفلة تنـكرية اقامها تشريفا لذاته . كان الشبان والفتيات برؤوسـهم الممتلئة المستديرة ووجناتهم الحمراء ، والرجال ذوو الثراء والشيوخ العظام يعبرون عن الفرحة بوجوههم ويشتركون فى كرم سيدهم الذى جلس على أرض الله بينهم يفرج عن نفسه .

جيورج : كان رجلا مثلك تماما .

جوتس : ألا يحق لنا أن نأمل أن يحكم كثير من الأمراء من هـذا النوع مرة ؟ فيكون احترام القيصر وتقدير الجوار وصداقة الجيران ومراعاة حب الرعية أغلى كنز تمتلكه الأسرة وتورثه الأبناء والأحفاد وأحفاد الأحفاد ؟ عند ذاك ينال كل انسان ما له ، ويعز فى نفسه ، ولا يظن كما يجرى الآن انه لا يعز ولايكبر الا عندما يضر الآخرين .

جيورج : وهل يكون لنا نشاط ؟

جوتس : لندعو الله ألا يكون فى ألمانيا كلها رؤوس مضطربة . أما نحن فمجال نشاطنا محفوظ . سيكون علينا فى تلك الحـالة أن نطهر الجبال من الذئاب وأن نحضر لجارنا المزارع الهادىء شواءا سائغا من الغابة وننعم معه بحساء منه فاذا لم يكفنا هذا ، فلنخرج مع اخواننا المحاربين كالشـاروبيم بأسلحة تتأجج نارا ونذهب الى الحـدود لحرب الأتراك

الذئاب أو الفرنسيين الثعالب ، ونحمى للقيصر المناطق المعرضة للخطر وندعم له السلام فى افرايخ . الا أن تلك الحياة حياة يا جيورج ، عندما تتاح للانسان فرصة التضحية بكل مرتخص وغال من أجل سعادة الناس وهناءتهم . ( جيورج ينتفض) الى أين ؟

جيورج : لقد نسيت أننا محبوسون ـ وأن القيصر هو الذى حبسنا ـ وأننا لننجو بحياتنا لنتعرض للموت ؟

جوتس : تشجع .

( ليرسه يدخل )

ليرسه : الحرية . الحرية . ان هؤلاء الرجال الأشرار أو الحمير سخفاء سفهاء . لقد حصلت منهم على أن لك أن تنسحب بسلاحك وخيلك وذخيرتك . على أن تترك المؤن فى القصر .

جوتس : لهم أن يأكلوها فان تمرض منها أسنانهن .

ليرسه ( سرا ) : هل أخفيت الفضة ؟

جوتس : لا . سيدتى ، اذهبى مع فرانتس فسيقول لك شيئا .

( يخرجون جميعا )

## ( فناء القصر )

( جيورج فى الحظيرة . يغنى )

اصطاد صبى ذات يوم عصفورا

هم . هم .

وراح ينظر اليه فى القفص ويضحك .

هم . هم .

سو .. سو .

هم . هم .

وفرح والله بذلك فرحا ساذجا

هم . هم .

وفتح القفص ومد يده بليدا

هم . هم .

سو .. سو .

هم . هم .

فطار العصفور الى بيت هناك

هم . هم .

وسخر من الصبى الغبى وضحك

هم . هم .

سو .. سو .

هم . هم .

جونس ( يأتى ) : كيف الحال ؟

جيورج ( يخرج حصانه ) : الخيول مسرجة .

جونس : أنت حر .

جيورج : كعصفور القفص .

( المحاصرون جميعا )

جونس : هل مع كل منكم بندقية ؟ لا . اصعدوا الى حيث خزانة الأسلحة وانتقوا أحسنها . وعجلوا ، نريد أن نسبق الى الخروج .

جورج : هم . هم .

سو .. سو .

هم . هم . ( يخرج )

## ( قاعة )

( جنديان أمام خزانة الاسلحة )

الجندى الاول : سآخذ هذه .

الجندى الثانى : وأنا تلك . فهى أجمل البنادق كلها .

الجندى الاول : ماذا تفعل ؟ عجل حتى تفلت .

الجندى الثانى : انصت .

الجندى الأول ( يقفز الى النـــافذة ) : أعنى يارب . انهم يقتلون سيدنا .. لقد وقع من فوق الحصان . وجيورج يســقط كذلك .

الجندى الثانى : كيف ننجو بانفسنا ؟ لنتدلى على الحائط معتمدين على شجرة البندق الى الحقل . ( يخرج )

الجندى الأول : فرانتس يقــاوم . ســأذهب اليه . فلست أحب أن أعيش اذا ماتوا . ( يخرج )

# الفصل الرابع

## ( فندق فى هايلبرون )

( جوتس )

جوتس : اننى أحس كما لو كنت ذلك العفريت الذى يحكى أن راهبا من الكبوشيين أراد أن يعزم عليه ليدخله فى الجوال أهلك نفسى من فرط الجهد ومع ذلك لا أخاف . هؤلاء الحانثون الأنذال !

( اليزابت تدخل )

جوتس : هل لديك أخبار يا اليزابت عن أحبائى المخلصين ؟

اليزابت : ليس لدى أخبار مؤكدة . ولكن بعضهم قتل البعض الآخر فى الزنزانة . ولم يستطع أو قل لم يشأ أحد أن يقدم الى تفصيلات .

جوتس : هل هذا جزاء الاخلاص ؟ هل هذا جزاء الطاعة الخالصة فى الكتاب المقدس : «لكى يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض » (١) .

---

(١) من رسالة بولس الرسول الى أهل أفسس ، الاصحاح السادس ، الآية الثالثة . والكلام عن جزاء من يطيع والديه ، وجوتس يعتبر رجاله كأولاده . (المترجم)

اليزابت : أى زوجى لايصح أن تقول هذا عن أبينا فى السماوات . لقد نال هؤلاء جزاءهم ، لقــد ولدوا به : انه قلبهم الحــر الكريم . دعهم يسجنون فهم هم الأحرار . وتنبــه الى المستشارين الذين أرسلوا الى هنا منتــدبين ، فالأغلال الذهبية العظيمة أمام أعينهم .

جوتس : كالسلسلة المعلقة فى رقبة الخنزير . أريد أن أرى جيورج وفرانتس فى السجن .

اليزابيت : انه منظر يبكى الملائكة .

جوتس : لا أريــد أن أبكى . بل أريــد أن أكظم غيظى وأن أجتر حزنى . لقد سلكوا عينى فى السلاسل . آما أحببتمونى يا أولادى ـ لن تشبع عيناى من النظر اليهم .

ـ لقد حنث الجنود باسم القيصر .

اليزابت : نح عنك هذه الأفكار . تذكر أنك توشك أن تمثـل أمام المستشارين ، وحالتك لا تصلح لملاقاتهم ، هذا ما أخشاه

جوتس : ماذا يريدون منى ؟

اليزابيث : محضر المحكمة .

جوتس : حمار العــدالة . يجــر أجولتهم الى الطاحونة ويحمــل قذارتهم الى الحقل . ماذا تريد ؟

( المحضر يدخل )

المحضر : لقد اجتمع السادة المستشارون فى دار البلدية وأرســلوا يطلبونك .

جوتس : سأحضر .

المحضر : سأرافقك

جوتس : هذا شرف كبير .

اليزابت : اضبط نفسك .

جوتس : لا تخافي . ( يخرج )

## ( دار البلدية )

(مستشارو القيصر، القائد أعضاء مجلس بلدية هيلبرون)

عضو البلدية : لقد نفذنا أمركم وجمعنا أقوى وأشجع الرجال ، وهم ينتظرون قريبا منا وسيأتون باشارة منا لتكبيل برليشنجن .

المستشار الاول : صاحب الجلالة القيصر سيقدر لكم مسارعتكم الى تنفيذ أمره السامى وسيسره الاعلان عن ذلك . هل هؤلاء الذين جمعتموهم من العمال ؟

عضو مجلس البلدية : انهم حدادون وصناع براميل ونجارون ورجال من أصحاب اللكمات المدربة والشجاعة الفذة . ( يشير الى صدره ) .

المستشار : حسنا .

( المحضر يدخل )

المحضر : جوتس فون برليشينجن بالباب .

المستشار : دعه يدخل .

( جوتس يدخل )

جوتس : سلام الله عليكم ياسادة . ماذا تريدون منى ؟

المستشار : أولا أن تعرف أين أنت ؟ وأمام من ؟

جوتس : أقسم لكم يا سادة اننى لا أنكركم .

المستشار : انك بذلك تفعل ما يجب أن تفعله .

جوتس : وأفعله عن طيب خاطر .

المستشار : اجلس .

جوتس : هناك ؟ يمكنني الوقوف ، فالكرسي تفوح منه رائحة الآثمين المساكين ، بل والقاعة كلها .

المستشار : اذن فابق واقفا .

جوتس : ندخل في الموضوع من فضلكم .

المستشار : سنسير في الموضوع حسبما يتفق والنظام .

جوتس : هذا شيء يرضيني ، ليت الامور كانت تسير حسبما يتفق والنظام من البداية .

المستشار : انت تعلم انك وقعت في أيدينا على النعمة أو النقمة .

جوتس : وماذا تقولون فيمن نسي هذا ؟

المستشار : وأريد أن أبلغك بأنني سأصلح أمرك .

جوتس : تصلح .. ليتك تستطيع أن تصلحه . فاصلاحه شيء يتطلب جهدا أكبر بكثير من افساده .

كاتب المحكمة : هل أسجل هذا في المحضر ؟

المستشار : عليك أن تسجل كل ما يتعلق بالقضية .

جوتس : بل ويمكنك أن تطبعه في كتاب ، فلا مانع عندي .

المستشار : لقد كنت في قبضة القيصر وشاء أن يحل عفوه محل العدالة السامية وان يحيلك الى مدينة من مدنه الجميلة لتسكن فيها ، بدلا من أن يحيلك الى سجن هايلبرون ولقد أقسمت يمينا على أن تتصرف على النحو الذى يليق بفارس وأن تنتظر متواضعا ما سيجرى عليك .

جوتس : تماما . وهأنذا هنا وانتظر .

المستشار : ونحن هنا لنعلن عليك رحمة صاحب الجلالة القيصر ورأفته وكرمه . انه يغفر لك مخالفاتك ويعفيك من الاهدار ومن العقاب الذى تستحقه ، وعليك لقاء هذا أن تقبل هذا متواضعا بالشكر والثناء وأن تقسم على أن تكف يدك عن العدوان وتتلو اليمين الذى سنقرأه عليك .

جوتس : لقد كنت وما زلت دائما عبد صاحب الجلالة القيصر المخلص . ولكن لى كلمة قبل أن تستمروا فى الاجراءات . أين رجالى ؟ أين هم ؟ ماذا سيحدث لهم ؟

المستشار : ليس هذا من شأنك ؟

جوتس : كيف هذا ، هل يشيح القيصر عنكم بوجهه ، عندما تعمون فى محنة ؟ ان هؤلاء الرجال كانوا صبيانى وما زالوا . الى أين ستقتادوهم ؟

المستشار : ليس علينا أن نقدم اليك حسابا عن شىء .

جوتس : آه . لم يخطر ببالى قط أنكم لاتلتزمون بما تعدون ، فما بال ...

المستشار : مهمتنا هى تقديم القسم اليك لتؤديه . وعليك ان تطيع القيصر وستجد وسيلة للتوسل اليه أن يمنح رجالك الحياة والحرية .

جوتس : ماذا تحتوى هذه الورقة ؟

المستشار : ياكاتب المحكمة ، اقرأ .

الكاتب : «انا جوتس فون برليشينجن أعترف علنا بهذه الوثيقة بأننى ثرت مؤخرا على القيصر والرايخ وسلكت سبيل التمرد» ـ

جوتس : هذا كذب . لست متمردا ولم أجرم فى حق القيصر ، أما الرايخ فلايعنينى فى شىء .

المستشار : اعتدل واستمع الى بقية النص .

جوتس : لا أريد أن أستمر فى الاستماع ، ليتقدم من يشاء ويشهد على . هل خطوت خطوة واحدة ضد القيصر أو ضد بيت النمسا ؟ ألم أثبت على الدوام بكل أعمالى ، أننى أحس أكثر من غيرى بما ينبغى على ألمانيا حيال القيصر ؟ وخاصة بما ينبغى على الصغار والفرسان والاحرار نحو قيصرهم ؟ لو أننى اتبعت وعظكم ووقعت على وثيقة كهذه لكنت انسانا خسيسا .

المستشار : ومع ذلك فان لدينا أمرا مؤكدا بأن نعظك بالحسنى ، فإن لم تمتثل زججنا بك الى زنزانة البرج .

جوتس : أنا ؟ فى زنزانة ؟

المستشار : وفى الزنزانة تنتظر نصيبك من العدالة مادمت لاتريد أن تناله من يدى العفو .

جوتس : فى الزنزانة ؟ انكم تسيئون استخدام سلطة القيصر . فى الزنزانة ؟ ليس هذا أمره ؟ ماذا ؟ أتنصبون لى ، يا أيها الخونة ، فخا ، وتضعون لى طعما كلمة الفارس ؟ أتعدوننى بمعتقل فرسانى ثم تخلفون وعدكم ؟

المستشار : لسنا ملزمين بالوفاء حيال واحد من قطاع الطرق .

جوس : لو لم تكن تمثل القيصر - وانك لتمثله على أقذر نحو - لأرغمتك على ابتلاع كلمة قطاع الطرق ابتلاعا أو لخنقتك . ان المعركة التى أخوضها معركة شريفة ، ويمكنك أن تشكر الله وتفخر فى العالمين او أتيحت لك فى حياتك كلها معركة واحدة كتلك التى اعتقلت بسببها ( المستشار يشير الى عضو مجلس البلدية فيجذب هذا خيط الجرس ) لم أخض المعارك من أجل كسب وضيع ، ثم أخض المعارك لأسلب السادة الضعفاء أرضهم وأناسهم . بل خضت المعارك لأحرر واحدا من رجالى وأصون

نفسي . هل في فعلي هذا خروج على الحق ؟ ان القيصر والرايخ لايحسان بما نحن فيه من محنة ، والحمد لله ان يدا بقيت لي ، ولقد أحسنت صنعا اذ استخدمتها .
( مواطنون يدخلون مدججين بالهراوات ، والسيوف في جنوبهم )

جوتس : ماذا ؟

المستشار : انك لاتريد أن تسمع . اقبضوا عليه .

جوتس : هل هذا هو رأيكم ؟ لايقتربن مني أحدكم الا اذا كان في قوة ثيران المجر . ومن اقترب مني نال من يمناي هذه الحديدية صفعة تشفيه من ألم الرأس وألم الاسنان وكل ألم في الدنيا شفاء عاجلا . (يقتربون منه ، فيطرح الواحد أرضا ، ويجرد الآخر من سيفه . يتراجعون) تعالوا ! تعالوا ! يسرني أن أتعرف على أشجعكم .

المستشار : استسلم .

جوتس : والسيف في يدي . أتعلمون أن في يدي أن أشق لنفسي طريقا بالقوة بين صيادي الارانب هؤلاء جميعا وأن أخرج الى الدنيا الواسعة ؟ ولكني أريد أن أعلمكم كيف يتمسك الانسان بالعهد . عدوني بالاعتقال الجدير بالفرسان وأنا أنحي سيفي جانبا وأكون كما كنت أسيركم .

المستشار : أتريد والسيف في يدك أن تحاسب القيصر ؟

جوتس : معاذ الله . بل أحاسبكم وأحاسب رفاقك الكرام . ـ أما أنتم أيها الرجال الاخيار فيمكنكم أن تذهبوا الى بيوتكم ، فالتقاعس لن يضركم شيئا ، وليس لكم شيء تنالوه هنا الا الكدمات .

المستشار : بل اهجموا عليه . ألا يمنحكم حبكم للقيصر شجاعة ؟

جوتس : لا يمنحهم من الشجاعة الا بالقدر الذى يمنحهم به ضمادات يضمدون بها الجراح التى ستسببها لهم هذه الشجاعة .
( حاجب من حجاب المحكمة يدخل )

الحاجب : لقد صاح حارس البرج لتوه قائلا انه رأى فرقه تزيد على المائتين تزحف على المدينة ، ظهرت فجأة وراء الكروم وأصبحت تهدد الأسوار .

عضو مجلس المدينة : ياويلنا ! ماهذا ؟

( حارس يدخل )

الحارس : فرانتس فون زيكينجن على الابواب ويبلغكم أنه علم كيف أخلفتم بدناءة الوعد الذى قطعتموه على أنفسكم حيال صهره وكيف اشترك سادة هايلبرون جميعا فى المؤامرة ، وهو يطالبكم بالعدل والا أحرق أركان المدينة فى ظرف ساعة وأسلمها للنهب .

جوتس : أى صهرى الشجاعى !!

المستشار : اخرج ياجوتس . ــ ماذا نفعل ؟

عضو مجلس المدينة : أرحمونا وارحموا مواطنينا . فان زيكينجن اذا غضب لايقف ، واذا قال فعل .

المستشار : أينبغى علينا أن ننزل عن حقوقنا وحقوق القيصر ؟

القائد : لو كان عندنا من الرجال من يصمد أمامهم ، لتغير الوضع . ولكننا والحال على ماهى عليه سنفنى ولايزداد الأمر الا اضطرابا . الأفضل أن نتنازل ففى التنازل كسب لنا .

عضو مجلس المدينة : لنكلم جوتس ونرجوه أن يتوسط لنا . فاننى مرتاع وأكاد أرى المدينة أمامى الآن والنار تأتى عليها .

المستشار : أدخلوا جوتس .

جوتس : ماهنالك ؟

المستشار : الأفضل أن تحذر صهرك من التمرد الذى ينويه ، فانه لاينقذك به من المصيبة بل يهوى بك الى أسحق أعماقها ، وهو يقف الى جوارك .

جوتس (يرى اليزابت بالباب فيقول لها) : اذهبى .. قولى له أن يتقدم على الفور ويأتى الى هنا ولايمس المدينة بسوء ، فاذا تعرض له الأنذال هنا ، فليستعمل العنف ، ولايهمنى أن أموت مادامو سيخرون كلهم صرعى ..

( قاعة كبيرة فى مبنى مجلس المدينة )

( زيكينجن . جوتس )

( فرسان زيكينجن يحتلون المبنى كله ).

جوتس : هذا عون من السماء . كيف أتيت ياصهرى العزيز فى وقتك على غير انتظار منى ؟

زيكينجن : بدون سحر . كنت قد أرسلت رسولين أو ثلاثة لاستطلاع أحوالك ، فلما بلغنى أنهم حنثوا بما قطعوه على أنفسهم حيالك ، سرت اليك . وهانحن أولاء قد نلناهم .

جوتس : لست أطلب الا أن أمنح الاعتقال الجدير بالفارس .

زيكينجن : ما أعظم اخلاصك . انك لاتريد أن تفيـد من الميزة التى يتفوق بها صاحب الحق على الظـالم . انهم على ظلم - ولسنا نريد أن نلين لهم . لقد أساءوا التصرف فى أوامر القيصر على نحو مشين ، ولك - على قدر ما أعرف صاحب الجلالة القيصر أن تطالب بأكثر من هذا .. فهـذا قليـل جدا ..

جوتس : لقد كنت دائما أرضى بالقليل .

زيكينجن : ولقد كنت تخسر دائما . والرأى عندى انه ينبغى عليهم أن يخرجوا رجالك من السجن وأن يسمحوا لك ولهم بالذهاب الى قلعتك مقابل يمين تقسمه لهم . ويمكنك أن تعدهم بأن تخرج من أراضيك . وستكون حالك على هذا النحو فى قصرك خيرا من حالك هنا .

جوتس : ولكنهم سيردون على هذا العرض بقولهم ان ضياعى قد آلت الى القيصر .

زيكينجن : ونحن نرد عليهم بقولنا انك تريد أن تقيم فيها لقاء أجر الى أن يقطعها عليك القيصر ثانيا . دعهم يتلوون كما تتلوى ثعابين السمك فى الشبكة دون أن تتمكن من الافلات. سيتحدثون عن صاحب الجلالة القيصر وعن المهمة التى كلفهم بها . ولاتنس أن القيصر كان يأمل دائما أن تنضم الى جيشه ، ولن يطول مقامك فى القصر ، فسيأتيك منه استدعاء الى الجيش .

جوتس : عسى الله أن يحدث هذا سريعا ، قبل أن أنسى صناعة الحرب .

زيكينجن : الانسان لاينسى الشجاعة ، ولايكتسبها . لاتهتم لشىء . وسأذهب الى البلاط بعد أن تنتظم أمورك ، فقد حان الوقت لفعل شىء . وهناك علامات طيبة توحى الى بأن أذهب الى البلاط القيصرى ، لكى أجس نبض أفكار القيصر . وهذه حكومة ترير هى وحكومة البفالتس لا تتوقعان أن تنقض السماء ، وسيكون هجومى عليهما أمرا لايتوقعانه . أريد أن أحل بهما كما يحل الجو العاصف بالناس بغتة . فاذا تمكنت من فعل شىء لنفسى ، فستكون بعد قليل صهر أمير ناخب . واننى لآمل أن تساعدنى بقبضتك فى مسعاى .

جوتس (ينظر الى يده) : آه . هذا تفسير الحلم الذى حلمته غداة أعطيت أختى ماريا لفايزلينجن . لقد أجاب على باخلاص وامسك بيدى اليمنى بقوة حتى ظننت أن ساعدى ستتكسر عظامه . آه . واننى فى هذه اللحظة لأعزل كما كنت أعزل فى اللحظة التى أطيح فيها بقبضتى . فايزلينجن !

زيكينجن : انس الخائن . ونريد أن نحطم مؤامراته وأن نقبر سمعته وأن ندع الضمير والعار يفترسانه الى الموت . واننى لأرى فى خيالى أعدائى وأعداءك وقد سقطوا واندحروا . جوتس، كل هذا سيحدث فى نصف عام ..

جوتس : ان روحك لترتفع الى آفاق عالية ، ولست أعلم لماذا لا تشرق فى نفسى منذ مدة آمال سعيدة . ـ ولطالما تعرضت للمحنة وسجنت مرة ، ولكن الحال التى أنا بها الآن لا عهد لى بها من قبل ..

زيكينجن : السعادة تبث الشجاعة . هيا بنا الآن الى القضاة ، فقد كفى ماسمحوا به لأنفسهم ، وعلينا أن نقف موقف الحزم .

(يخرجان)

## ( قصر آدلهايد )

( آدلهايد . فايزلينجن )

آدلهايد : هذا شىء قبيح .

فايزلينجن : لقد تملكنى الغيظ أشد الغيظ . مؤامرة جميلة مثل هذه ، أحكمنا تنفيذها واذا بها تنتهى الى تركه فى قصره . يالزيكينجن اللعين !

آدلهايد : ماكان ينبغى عليهم أن يفعلوا هكذا معه .

فايزلينجن : كانوا مضطرين . فماذا كانوا يفعلون ؟ كان زيكينجن يهددهم بالنار والحديد ، زيكينجن الجسور الغضوب ! كم أكرهه ! وان سمعته لتتزايد كالنهر الذى اذا التهم مجموعة من الجداول ، استسلمت له الجداول الباقية من تلقاء ذاتها .

آدلهايد : ألم يكن لهم قيصر ؟

فايزلينجن : أيتها السيدة الحبيبة ! هذا القيصر ليس الا خيال قيصر ، لقد هرم وتملكه الاكتئاب . عندما سمع بما حدث ورأى تحمسى وتحمس المستشارين الآخرين قال : دعوهم وشأنهم . فى مقدورى أن أمنح جوتس العزيز هذه البقعة الصغيرة ، ومادام سيلازم السكون فيها ، فمم شكواكم ؟ وتكلمنا عن المصلحة العامة للدولة . فقال . آه ! ليتنى أوتيت من قديم الزمان مستشارين يشغلون عقلى القلق بمصائر الافراد .

آدلهايد : انه يفقد روح الحاكم .

فايزلينجن : وانتقلنا بهجومنا الى زيكينجن . ـ فقال : انه خادمى المخلص . واذا لم يكن قد فعل مافعل بأمر منى ، فقد كان ينفذ ارادتى بغير تكليف ، ولايمكننى الا أن أمتدح تصرفه ، سلفا أو خلفا .

آدلهايد : هذا شىء يوشك أن يفتك بالمرء فتكا !

فايزلينجن : ولكننى مع ذلك لم أفقد الأمل كلية . فقد ترك فى قصره بعد أن وعد بشرف الفارس أن يلزم السكون . وهذا شىء لا قدرة له عليه . وسنجد فى المستقبل القريب سببا نستعمله ضده .

آدلهايد : خاصة أننا نأمل أن يرحل القيصر عن الدنيا قريبا ويخلفه

ولى عهده كارل ، وهو رجل ممتاز له أفكار أكثر عظمة وجلالا .

فايزلينجن : كارل ؟ ولكنه لم ينتخب ولم يتوج .

آدلهايد : وهل هناك من لايتمنى له ذلك ؟

فايزلينجن : ان لديك فكرة عظيمة عن ميزاته ، بل ان الانسان ليعتقد أنك تنظرين اليها بأعين أخرى ..

آدلهايد : أنت تهيننى يافايزلينجن . أتظننى من هذا النوع ؟

فايزلينجن : لم أقل شيئا فيه اهانة لك .. ولكننى لاأستطيع السكوت على هذا . فان اهتمام كارل بك أمر يسبب قلقى .

آدلهايد : وسلوكى ؟

فايزلينجن : أنت امرأة ، والنساء لايكرهن من يتملقهن .

آدلهايد : أما أنتم ؟

فايزلينجن . هذه الفكرة الفظيعة تفترس فؤادى .. آدلهايد .

آدلهايد : هل أستطيع أن أشفيك من جنونك ؟

فايزلينجن : لو شئت فعلت . يمكنك مثلا أن تبتعدى عن البلاط .

آدلهايد : أنعم وأكرم بالوسائل والطرق . ألست أنت أيضا فى البلاط؟ أتريد منى أن أتركك وأترك أصدقائى وأعتكف فى قصرى مع البوم ؟ لا يافايزلينجن . لن يؤدى هذا الأمر الى شىء . هدىء من روعك ، فانت تعلم كيف أحبك .

فايزلينجن : هذا هو الهلب المقدس وسط العاصفة ، ولايأس به مادام الحبل لم ينقطع . (يخرج)

آدلهايد : ابدأ هذه البداية ! نعم ! كان هو هو ماينقصنى ! ولكن صدرى يعج بأهداف أعظم من أن تستطيع أنت أن تقعد فى سبيلها . كارل ! هذا الرجل العظيم ! وقيصر المستقبل .

حتى ولو كان هو الرجل الوحيد الذى لا يستهويه الحصول على رضائى ؟ لا يافايزلينجن ، لاتفكر فى الوقوف فى سبيلى والا ابتلعتك الأرض ، فان طريقى يمر فوقك .

( فرانتس يدخل حاملا رسالة )

فرانتس : تفضلى ياسيدتى الكريمة .

آدلهايد : هل أعطاكها كارل بنفسه ؟

فرانتس : نعم .

آدلهايد : ماذا بك ؟ يبدو عليك الحزن .

فرانتس : لقد انعقدت ارادتك على أن أموت كمدا ، انك تزجين بى الى اليأس وأنا فى سنوات الأمل .

آدلهايد : اننى متأثرة له ــ وما أقل مايكلفنى اسعاده ! تشجع أيها الشاب . فانا أحس بحبك واخلاصك وان أكون ناكرة للجميل جاحدة لك .

فرانتس (مكتئبا) : مادامت لك القدرة على ذلك ، فالهلاك مصيرى . رباه ، ليس فى جسمى من الدم قطرة واحدة لاتستحوزين عليها ، ليس لدى الا احساس واحد هو حبك والقيام بما يرضيك .

آدلهايد : أيها الشاب الحبيب .

فرانتس : انك تتملقيننى . (ينفجر باكيا) اذا لم يكن هذا الامتثال أليك يستحق منك الا تفضيل امتثال آخر عليه ، الاالتطلع الى أفكارك وهى تتركز على كارل ــ ــ

آدلهايد : فرانتس . انك تنسى نفسك .

فرانتس : أنا أضحى بنفسى . أنا أضحى بسيدى الحبيب .

آدلهايد : اعزب عن وجهى .

فرانتس : سيدتي الكريمة .

آدلهايد : اذهب ، اكشف لسيدك الحبيب سرى . لقد كنت مجنونة اذ اعتبرتك على نحو لست عليه .

فرانتس : أبتها السيدة الكريمة الحبيبة . انت تعلمين كم أحبك . اغفرى لى ياسيدتى الكريمة . لقد امتلأ قلبى بأكثر مما أستطيع ولم تعد روحى تحتمل .

آدلهايد : أيها الشاب الحبيب المتأجج . (تمسكه بيديها وتجذبه اليها ويتبادلان القبل فيطوقها بذراعيه) .

آدلهايد : دعنى .

فرانتس (يطوقها بذراعيه والعبرات تكاد تخنقه) : رباه ! رباه !

آدلهايد : دعنى ، فالحيطان خائنة . دعنى . (تتملص منه) لاتحد عن حبك واخلاصك لى ، وستنال منى أجمل الجزاء . ( تخرج ) .

فرانتس : أجمل جزاء ؟! ليتنى أعيش حتى هذا الوقت . والله لو نازعنى أبى الحظوة التى نلتها ، لقتلته .

## ( ياكستهاوزن )

( جوتس يجلس الى المائدة . اليزابت بجانبه تشتغل . على المائدة مصباح وأدوات للكتابة)

جوتس : البطالة لاتطيب لى مطلقا ، والتقييد المفروض على يغيظنى غيظا يشتد يوما بعد يوم . ليتنى كنت أستطيع النوم أو أستطيع أن أتخيل أن الراحة شىء لطيف .

اليزابت : اذن فاكتب قصة حياتك التى كنت قد بدأتها ، وقدم بذلك الى أصدقائك وثيقة يخجلون بها أعداءك ، وامنح الخلف متعة تقديرك وعدم التنكر لك .

جوتس : الكتابة هى بطالة تتصنع الاشتغال ، وهى لاتحـلو لى ، فعندما أكتب قصة مافعلته ساغتاظ لضياع الوقت الذى كنت أستطيع أن أفعل فيه شيئا .

اليزابت (تتناول المكتوب) : لاتكن غريب الأطوار . لقد وصلت الى اعتقالك الاول فى هايلبرون .

جوتس : هذه مدينة كانت دائما شؤما على .

اليزابت (تقرأ) : «كان هناك حتى من بين المتحالفين أنفسهم من قالوا لى : لقد أخطأت اذ أسلمت نفسك الى ألد أعدائك ، لانك كنت تعلم أنهم لن يحسنوا معاملتك . فأجبت بقولى : ـ» بم أجبت ؟ اكتب ، استمر فى القصة .

جوتس : قلت : اننى أعرض حياتى للضياع من أجل متاع الآخـرين ومالهم فلم لا أفعل من أجل كلمتى ؟

اليزابت : هذه سمعتك .

جوتس : فليجردونى منها . لقد جردونى من كل شىء تقريبا ، الأملاك والحرية ـ ـ

اليزابت : حـدث هذا فى الوقت الذى لقيت فيـه سـادة ميلتنبرج وزينجلينجن فى حانة ولم يكونوا على معرفة بى . وقـد كانت فرحتى عظيمة كأنى وضعت ولدا ذكـرا . كانـوا يتفاخرون قائلين : انه مثال الفارس ، شـجاع كريم فى الحرية ، هادىء مخلص فى المحنة .

جوتس : عليهم ان استطاعوا أن يجدوا انسانا واحدا وعدنه وعـدا ثم أخلفته . الله يعلم أننى عرقت لخدمة القريب أكثر مما عرقت لخدمة نفسى ، واننى عملت من أجل الحفـاظ على سمعتى كفارس شجاع مخلص ولم أعمل قط لبلوغ ثراء أو رفعة . واحمد الله فقد نلت ماسعيت اليه .

( ليرسه . جيورج يحمل صيدا )

جوتس : عظيم أيها الصيادون الشجعان .

جيورج : من فرسان شجعان تحولنا الى صيادين . وهكذا فان الخف أسهل من الحذاء .

ليرسه : لكن الصيد على أية حال نوع من الحرب .

جيورج : لو لم يكن على الانسان فى هذه المنطقة أن يواجه جنود الرايخ فى كل حين .. لقد تحققت نبوءتك ياسيدى الكريم : عندما تنقلب النار ستتحول الى صيادين . وهانحن أولاء قد تحولنا الى صيادين دون أن تنقلب الدنيا .

جوتس : النتيجة واحدة ، لقد خرجنا عن دائرتنا .

جيورج : اننا فى أوقات عصيبة . فقد ظهر مذنب فظيع منذ ثمانية أيام فى السماء وأشاع الرعب فى ألمانيا كلها ، واعتبر علامة على موت القيصر الذى اشتد عليه المرض .

جوتس : اشتد عليه المرض ؟! اذن فقد أوشك القيد المفروض علينا أن ينتهى .

ليرسه : وهنا فى المنطقة المجاورة تغيرات فظيعة . لقد قام الفلاحون بثورة هائلة .

جوتس : أين ؟

ليرسه : فى قلت شفابن . انهم يحرقون وينسفون ويقتلون ، وأخشى ما أخشاه أن يخربوا الديار كلها .

جيورج : انها حرب عارمة ، وثورة شملت مائة منطقة ، ومداها يتسع يوما بعد يوم . وقد هبت عاصفة منذ قليل اقتلعت غابات

بأسرها ، ثم رأى الناس بعدها وفى المكان الذى اندلعت
منه الثورة سيفين نارين متقاطعين كالصليب فى الهواء .

جوتس : لابد أن هناك من بين سادتى الاخيار وأصدقائى الاعزاء نفر
يقاسى دون ماذنب .

جيورج : أسفاه ! ليس لنا أن نخوض المعارك !

# الفصل الخامس

(حرب الفلاحين . اضطراب فى قرية ونهب . نساء وشيوخ)
(معهم أطفال ومتاع . هروب)

شيخ : هيا بنا . بسرعة . لكن نعلت من الكلاب السفاكة .

امرأة : سبحان الله ، لقد اصطبغت السماء بحمرة الدم واحمرت الشمس الغاربة .

أم : هذا يعنى النار والحريق .

امرأة : وازوجاه ! وازوجاه !

شيخ : هيا بنا ! بسرعة ! الى الغابة ! (يعبرون)

( لينــك )

لينك : من يقــاوم يطعن . فالقرية قريتنا ، لاتبقـوا على شىء . ولاتفلتن منكم ثمرة . انهبوا بسرعة ولاتتركوا شـــيئا . فسنشعل النار حالا .

( ميتسلر يهرع نازلا من فوق تل )

ميتسلر : كيف حالك يالينك ؟

لينك : تارة فى ارتفاع وتارة فى انخفاض . وأنت ترى أنك تقترب من النهاية . من أين أتيت ؟

ميتسلر : من فاينسبرج . كانت هناك حفلة .

لينك : كيف ؟

ميتسلر : لقد أعملنا فيهم التقتيل حتى أتينا عليهم وكانت متعة .

لينك : من تعنى ؟

ميتسلر : كان ديتريش فون فايلر يتصدر الحفلة ، وبدأ الرقص الدنىء . وتجمعنا حوله وكنا ثلة من الرجال الغضوبين ، وحاول من فوق برج الكنيسة حيث تحصن أن يتفاهم معنا بالحسنى ، فأطلق عليه أحدنا طلقة أصابت راسه وصعدنا البرج بسرعة البرق ، وارتمى المغفل من الشباك .

لينك : آه .

مينسلر (الى الفلاحين) : أيها الكلاب . هل تنقصكم سيقان حتى آتيكم بسيقان تتحركون بها . ماهذا التباطؤ والفتور ياحمير .

لينك : اشعلوا الحرائق . اقلوهم اشووهم فيها . هيـا . هبـوا ياصعاليك .

مينسلر : ثم بعد ذلك أخذنا هيلفنشتاين وايلترسهوفن وآخرين من النبلاء بلغ عددهم ثلاثة عشر ، وضممنا اليهم من ضممنا حتى صاروا ثمانين ، وسقناهم الى السهل قرب هايلبرون. وكان رجالنا يتصايحون ويصخبون فرحين بالصف الطويل من الآثمين الاغنياء المساكين الذين كانوا يحملقون بعضهم فى البعض ثم فى الارض والسماء . وأحطنا بهم بغتة وقتلناهم وخزا بالاسياخ .

لينك : ليتنى كنت معكم !

ميتسلر : لم أر فى حياتى مارأيت فى ذلك اليوم من المتعة .

لينك : بسرعة . اخرجوا .

فلاح : كل المنازل خاوية .

لينك : اذن فضعوا النار فى الأركان .

ميتسلر : سنرى الآن حريقا جميلا . — ثم كان مشهدهم متسـهدا .

كانوا يتقلبون بعضهم فوق البعض ريحدثون نقيقا كنقيق الضفدع . وامتلأ قلبي بالدفء كأنما شربت كأسـا من النبيذ . كان من بين هؤلاء رجل اسمه ريكسينجر ، كان قديمـا عندما يخرج للصيد نافشا ريش قبعته فاغـرا منخاره يسلط كلابه علينا كالبهائم . ولم أكن قد رأيتـه منذ مدة طويلة ، ولكنى تبينته وعرفتـه بوجهـه القبيح المتقلص . هوب ! سلطت اليه وخزة بالسيخ نفذت في أضلاعه فخر صريعا وتمدد فوق رفافه . وكانوا جميعـا يرتعدون ويقفز بعضهم فوق البعض كالارانب التى تطاردها كلاب الصيد .

لينك : الدخان يتصاعد عظيما .

مينسلر : الحريق شديد في الخلف . ـ هيا بنا نأخذ الغنائم ونلحق بجماعتنا .

لينك : وأين هي ؟

ميتسلر : على طريق هايلبرون . وهم هناك يبحثون عن قائد لهم يحظى باحترام الشعب . ومانحن الا من أمثالهم ، وهم يحسون بذلك ومن الصعب أن يفكروا فينا كقادة لهم .

لينك : ففيمن يفكرون ؟

ميتسلر : يفكرون في اختيـار ماكس شتومبف أو جـوتس فون برليشينجن .

لينك : لو تحقق هذا الاختيار لكان اختيارا طيبا ، ولاعطى الأمـر صبغة كأنما جوتس هو الذى بنولاه ، وقد اشتهر جوتس دائما بأنه فارس مخلص نصير للحق . هيا بنا . هيا . لنرحل الى هايلبرون . ولينادى المنادى في الرجال بهذا .

ميتسلر : ستضيء ألسنة النيران لنا مسافة طويلة . هل رأيت النجم المذنب ؟

لينك : انه لعلامة فظيعة مرعبة . اذا سرنا فى الليل استطعنا أن نراه
واضحا فهو يظهر نحو الساعة الواحدة .

ميتسلر : ويبقى ساعة وربع الساعة فقط . وانه يبدو على شكل ذراع
ملتوية تحمل سيفا وألوانه بين لون الدم والصفرة والحمرة .

لينك : وهل رأيت النجوم الثلاثة عند طرف السيف وعلى جانبيه ؟

ميتسلر : والشريط العريض المصطبغ بلون السحاب المتفرق الى آلاف
وآلاف من الاشعة كأنها الاسياخ وبينها سيوف صغيرة .

لينك : لقد أفزعنى هذا المنظر . لقد رأيت مجموعة حمراء باهتة
تحتها ألسنة نيران ناصعة ، وفى الوسط وجوه فظيعة لها
شعر ولحى جعداء .

ميتسلر : هل رأيت هذا أيضا ؟ ورأيت كيف يختلج اللهيب ويتداخل
كأنه فى بحر من الدماء ، ويفور على نحو يذهب العقل !!

لينك : هيا بنا . هيا : (يخرجان)

## ( ساحة )

( تبدو على البعد قريتان تشتعلان ودير ) .

( كول . فيلد . ماكس شتومبف . رجال )

ماكس شتومبف : لايمكنكم مطالبتى بأن أكون قائدكم ، فهـذا شىء
لايفيدنى ولايفيدكم . فأنا خادم البفالتسجراف ، وأنى لى
آن أثور عليه ؟ وأنتم ستظنون دائما أننى لاأقودكم عن إيمان
ان أنا قدتكم .

كول : كنا نعلم أنك ستلتمس المعاذير .

( جوتس ، ليرسه ، جيورج يقبلون )

جوتس : ماذا تريدون منى ؟

كول : نريد أن تكون قائدنا .

جوتس : هل أحنث بالوعد الذى أخذته على نفسى حيـــال القيصر ودعمته بكلمة الفارس فأخرج من معقلى ؟

فيلد : ليس هذا بعذر .

جوتس : ثم اننى لو كنت حرا غير ملتزم بعهد ، ورأيتكم تفعلون مافعلتم عند فاينسبرج بالنبـلاء والسـادة ، وتضربون فى الارض هائمين على وجوهكم تحرقون وتسفكون الدماء فكيف أكون معينا لكم على أعمالكم المخزية المجنونة ــ الافضل لى أن تقتلونى كما يقتل الناس كلبا مسعورا ، من أن أكون رئيسا لكم ..

كول : لو لم يحدث هذا ، لما حدث قط .

شتومبف : ان ماجرى هو النتيجة المحزنة لسيرهم بدون قائديحترمونه ويعقل جنونهم . أرجـــوك ياجوتس ، اقبل قيادتهم فستقوم بذلك بعمل يشكرك عليه الأمراء ، بل نعرفه لك ألمانيا كلها . ستقوم بعمل لخير وعزة الجميع . ستصون الأرض والبشر .

جوتس : ولماذا لاتنهض أنت بعبء القيادة ؟

شتومبف : لقد افترقت عنهم ..

كول : ليس أمامنا وقت للراحة أو اراحة الخيول من سروجها، وليس أمامنا وقت للكلام الطويل الذى لاجدوى منه . بايجـــاز واختصار ، كن قائدنا ياجـــوتس ، أو ابحث عن قصرك وحياتك . خذ ساعتين لتفكر وتقرر . أحرسوه .

جوتس : لاداعى لهذا . لقد قررت الآن ــ وماقرارى بجديد . فيم صراعكم ؟ هل تريدون استعادة حقوقكم وحرياتكم ؟ فلماذا تعثون فى الأرض مفسدين ؟ ان أردتم أن تنصرفوا عن الاعمال

الشريرة وأن تسلكوا مسلك الشجعان الذين يعرفون مايريدون ، فسأكون لكم عونا على مطالبكم وساقودكم ثمانية أيام .

فيلد : ماحدث حدث فى جذوة الغيظ الاولى ، وليس هناك مايدعو لصدنا ، فقد خبت الجذوة الاولى .

كول : قدنا على الأقل ثلاثة أشهر .

شتومبف : قل أربعة أسابيع ، تلك مدة وسط يقبلها الطرفان .

جوتس : لابأس .

كول : هات كفك !

جوتس : وعدونى بأن تبعثوا بالاتفاق الذى أبرمناه مكتوبا الى فرقكم كلها ، ليكون العقاب الرادع جزاء من يخرج عليه .

فيلد : لك هذا .. سنفعل .

جوتس : اتفقنا لمدة أربعة أسابيع .

شتومبف : مبارك . مهما تفعل ، فابق على سيدنا الكريم البفالتسجراف .

كول (بصوت خفيض) : احرسوه . ولاينبغى أن يتكلم معه أحد فى غير وجودكم .

جوتس : ياليرسه . اذهب الى زوجى ، وكن الى جانبها ، وأبلغها أن أخبارى ستصلها عما قريب .

( جوتس ، ستومبف ، جيورج ، ليرسه ونفر من الفلاحين يخرجون ) .

( ميتسلر ولينك يدخلان )

ميتسلر : ماهذا الاتفاق الذى سمعنا به ؟ ماهو المقصود من هذا الاتفاق ؟

لينك : من المخجل عقد اتفاق كهذا .

كول : نحن نعرف خيرا منكم مانريد ، ونحن أصحاب الحل والربط .

فيلد : لابد أن ينتهى السفك والقتل والحرق يوما ما ، ان لم يكن اليوم فغدا . وقد كسبنا بسياستنا هذه قائدا هماما .

ميتسلر : تقول ينتهى ؟ أيها الخائن ! وماذا أتى بنا الى هنا ؟ انما أردنا أن ننتقم من أعدائنا وأن نجد الوسيلة للنهوض بأنفسنا ـ لابد أن الذى نصحكم بهذه السياسة واحد من عبيد الأمراء .

كول : تعال يافيلد ، فانه كالبهائم . (يخرجان)

ميتسلر : اذهبا . لن تلتف حولكما فرقة واحدة . ياللخونة . لينك، نريد أن نحرض الآخرين ، وأن نشعل النيران هناك فى ميلتنبرج ، فاذا حدثت مشاحنات بسبب هذا الاتفاق ضربنا أصحاب الاتفاق وقطعنا رؤوسهم .

لينك : الغالبية فى صفنا .

## ( جبل وواد، طاحونة على بعد )

( فرقة من الفرسان )

( فايزلينجن يأتى خارجا من الطاحونة ومعه فرانتس ورسول )

فايزلينجن : أين حصانى ؟ ـ هل أبلغت السادة الآخرين الرسالة ؟

الرسول : ستأتى اليك على الاقل سبع فرق بأعلامها الى الغابة وراء ميلتنبرج . والفلاحون يجولون فى القاع . وقد خرج رسل الى الانحاء كلها وستكون قواتنا مجتمعة معا عما قريب ، وستكون ضربتنا مصيبة . ويقال ان الفرقة شاعت بين صفوف العدو .

فايزلينجن : خيرا . ـ فرانتس .

فرانتس : سيدى الكرم ؟

فايزلينجن : أرجوك أن تبلغ هذه الرسالة فى الحال ، وان تستميت من أجلها . اليك هذا الخطاب أوصله اليها . لابد أن تترك البلاط وتذهب الى قصرى . فى الحال . ولابد أن تراها بعينيك وهى ترحل وتأتى الى بالخبر اليقين .

فرانتس : سأنفذ أمرك ياسيدى .

فايزلينجن : قل لها ، ان عليها أن توافق .. (الى الرسول) . حذنا الى أقرب وأحسن درب .

الرسول : لابد أن نسلك طرقا أبعد وأشق ، لأن مياه الامطار الفظيعة أتلفت الطرق الاخرى وغمرتها .

( ليزابت . ليرسه )

## ( ياكستهاوزن )

ليرسه : هدئى من روعك يا سيدتى الكريمة .

اليزابت : آه يا ليرسه . لقد كانت الدموع فى مآقيه وهو يودعنى . ما أفظع هذا ، ما أقساه .

ليرسه : سيعود .

اليزابت : ليس هذا هو ما اهتم له . فلم أكن أحزن عندما كان يخرج للنزال وتحقيق الانتصارات المجيدة . بل كنت أفرح وأتوق فى فرح الى عودته . أما الآن فعودته تخيفنى .

ليرسه : رجل كريم نبيل مثله .

اليزابت : لا تصفه بهذا الوصف ، فانك بذلك تجسدد البؤس والنكبة . يا للاشرار ! لقد هددوه بأن يقتلوه ويحرقوا

قصره ــ عندما يعود ــ اننى أراه غاضبا مكتئبا . فسيصنع أعداؤه ضده عريضة اتهام كاذبه ، ولن يكون فى امكانه أن يرد قائلا : لا .

ليرسه : بل سيكون فى امكانه وسيفعل .

اليزابت : لقد ضرب بالحكم عرض الحائط . قل لا !

ليرسه : لا . لقد كان مكرها . فأين السبب الذى يمكن التعلق به لادانته ؟

اليزابت : الأشرار لايلتمسون الاسباب الحقيقية ، بل العلل التى تخدم خططهم . لقد انضم الى ثوار ومجـرمين وقتلة بل وقادهم .. قل لا !

ليرسه : كفى عن تعذيب نفسك وتعذيبى . ألم يعاهدوه علنـا على عدم القيام بعمل جديد من نوع العمل الذى قاموا به عند فاينسبرج ؟ ألم أسمعهم أنا بنفسى وهم يقولون فيما يوشك أن يكون الندم : لو لم يكن هذا قد حدث بالفعل ، لتمنينا الا يحدث أبدا ؟ ألا ينبغى أن يشكره الأمراء والســادة على قيـادته أمة متهورة بمحض ارادته ليـوقف تهـورها وليصون الكثير من البشر والأموال ؟

اليزابت : أنت محام كريم . فاذا قبضوا عليـه وعاملوه معـــاملة المتمردين وهو العزيز ذو الشعر الأشيب ــ ليرسه ، اننى اكاد أجن .

ليرسه : يا رب البشر ، امنح جسمها النوم ، اذا لم تكن تريد أن تمنح روحها السلوان .

اليزابت : لقد وعد جيورج بأن يحمل الينا الأخبار . ولكن يبدو انه لن يتمكن من فعل كل ما يريد ، فهم تحت الأنظار على نحو أشـــد مما لو كانوا أسرى . أنا أعرف انهم مراقبـون

كالأعداء سواء بسواء . ما أطيب جيوورج ! لم يشأ أن يترك سيده .

ليرسه : كان قلبي ينزف من الأسى عندما أمرني بالقدوم اليك . والله لو لم تكوني في حاجة الى مساعدتي ، لما افترقت عنه ولو تعرضت لأشد المخاطر فتكا .

اليزابت : لا أعرف أين زيكيتجن .. ليتني أستطيع أن أرسل رسولا الى ماريا .

ليرسه : اكتبي ما تريدين وأنا أجد وسيلة لتوصيل ما تكتبين الى من تريدين . ( يخرجان ) .

## ( على مقربة من قرية )

( جوتس . جيـــورج )

جوتس : اركب حصانك بسرعة يا جيورج . انني أرى النيران تشتعل في ميلتنبرج . هل هكذا يلتزمون بالاتفاق المبرم بيننا ! اذهب اليهم وأبلغهم رأيي . يا لهم من قتلة مخربين لقد قطعت صلتي بهم . وكان الأحرى بهم أن يتخذوا واحدا من الفجر لقيادتهم ، لا أنا .. بسرعة يا جيورج . ( جيورج يخرج) ليتني كنت بعيدا عنهم ، يفصلني عنهم ألف من الأميال ، ليتني كنت في اعمق زنزانة بتركيا . لسوف اعارضهم في كل وقت وكل آن ، واعلن عليهم اشد الحقائق مرارة حتى يفتاظوا مني وينصرفوا عني .

( مجهـول )

الرجل المجهول : حياك الله أيها الرجل الكريم .

جوتس : أثابك الله يا رجل ! ماذا وراءك ؟ ما اسمك ؟

المجهول : هذا ما لا يعدم ولا يؤخر . لقد أتيت أحذرك من أن رأسك في خطر . فقد غضب الثوار من غلظة كلامك وقرروا أن يتخلصوا منك . فاعتدل معهم أو التمس لك وسيلة للفرار ، وليكن الله لك معينا . ( يخرج ) .

جوتس : هل هكذا تخرج من الدنيا يا جوتس ؟! هل هكذا نكون نهايتك ؟! لقد قضى الأمر . ليكن قتلى أوضح آية نطلع على الناس بأننى لا شأن لى بما يرتكبه هؤلاء الكلاب .

( نفر من الفلاحين )

الفلاح الاول : سيدى ! سيدى ؟ لقد هزموا ! لقد أسروا !

جوتس : من ؟

الفلاح الثانى : من أحرقوا (( ميلتنبرج )) . فقد خرج عليهم جند من جيش الرابغ كانوا يتحصنون بالجبل وهجموا عليهم هجمه واحدة .

جوتس : سيلقون جزاءهم . جيورج . جيورج . لقد أسروه مع الأشرار ـ جيورج ، جيورج ـ حبيبى .

( زعماء التمرد يقبلون )

لينك : هيا ، أيها القائد ، هيا . ليس هناك لحظة نضيعها . فالعدو قوى والعدو قريب .

جوتس : من الذى أحرق ميلتنبرج ؟

ميتسلر : اذا أردت أن تخلق الصعوبات فسنعلمك كيف يكون الكف عن خلق الصعوبات .

كول : صن حياتك وحياتنا . هيا . هيا .

جوتس ( الى ميتسلر ) : هل تهددنى ؟ يا حقير . أتظن أنك تزيدنى خوفا لأن دم جراف هلفشتاين عالق بثيابك ؟

ميتسلر : برليشينجن !

جوتس : لك أن تذكر اسمى ، ولن يخجل ابنائى من ذلك .

ميتسلر : يا جبان ! يا خادم الأمراء .

جوتس : ( يضربه على رأسه فيهوى على الأرض . الآخرون يفغون بينهما )

كول : انت مجنون . العدو يدخل من كل ناحيه وأنت تهذى .

لينك : هيا ! هيا !

( ضوضاء .. معركة )

( فايزلينجن . فرسان )

فايزلينجن : تعقبوهم ، تعقبوهم . انهم يفرون . لا يصدنكم مطر منهمر أو ليل مدلهم . جوتس بينهم ، لقد سمعته . ابذلوا جهدكم فى القبض عليه ، لا تدعوه يفلت منكم ، وقد جرح جرحا بليغا ، على ما قال رجالنا . ( الفرسان يخرجون ) وعندما أقبض عليك يا جوتس ـ سيكون من الفضل والكرم أن تنفذ فيك الحكم وأنت فى السجن ـ وهكذا يختفي من ذاكرة الناس ، ويكون فى مقدورك أن تتنفس أكثر حرية أيها القلب الواهن ( يخرج ) .

## ( ليل ، فى غابة موحشة . معسكر الغجر . )

( أم غجرية عند النار .. )

الام : احكمى سقف القش على الحفرة يا بنيتى فالمطر شديد هذه الليلة .

( الابن يدخل )

الولد : لقد أبيت بهذا اليربوع يا أمى . وبهذين الفأرين البريين .

الأم : سأسلخها وأشويها لك ، من فرائها سأصنع لك طاقية ــ ماهذا الدم ؟

الولد : لقد عضنى اليربوع .

الام : آتنى بحطب حتى تشتد النار عندما يأتى أبوك ، فلابد أنه سيأتى مبللا بللا شديدا من المطر .

( غجرية أخرى ، تحمل طفلا على ظهرها )

الغجرية الاولى : هل تسولت كما ينبغى ؟

الغجرية الثانية : لم أحصل على ما يكفينا . فالبلاد مليئة بالاضطراب حتى ان الانسان لا يأمن على حياته . وهناك قريتان تشتعل فيهما النيران .

الغجرية الاولى : هل هذا الضوء هناك حريق ؟ لقد نظرت اليه طويلا ، ولم أعرف كنهه ، فقد اعتدنا على منظر النار فى كبد السماء .

( شيخ الغجر وثلاثة من رجاله يأتون )

الشيخ : هل سمعتم الصياد الضارى ؟

الغجرى الاول : انه قادم فى اتجاهنا .

الشيخ : ما اشد عواء الكلاب . هاو . هاو .

الغجرى الثانى : وما أشد فرقعة السياط .

الغجرى الثالث : الصيادون يهللون : هولا هو !

الام : هل هو الشيطان يأتى بمتاعه .

الشيخ : لقد اصطادوا فى الماء العكر . ان الفلاحين أنفسهم ينهبون ، فهل يحرم علينا ما يباح للفلاحين ؟

الغجرية الثانية : ما هذا الذى معك يا فولف ؟

فولف : أرنب وديك . وسيخ شواء . وصرة من التيل . وثلاث ملاعق ولجام حصان .

شتيكس : أما أنا فمعى غطاء من الصوف وحذاء وكبريت .

الأم : الأشياء كلها مبللة بللا شديدا . الى بهـا حتى أجففهـا . ( تخرج )

الشيخ : انصتوا . اسمع حصانا . اذهبوا . انظروا من القادم .

( جوتس على ظهر حصان )

جوتس : الحمد لله . اننى أرى هناك نارا . هؤلاء غجر . جراحى تنزف والأعداء من ورائى . رباه ، انك تسىء نهايتى .

الشيخ : هل تأتى بسلام أم خصام ؟

جوتس : أتوسل اليكم أن تعينونى ، فقد سـال دمى حتى حارت قواى . ساعدونى على النزول من فوق الحصان .

الشيخ : ساعدوه . انه رجل كريم فى شكله وكلامه .

فولف ( بصوت خفيض ) : انه جوتس فون برليشينجن .

الشيخ : مرحبا بك . مالنا مالك .

جوتس : شكرا لكم .

الشيخ : ادخل خيمتى .

## ( خيمة شيخ الغجر )

( الشيخ . جوتس )

الشيخ : نادوا الأم أن تأتى بدواء للجروح وضمادة .

( الشيخ يخلع السربال )

الشيخ : خذ هذا أجمل ثيابى .

جوتس : أثابك الله .

( الأم تضمد الجرح )

الشيخ : لم يسعد قلبى أن تكون عندى .

جوتس : هل تعرف من أنا ؟

الشيخ : وهل هناك من لا يعرفك ؟ جوتس ، حياتنا ودماؤنا فداك .

( شريكس )

شريكس : هناك فرسان تجتاز الغابة . انهم من فرسان الرايخ .

الشيخ : الذين يطاردونك . لن يصلوا اليك . هيا يا شريكس . ناد على الآخرين . فنحن نعرف المسالك والدروب خيرا منهم ، وسنبيدهم قبل أن يبصروا بنـا . ( يخرجون )

جوتس ( وحده ) : أيها القيصر . أيها القيصر . أرأيت الى المجرمين كيف يرعون أبناءك .

( دوى طلقات شديد ) الرجال أولو البداوة . ما أعظم اخلاصهم وصمودهم !

( غجرية )

الغجرية : اهرب ، فالغلبة للعدو .

جوتس : أين حصانى ؟

الغجرية : هنا غير بعيد .

جوتس ( يتمنطق بحـزامه ويمتطى الحصـان دون سربال ) : لابد أن يحسوا بقبضتى للمرة الأخيرة . فلم يبلغ بى الوهن حد العجز بعد . ( يخرج ) .

الغجرية : انه يندفع الى رجالنا ( تهرب ) .

فولف : اجروا . اجروا . لقد قتل شـــيخنا ، ووقع جوتس فى الأسر .. ( عويل النساء . هرب ) .

## ( مخدع آدلهايد )

( آدلهايد تحمل خطابا )

آدلهايد : هو أم أنا ؟ الجسور ! انه يهددنى . ولكننا سنسبقك . ما هذا الذى يتلصص فى القاعة . ( أحدهم يقرع الباب ) من بالباب ؟

( فرانتس ، بصوت خفيض )

فرانتس : افتحى لى يا سيدتى الكريمة .

آدلهايد : فرانتس . انه يستحق أن أفتح له ( تفتح له فيدخل )

فرانتس ( يطوقها بذراعيه ) : أيتها السيدة الكريمة الحبيبة .

آدلهايد : يا عديم الحياء . ماذا او سمعك سامع ؟ !

فرانتس : آه ، الجميع نيام ، الجميع .

آدلهايد : ماذا تريد ؟

فرانتس : لا أعرف طعم الراحة . أنا بين تهديدات سيدى ومصيرك وقلبى .

آدلهايد : هل كان شديد الغضب عندما انصرفت من عنده ؟

فرانتس : كان يستشيط غضبا على نحو لم أعهده من قبل . قال لابد أن تذهب الى ضياعها ، لابد أن توافق .

آدلهايد : ونحن نتبع ؟

فرانتس : لا أعرف يا سيدتى الكريمة .

آدلهايد : أيها الشاب الغرير المخدوع ، ألا تفهم نواياه ؟ انه يعرف

اننى هنا فى أمان . وهو يتآمر على حريتى من زمن ، ويريد أن يأخذونى الى ضياعه هو ، حيث يتمكن منى ويعاملنى على النحو الذى يصوره له الحقد الذى فى قلبه .

فرانتس : لن يكون له ذلك .

آدلهايد : هل ستمنعه ؟

فرانتس : لن يكون له ذلك .

آدلهايد : اننى أتنبأ ببؤسى وأعرف مصيبتى من الآن . سينتزعنى من قصره عنوة ويزج بى فى غياهب بعض الأديرة .

فرانتس : دونه الجحيم والموت !

آدلهايد : هل تنقذنى ؟

فرانتس : قبل أى شىء آخر .. قبل كل شىء .

آدلهايد ( تبكى وتعانقه ) : فرانتس آه ، هل تنقذنا .

فرانتس : سأقضى عليه ، سأطأ عنقه بقدمى هذه .

آدلهايد : لا تدع الغيظ يستبد بك الى هذا الحد . يكفى أن تأخذ هذا الخطاب اليه وقد ملأته بعبارات التواضع والطاعة ، فتسلمه اليه . ثم اليك هذه الزجاجة الصغيرة صبها فى شرابه .

فرانتس : هاتى ! فلابد أن تكونى حرة !

آدلهايد : حرة ! حتى لا يكون عليك أن تتسلل الى على أطراف أصابعك وأنت ترتعد خوفا من الرقيب — ولا يكون على أن أقول لك خائفة : اذهب يا فرنتس فقد أصبح الصباح .

## ( هايلبرون أمام البرج )

( اليزابت . ليرسه )

ليرسه : كان الله فى عونك على ضرائك يا سيدتى الكريمة . ماريا هنا

اليزابت : الحمد لله . لقد انحدرنا يا ليرسه الى مصيبة فظيعة . لقد حدث ما كنت اتوقعه ! لقد قبض عليه كمجرم ومتمرد وزج به الى أعماق زنزانة البرج .

ليرسه : أعلم كل شيء .

اليزابت : لا شيء ، انت لا نعلم شيئا ، فما أعظم البلية ! عمره ، الحمى التى بدأت تتسلل فى جسمه ، هذا وأكثر من هذا والظلمة الحالكة التى تطوى نفسه وتصور له أن نهايته وشيكة .

ليرسه : أضيفى الى ذلك أن فايزلينجن قد عين متصرفا يأمر فينفذ

اليزابت : فايزلينجن ؟

ليرسه : وقد نفذت أحكام فظيعة . ميتسلر أحرق حيا ، وعذب المئات بالعجلات والخوازيق وقطع الرءوس والتمزيق . ان البلاد لتشبه اليوم مذبحا يباع فيه لحم الانسان .

اليزابت : قلت أن فايزلينجن هو المتصرف . رباه ، هذا شعاع من الأمل . فلتذهب ماريا اليه وترجوه فما كان رافضا لها رجاء . وقد كان دائما رجلا لين القلب ، واذا رآها وهى التى أحبها أى حب وتحولت بسببه الى البؤس أى بؤس ــ أين هى ؟

ليرسه : ما زالت فى الفندق .

اليزابت : خذنى اليها ، حتى تذهب اليه فى الحال ، فانى أخشى كل شيء .

## ( قصر فايزلينجن )

### ( وايزلينجن )

فايزلينجن : ما أشد مرضى ! ما أشد وهنى ! كأن عظامى جوفاء نخرة ، امتصت نخاعهـا حمى فظيعة . لم أعد أعرف الراحة ولا الهدوء لا بالليل ولا بالنهار . وتلك أحلام مسمومة تراودنى وأنا بين اليقظة والنعـاس . فى الليلة الماضية رأيت فى الحلم جوتس يقابلنى فى الغابة ويخـرج سيفه ويستفزنى للمبـارزة ، فمـددت يدى الى سيفه لاستله فخانتنى يدى . فسـدد هو ضربة الى سـيفى فى جرابه وتطلع الى مستنكرا مسـتهزئا وسـار خلفى . انه سجين ، ولـكنى أرتعد منه . ما أبأسـنى من انسـان ! كلمتك حكمت عليه بالموت ، ومع ذلك ترتعد أمام خيـاله فى المنام وكأنك مذنب آثم . فهل ينبغى أن يمـوت ؟ ـ جوتس ! جوتس ! ـ اننا معشر البشر لا نسير أنفسنا : بل هناك أرواح شريرة أوتيت قوة تتسلط بها علينا ، فاذا هى تمارس خبثها الجهنمى فى اتلافنا والقضـاء علينـا . ( يجلس ) لقد خارت قواى . خارت قواى . وما لأظفارى ازرقت هكذا . وهذا عرق بارد ، بارد ، يهلكنى ويشل كل عضو من أعضائى . وكل شىء يدور أمام عينى . ليتنى استطيع النوم . آه ..

( ماريا تدخل )

فايزلينجن : هـذه ماريا أم المسـيح ! دعينى أسـتريح . دعينى أستريح . هذا هو الشبح الذى كان ينقصنى . انهـا تموت ، ماريا تموت وتتراءى لى . انصرف عنى أيهـا الشبح الكريم فقد فاض كيل محنتى .

ماريا : فايزلينجن ، لست شبحا ! أنا ماريا !

فايزلينجن : هذا هو صوتها .

ماريا : لقد أتيت اليك أتوسل اليك أن تنعم على بحياة أخى . انه بريء بقدر ما يبدو آثما .

فايزلينجن : سكونا يا ماريا ! أنت يا ملاك الجنة تاتى بعذاب الجحيم . لا تتكلمى .

ماريا : وهل ينبغى أن يموت أخى . فايزلينجن ، ما أبشع أن يكون على أن أقول لك انه بريء وأن يكون على أن أولول لأردك عن القتلة الفظيعة . هناك قوى عدائية تتحكم ق أعمق أعماق نفسك . أهذا أدلبرت ؟ !

فايزلينجن : انك ترين أن نفس الموت المهلك قد مسنى ، وان قوتى تهوى الى القبر . هأنذا أموت فى البؤس وهأنت ذى تاتين وتلقين بى الى اليأس . لو كنت أستطيع الكلام لتحول كرهك الشديد الى اسى وأسف على . آه ! ماريا ! ماريا!

ماريا : فايزلينجن ، ان أخى يوشك أن يموت من المرض فى السجن. انظر الى جراحه الشديدة وسنه المتقدمة . ليتك تستطيع يا فايزلينجن أن تراعى رأسه التى علاها الشيب ! اننا فى بأس من آمرنا شديد .

فايزلينجن : كفى . ( يشد الجرس )

( فرانتس وهو مضطرب أشد الاضطراب )

فرانتس : أيها السيد الكريم ؟

فايزلينجن : هات هذه الأوراق هناك يافرانتس (فرانتس يحضرها) .

فايزلينجن ( يفض غلافا ويطلع ماريا على ورقة ) : هذا هو الحكم باعدام أخيك وعليه التوقيع .

ماريا : رب السماء .

فايزلينجن : فلامزقه ، سيعيش . ولكن هل في مقـدوري ان انشيء من جديد ما قد حطمت ؟ لا تبك هكذا يا فرانتس . أيهـا الشاب الطيب ، ان محنتي تحز في أعماق قلبك .

فرانتس : ( يرتمي أمامه ويتعلق بركبتيه )

ماريا ( لنفسها ) : انه مريض مرضا شديدا وان منظره ليقطع نياط قلبي . كم كنت أحبه ! الآن وأنا بجواره أحس بمقـدار حبي الذي لم يخب .

فايزلينجن : انهض يا فرانتس وكف عن البكاء . فسأسترد قواي مرة أخرى . وما دام الانسان حيا فالأمل رفيقه .

فرانتس : لن تبرأ . بل ستموت حتما .

فايزلينجن : حتما ؟

فرانتس ( فاقدا السيطرة على نفسه ) : انه السم ! السم ! من زوجتك . أنا ! أنا ! ( يجرى )

فايزلينجن : ماريا ، اجرى خلفه . لقد أسقط في يده . ( ماريا تخرج ) سم دسته زوجتي !! ويلاه ! ويلاه ! انني أحس به ! عذاب وموت !

ماريا ( من الخارج ) : الحقوني ! الحقوني !

فايزلينجن ( يهم بالنهوض ) : رباه ، لست أستطيع .

ماريا ( تأتي ) : لقد مات ! ألقى بنفسه من نافذة القاعة الى نهر الماين .

فايزلينجن : طوبى له ! أما أخوك فلا خطر عليـه . فالمسـئولون الآخرون ، وخاصة زيكيندورف من أصدقائه ، وسيمنحونه لقاء عهد منه ، سـجن الفرسـان . وداعا ، يا ماريا ، اذهبي .

ماريا : سأبقى معك أيها المسكين يا من هجرك الناس .

فايزلينجن : صدقت ! مهجور ومسكين ! رباه ، انك منتقم جبـار .
ـ زوجتي ـ .

ماريا : دع عنك هذه الأفكار . ول قلبك شطر الرحمن الرحيم .

فايزلينجن : اذهبي ايتهــا الروح الحبيبــة ودعيني لمصــيبتي ـ
يا للفظاعة . حتى وجودك يا ماريا ، وهـــو الســـلوان
الآخير ، عذاب لي .

ماريا ( لنفسها ) : رباه أعني . ان روحي لتهوى مع روحه ؟

فايزلينجن : ويلاه ! ويلاه ! سم من زوجتي ! ـ وفرانتس الخادم
المخلص قد أضلته المرأة الفظيعة . انها الآن تنتظر، وترهف
سمعها الى الرسول الذى يأتيها بالنبـأ : لقـد مات .
وأنت يا ماريا . ماريا ، لماذا أتيت ، لتوقظي كل ذكرى
نائمة لآثامي . دعيني . دعيني أموت .

ماريا : بل دعني أبقى . فأنت وحيد . تصور انني الحارسة التي
تقوم عليك .. انس كل شيء . ولينس الله لك كل ما قدمت،
كما نسيت أنا لك كل ما فعلت بي .

فايزلينجن : أيتها الروح المليئة بالحب ، صلي من أجلي ، صلي من
أجلي . فقلبي مغلق .

ماريا : سيشملك الله برحمته . لقد خارت قواك .

فايزلينجن : انني أموت ، ولا أستطيع أن أنفصل عن الدنيا . انه
الصراع الفظيع بين الحياة والموت وأن فيه لعذاب كعذاب
الجحيم .

ماريا : ارحمه يا رحمن . امنحه نظرة واحدة من حبك تشمل بهـا
قلبه لينفتح على السلوان ولتسير روحه الى الموت وبهـا
الأمل ، أمل الحياة .

( فى غار ضيق معتم )

( قضاة المحكمة السرية .. كلهم متنكرون )

كبيرهم : يا قضاة المحكمة السرية . يا من اقسمتم على الحبل والسيف أن تترفعوا عما يوجب العقاب ، وأن تحكموا فى الشر وتعاقبوا فى الخفاء كما يفعل الله . هل قلوبكم صافية وأيديكم نقية ، الا فارفعوا أيديكم وأصرخوا فى المجرمين : الويل لكم ! الويل لكم !

الجميع : الويل لكم ! الويل لكم !

كبيرهم : هيا يا مناد افتتح المحكمة .

المنادى : أنا المنادى أنادى بالشكوى من الآثمين . من كان قلبه صافيا وكانت يداه نقيتين ليقسم على الحبل والسيف ، فليرفع شكواه باسم الحبل والسيف . الشكوى . الشكوى .

المدعى ( يتقدم ) : قلبى صاف بلا جرم يشوبه ، ويداى نقيتان فلا دم يدنسهما ، فليغفر الله لى ان فكرت أفكار الشر وليوصد أمام ارادتى طريق الشر . وهأنذا أرفع يدى وأشكو . أشكو . أشكو .

كبيرهم : من تشكو ؟

المدعى : باسم الحبل والسيف أشكو آدلهايد فون فايزلينجن . لقد ارتكبت الزنا ، وسمت زوجها بيد خادمها . وقد حاكم الخادم نفسه ، ومات .

كبيرهم : هل تقسم أمام رب الحقيقة أن شكواك هى الحقيقة ؟

المدعى : أقسم ..

كبيرهم : واذا تبين كذب دعواك هل تقدم رأسك لعقاب القتل والفحشاء ؟

المدعى : أقدمها .

كبيرهم : ناخذ الاصوات . (يتحدثون سرا معه)

المدعى : ياقضاة المحكمة السرية ما حكمكم على آدلهايد فون فايزلينجن المتهمة بالزنا والقتل ؟

كبيرهم : الموت حق عليها . لابد أن تموت ميتة مريرة مضاعفة . بالحبل والسيف وتكفر عن جريمتها المضاعفة . ارفعوا أيديكم وصيحوا الويل لها . الويل .

الجميع : الويل . الويل . الويل .

كبيرهم : أيها المنتقم . تقدم أيها المنتقم .

( المنتقم يتقدم )

كبيرهم : أمسك هذا الحبل والسيف . واسحقها بهما حتى لا تظلها السماء ، وأتم العقاب فى ثمانيـة أيام . التمسـها حيث كانت واطح بها . ـ أيها القضاة ، يامن تحكمون فى السر وتنفون فى الخفاء كما يفعل الله ، صونوا قلوبكم من الاثم وباعدوا بين أيديكم وبين دم البرىء .

## ( فناء فندق )

( ماريا . ليرسه )

ماريا : لقد ارتاحت الخيول بما يكفيها . هيا بنا نرحل ياليرسه .

ليرسه : بل ارتاحى الى الصباح . فالليلة قاتمة .

ماريا : لن أعرف الراحة حتى أرى أخى . هيا بنا نرحل . وسيروق الجو وسيطلع علينا يوم جميل .

ليرسه : أمرك ياسيدتى .

## ( هايلبرون • فى البرج )

( جوتس ، اليزابت )

اليزابت : أرجوك يازوجى العزيز كلمنى ، فصمتك يزعجنى ، انك تتأجج وتأتى على نفسك بنارك . تعال ، دعنى أرى مابك من جراح ، انها تتحسن تحسنا كبيرا ، اننى لاأستطيع أن أتعرف عليك وأنت فى هذا الغم اليائس .

جوتس : أتبحثين عن جوتس ؟ لقد انتهى من زمن طويل ، لقد حطمونى المرة بعد المرة ، أخذوا يدى ثم حريتى ثم ضياعى ثم اسمى الكريم . وهذه رأسى ، مافائدتها ؟ ـ هل من أخبار عن جيورج ؟ هل ذهب ليرسه الى جيورج ؟

اليزابت : نعم ياحبيبى . انهض فقد يتغير الكثير .

جوتس : من يخسف به الله ، لايمكن أن ينهض وحده . وأنا أعلم الخلق بما يثقل كاهلى ، وقد اعتدت احتمال البلاء .ولكن الذى أمامى الآن ليس فايزلينجن وحده ولا الفلاحين وحدهم ولا موت القيصر ولا جراحى ـ أمامى هذه المحن كلها مجتمعة . لقد حانت ساعتى ، وكنت أود أن تكون كما كانت حياتى . فلتنفذ ارادة الله .

اليزابت : أما تريد ان تأكل شيئا ؟

جوتس : لا أريد أن آكل شيئا يازوجتى العزيزة . انظرى الى الشمس كيف أشرقت فى الخارج .

اليزابت : هذا يوم جميل من أيام الربيع .

جوتس : ليتك تستطيعين ياحبيبتى أن تجعلى الحارس يتركنى أذهب الى حديقته الصغيرة نصف ساعة حتى أنعم بالشمس الحبيبة والسماء الصافية والهواء النقى .

اليزابت : حالا . ولاشك أنه سيقبل .

( حديقة صغيرة عند البرج )

(ماريا . ليرسه )

ماريا : ادخل وانظر كيف الحال . ( لبرسه يخرج )

( اليزابت . الحارس )

اليزابت : أدعو الله أن يثيبك على حبك واخلاصك لزوجى . (الحارس يخرج) ماريا بم تاتين ؟

ماريا : بأمان أخى . ولكن قلبى يتقطع . لقد مات فايزلينجن بسم دسته له زوجته . وزوجى أنا فى خطر ، فقد علمت ان الامراء يتفوقون عليه وانهم يحيطون به ويحاصرونه .

اليزابت : لا تصدقى الشائعات . ولا تجعلى جوس يحس بشىء من هذا .

ماريا : كيف حاله ؟

اليزابت : أخشى ألا يعود حيا . فقد أحكم الرب قبضته عليه . أما جيورج فقد مات .

ماريا : جيورج . كان شابا يستحق أن يوزن بالذهب .

اليزابت : عندما أشعل السفلة النار فى ملتنبرج أرسله سيده اليهم ليوقفهم عند حدهم . وفى الطريق هجمت عليه فرقة من جيش الرايخ . — جيورج . لو سلك الجميع مسلكه ، لطهرت ضمائرهم — لقد مات بضربات السيوف كثيرون وبها مات جيورج كذلك : لقد مات ميتة الفارس .

ماريا : وهل يعلم جونس ؟

اليزابت : اننا نخفى النبأ عليه وهو يسألنى كل يوم عشر مرات ، ويرسلنى للبحث عنه كل يوم عشر مرات . انه يريد الخبر .

وأنا أخاف أن أخبره فأسدد الى قلبه الضربة القاضية .

ماريا : رباه ، يا لآمال هذه الأرض !

( جونس . ليرسه . حارس )

جوتس : سبحانك اللهم . ماأسعد الانسان تحت سمائك . وماأعظم احساسه بالحرية . هذه هي الاشجار تطلق براعمهاوهذه هي الدنيا تنطلق وراء آمالها . وداعا أيها الأحباب . لقد اجتثت جذوري فهوت قواي الى فجوة القبر .

اليزابت : هل أرسل ليرسه الى الدير ليأتيك بابنك كي تراه وتباركه ؟

جوتس : بل دعيه ، فهو على قداسة أكبر من التي أتيحت لي ، ومابه حاجة الى بركتي . — لم أكن في يوم عرسنا يااليزابت أتوقع أن أموت هذه الميتة . — لقد باركنا أبي الهرم ودعا الله أن تنبثق بدعواته خلفة متصلة من الأبناء الكرام الشجعان . رباه انك لم تستجب دعاءه ، فأنا آخرهم . ليرسه ، ان وجهك في ساعة موتي ليحلو لي عن وجهك في ساعة العراك الحامي . فيما مضى كان عقلي يسند عقلك والآن تسندني يداك . آه ، كم أتمنى أن أرى جيورج ! وأن أنعم بالدفء وأنا أنظر اليه ! — انكم تنظرون الى الأرض وتبكون . لقد مات اذن ! — مات جيورج . — فمت أنت كذلك ياجوتس . لقد بقيت ياجوتس بعد أن ماتت ذاتك ، بقيت بعد أن مات الكرام . — كيف مات ؟ — آه ، هل قبضوا عليه بين المجرمين الذين أشعلوا الحرائق فاعدموه ؟

اليزابت : لا ، بل تلقى ضربة من السيف عند ملينبرج ، بعد أن دافع عن حريته كالسبع الهصور .

جوتس : الحمد لله . كان أعظم شاب تحت الشمس ، وكان شجاعا.
ـ خذ روحي الآن ، رباه ـ أى زوجتى المسكينة ! انني أتركك في الدنيا الفاسدة . ليرسه ، لا تفارقها . وأحكموا اغلاق قلوبكم ، أكثر مما تحكمون اغلاق خزائنكم . فأوقات الخيانة توشك أن تحل بالناس ، وستسمى الخيانة طليقة وسيحكم السفلة بالحيلة وسيقع الكريم في الشباك التى ينصبونها . وأنت ، ياماريا ، عسى الله أن يعيد اليك زوجك سالما ، وألا يهوى بقدر ما علا . لقد مات زيلبيتس، ومات القيصر الطيب ومات حبيبى جيورج . ـ أريد جرعة من الماء . ـ ياروائح الجنة ـ الحرية . الحرية . (يموت)

اليزابت : الحرية عندك في الأعالى ، في السماء فقط . فالدنيا سجن .

ماريا : أيها الرجل الكريم . أيها الرجل الكريم ! ويل للجيل الذى نبذك !

ليرسه : ويل للخلف اذا جحدك !

# اورفاوست

## مقدمة

بقلم : دكتور مصطفى ماهر

**تمهيد :**

انبثقت فكرة مسرحية فاوست على الأرجح فى الفترة التى تبعت عودة جوته مريضا من لايبتسج واقامته للاستشفاء فترة فى دار أبيه بفرنكفورت، والتى امتدت حتى رحيله الى شتراسبورج ثم الى فتسلار أو ان أردنا الايجاز : انبثقت فكرة مسرحية فاوست فى المرحلة التى سبقت انتقاله الى فايمار . وفى هذه الفترة أيضا تم له كتابة الصياغة الاولى التى نحن بصدد الحديث عنها . ولابد لفهم ظروف نشأة هذه المسرحية أن يلم القارىء بحياة الشاعر وما اتصل فيها من أحداث فى تلك الفترة على الأقل ، أو فى فتراتها كلها ان أراد احساننا . وليسمح لنا القارىء أن نحيله الى الصورة التى رسمناها لتلك الحياة فى مقدمة «نزوة العاشق» و «الشركاء» وفصلناها على قدر ما أتاح لنا المقام. وسنقصر حديثنا هنا على الأحداث التى أثرت على نحو مباشر فى تبلور الفكرة أولا وفى تبلورها كفكرة مسرحية ثانيا ، وفى صياغتها ثالثا .

## الطريق الى مادة فاوست :

علمنا أن جوته ولد فى مدينة فرنكفورت فى ٢٨ أغسطس عام ١٧٤٩ وأنه تلقى العلم على أبيه وعلى نفر من خاصة المدرسين ، وأنه تأثر أعظم التأثر بمسرح للعرائس قدمته جدته له ولأخته فى عيد الميلاد عام ١٧٥٣ ، وأن هذا المسرح الصغير عرض فيما عرض تمثيلية كانت مشهورة فى ذلك الوقت اسمها «فاوست» ، وأن جوته اهتم بالمسرح الكبير بعد ذلك وتردد عليه ، ولابد أنه رأى عليه أيضا مسرحية شعبية بالاسم نفسه مأخوذة عن مسرحية للكاتب المسرحي الانجليزى كريستوفر مارلو ، وأنه حصل على كتاب شعبي يحكى قصة فاوست فقرأه . ثم علمنا أن جوته ذهب الى لايبتسج لطلب العلم هناك ، وأنه خالط الطلاب وغير الطلاب وعاش حياة فيها الكثير من الصخب والعبث ، وأنه تردد على حانات منها حانة أورباخ فى لايبتسج التي كانت تزين جدرانها بصور من قصة فاوست الشعبية ، ثم قرأنا فى حياة جوته أيضا أنه عاد مريضا من لايبتسج الى فرنكفورت وأنه تسلى بقراءة كتب فى الطب وفى السحر والشعوذة ، وانه لما أبل رحل الى شتراسبورج فأتم فيها دراسته ، والتقى فيها بالأديب الناقد ذى الفكر الثاقب الصائب هردر وتأثر به أشد التأثر ، وأنه عاد الى فرنكفورت بعد ذلك وقد أصبح محاميا يعالج المحاماة قليلا والأدب كثيرا ، وأنه ذهب الى فتسلار للحصول على اجازة المثول أمام المحاكم العليا ، وأنه عاش من الخبرات مادفعه الىانتاج «جوتس فون برليشنجن» و «آلام فرتر» بعد «نزوة العاشق» و «الشركاء» فلقى الشهرة أعظم الشهرة ، وأتيحت له فرصة الاتصال بأمير فايمار كارل أوجست ، وكان أن انتقل الى بلاطه عام ١٧٧٥ .

كانت طريق جوته الى مادة فاوست هى طريقه التى سارها فى حياته، فكما انتقل فى حياته بصفة عامة من مرحلة الى مرحلة ، وكما أتته كل مرحلة من مراحل حياته بخبرة أو بمجموعة من الخبرات ، أتته مسيرته فى طريق فاوست بتعديلات مقابلة لهذه المراحل ولهذه الخبرات أو

المجموعات من الخبرات ، حتى اكتملت مسرحية فاوست فى الصياغة الاولى عام ١٧٧٥ تقريبا ، ملخصة حياة جوته وفنه فى هذه الفترة أدق تلخيص .

عرف جوته مادة فاوست من تمثيلية العرائس ، وعرفها من الكتاب الشعبى ، وعرفها من المسرحية الشعبية ، وأضاف اليها من العناصر مالم يكن فى هذا ولا ذاك من المصادر .

## مادة فاوست :

تدور مادة فاوست حول رجل كان يعيش فى الواقع ، فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، قيل انه ولد عام ١٤٨٠ فى مدينة فرتمبرجية صغيرة هى كنيتلينجن قرب ماولبرون، وانه أقام فى مدينة فيتنبرج قبيل عام ١٥٣٢ ودرس فيها الطب واللاهوت ، ثم فر منها الى مدينة كراكاو حيث درس السحر وخالط القبلة ـ بفتح القاف والباء ـ وهم يهود يكونون مذهبا سريا تخريبيا قائما على السحر والشعوذة ، وعلم منهم أسرار الذات الالهية والكائنات السماوية وخلق العالم ، وتعلم كيف ينطق عبارات التعزيم ((شم هى ميفورش)) ، وكيف يقرأ غيب النجوم . فلما تم له هذا ((العلم)) انفصل عن جماعة ((العلماء)) وسار طريقه يحيط به احتقارهم له وخوفهم منه ، يثير الناس ويبهرهم بما يقوم من أعمال خارقة ، فنزل البندقية وتحرك أمام الناس طائرا فى الهواء ، ونزل ماولبرون وجمع الناس حوله وأراهم كيف يصنع المال بسحره ، ونزل ارفورت فأحيا للناس حوله من أبطال ملحمتى هومير ، ونزل لايبتسج وقام بأعمال من السحر فى حاناتها وهرب راكبا على برميل . وقيل ان الشيطان كان يعينه ويخلصه من مطارديه ، ويتبعه فى هيئة كلب . وانتهى فاوست نهاية أليمة فقد وجد ميتا فى هيئة تبعث على الاعتقاد بأن الشيطان هو الذى قتله .

هـــذه ((المعلومات التاريخية)) (١) وصلتنا فيما نقل عن فيليب شفرتسرت المعروف باسمه المستعار من الاغريقية ((ميلنختون)) (١٤٩٧ ـ ١٥٦٠) والذى كان عالما باللغات والانسانيات واللاهوت وكان أهم مساعد لمارتن لوتر المصلح الدينى المعروف . كان فيليب ميلنختون هذا كثيرا مايتحدث عن ((يوهانس فاوست)) الأثيم الضال ، حـــديث من عرفه شخصيا ، ولا غبار على هذا فهما متعاصران وهما من منطقة واحدة ، وحديث المتأكد من اتصاله بالشيطان ، فيقول مثلا فى وصف نهايتـــه : ((ومنذ سنوات قليلة جلس يوهانس فاوست هذا فى يومه الاخير حزينـا كئيبا فى قرية من قرى امارة فرتمبرج ، وسأله صاحب المنزل الذى قام به عن سبب حزنه الشديد على خلاف ماعرف عنه وعهد فيه ـ فقـد كان أخس نذل فى حياته وكان يندفع بلذاته الى مايشرف به على الهلاك أكثر من مرة ـ فرد عليه قائلا : لا تفزع هذه الليلة ! ـ فلما انتصف الليل ارتج البيت ارتجاجا عنيفا . ولما أقبل الصبح ولم ينهض فاوست وانتصف النهار أو أوشك ، ذهب صاحب المنزل مـــع رفاق له الى الحجرة ، فوجدوا فاوست ملقى على أرض الحجرة خاقى الوجه ، أى قد قتله الشيطان)) . ـ وهناك اشارة أخرى الى فاوست وردت فى تاريخ تسيمر الذى روى فيه الأحداث التى شاهدها أو سمع بها حتى

(١) أول اشاره الى اسم فاوست وردت فى رسالة كتبها الأب تريتميوس عام ١٥٠٧ الى عالم فى الرياضة اسمه فيردونج ، وتمثـل فاوست فى شكل دجال . وهناك اشارة أخرى اليه وردت فى رسالة موتيانوس روفوس عام ١٥١٣ ، وتمثله أيضا فى هيئة محتال ســاحر يقرأ الكف ويشعوذ . وفى الرسالتين يتسمى فاوست باسم جيورجيوس فاوســتوس . أما الأخبــار التفصيلية التى وصلتنا فمنســـوبة الى ميلنخون فى رواية تلميذه يوهانس انليوس المتوفى عام ١٥٦٠ ، وفى رواية الطبيب الهولندى يوهانس فيرس ، وفى رواية أوجســتين ليرشايمر فون شتايتفلدن والأخيرة تمتاز بالتفصيل ( انظر كتـابه : تفكير مسيحى فى السحر وتذكير به ، ١٥٨٦ ) .

عام ١٥٦٦ ، تقول ان الساحر الذى دوت شهرته فى الآفاق «فاوستوس» مات فى عام ١٥٤٠ معمرا ، وأن الروح الشرير (أى الشيطان) هو الذى قتله .

ولابد لنا لتصور هذه الأنباء أن نذكر أن عصرها شهد أهوالا عظاما فيما يسمى بمحاكمات الساحرات . وكان الاعتقاد السائد أن الشياطين يتقمصون بعض النسوة فيصبحن ساحرات يأتين بخوارق الأعمال ويصبن الآخرين بالضر والأذى ، وأن الشياطين يعقدون مع الساحرات عقودا ويتفقون معهن اتفاقات ، وأن الساحرات يركبن «مقشة السحر» فتتحرك بهن الى لقاء من قبيل الاحتفالات الجهنمية سمى « سبت ـ بالباء الساكنة ـ الساحرات » (انظر صورة «سبت الساحرات» من أعمال الحفار هانس بالدونج عام ١٥١٠) ، وقد قامت محاكم التفتيش فى غرب أوروبا فى الفترة من القرن الرابع عشر الىالقرن الثامن عشر بملاحقة الساحرات وتعذيبهن الى الموت ، واعتمدت على نظريات ترجعالى كتابات توماس الاكوينى، وتتلخص فى كتاب شهير سمى «مطرقة الساحرات» (١٤٨٩) يجمع الأسئلة الصائبة التى يفرق السائل بها بين الساحرات وغير الساحرات . وقد أدت محاكمات الساحرات الى خسائر فادحة فى الأرواح ، وأشاعت فزعا دونه فزع الحروب ، وقام المفكرونالأحرار ضد هذه الحركة ومازالوا يكافحون حتى وضعوا لها حدا . وكانت آخر محاكمة من هذا النوع فى ألمانيا فى عام ١٧٧٥ فى مدينة كمبتن ..

لايصعب علينا اذن وقد علمنا ماكان من أمر الساحرات أننستنتج أمرين ، أولهما أن «مادة» تدور حول ساحر يأتى بخوارق الأعمال مادة تجذب جمهور العصر مافى ذلك أدنى شك ، وثانيهما أن أنباء يوهانس فاوست مهما حاول المحاولون فى روايتها على نحو موضوعى فى ذلك الوقت ـ وهو مالم يحدث ـ كانت بحكم طبيعتها متجهة لا محالة الى طريق التحول التدريجى الى أسطورة . وهذا هو ماحدث بالفعل ، فقد تحولت أنباء فاوست الى أسطورة وأصابت شهرة كبيرة فى عصرها ، وبعد

عصرها حتى رفعها جوته بمؤلفاته الى أعلى مراتب الشهرة ، وصعد بها أوسفالد شبنجلر درجة أعلى فى عصرنا هذا .

## أسطورة فاوست :

تكونت أسطورة فاوست على النحو الذى سبق لنا أن استخلصناه فى مقالنا «النيبيلونجنليد» (تراث الانسانية ، المجلد الرابع ، العدد الأول) خاصا بمادة النيبيلونجنليد، وبدأت بحقائق تاريخية أو وقائع، ثم تحولت الى مادة متوسطة اختلطت فيها الوقائع الاولى بوقائع اخرى مشابهة ثم خرجت أعمال صغرى مهدت للعمل الكبير . بعد أن مات يوهانس فاوستوس ومضى على موته أربعون سنة ظهر كتاب يجمع ماانتشر بين الناس من أخبار الساحر العجيب بعنوان «قصة الدكتور يوهان فاوست الساحر المشعوذ ذائع الصيت» فى عام ١٥٨٧ بمدينة فرنكفورت على الماين ، وظهر فى هذا الكتاب عنصر هام هو تعليل نشاط فاوست بالظمأ الشديد الى المعرفة ، فيه أنه «اتخذ لنفسه أجنحة النسور وأراد أن يحوم بها فى قيعان السماوات والأرضين ليحيط بها علما «وأنه» كان كالعمالقة الذين يعرفهم الشعراء ، ويقولون عنهم انهم يحملون الجبل الى الجبل ، ويريدون حرب الله ، ومحاكاة الشيطان الذى عصى ربه » . وقد ترجم هذا الكتاب فى عام صدوره نفسه الى اللغة الانجليزية ، فانتقلت مادة فاوست الى انجلترا ، وعرفت طريقها الى مارلو . ثم ظهر عام ١٥٩٩ تعديل لكتاب فاوست بقلم رجل من هامبورج اسمه فيدمان ، أضاف الى النص الأول الكثير من التعليمات اللاهوتية وغير اللاهوتية ، وما لبث أن ظهر تعديل لكتاب فاوست الذى أخرجه فيدمان يبتغى الايجاز . وينسب الى طبيب من نورنبرج اسمه نيكولاوس بفيتسر ( عام ١٦٧٤ ) . وشهد مطلع القرن الثامن عشر ( ١٧٢٥ ) طبعة عصرية موجزة لم يذكر صاحبها اسمه واكتفى بالاشارة الى نفسه على انه مؤلف مؤمن بالمسيحية متمسك بها ، وانتشر هذا الكتاب بين الناس انتشارا كبيرا جدا ، وعرفه جوته أيضا .

## فاوست الكتاب الشعبى :

كانت الطبعة الأولى التى نشرتها مطبعة يوهان شبيس فى فرنكفورت عام ١٥٨٧ تحمل على صفحة الغلاف عنوانا مفصلا على عادة العصر هو : (( قصة الدكتور يوهان فاوست الساحر المشهور ذائع الصيت : كيف وهب نفسه للشيطان الى وقت معلوم ، ومارأى فى هـذا الوقت من مغامرات عجيبة ، وما فعل بنفسه وأحدث ، الى أن لقى جزاءه الذى يستحقه فى نهاية المطاف . صنفت من كتاباته الكثيرة التى خلفها ، لتكون عبرة رادعة مرعبة للجاحدين المتكبرين المتطاولين وتحذيرا مخلصا للناس هذا العنوان وحده يمثل جزءا كبيرا من هيـكل الأسطورة . ولنبدأ القصة من أولها حسب ((الكتاب الشعبى)) ملتزمين قدر الامكان نص عام ١٥٩٩ و ١٦٧٤ الذى جدده جوستاف شفاب ( ١٨٣٦ ) .

كان يوهانس فاوست ابن بعض الفلاحين من روده قرب فايمار ، وفى رواية أخرى من زوندفيدل وهى من أعمال امارة انهالت ( فى المنطقة نفسها تقريبا ) ، اختلف الى المدرسة فى فيتنبرج (المدينة التى نشط فيها لوتر ) ودرس فيها علوم اللاهوت حتى حصل على درجة الدكتوراه ، ولكنه مالبث أن انصرف عن العلوم الدينية ، ودرس الطب والتنجيم وأمور السحر . وتعلم من الغجر الجوالين قراءة الكف والشـعوذة . وتعمق فى فن معالجة العقاقير ، وعرف كيف يحسب الطالع وينبىء الناس بما يلقون فى حاضرهم ، وبما ينتظرهم فى مستقبلهم . وعود نفسه على حياة المتعة ، فأسرف فى الطعام والشراب واللعب ، بما أوتى من ارث عن أبيه أو بعض أقاربه ، وعرف كيف يحضر الشـياطين بالطلاسـم والتعاويذ والتعازيم والرسوم والرموز ، وكان أن ذهب الى غابة يقال لها غابة شبيسارت قريبة من فيتنبرج فى ليلة زهراء قمراء وسب اسم الله ثلاث مرات ، فظهر له الشيطان وسط قرقعة شديدة وغبار كثيف وأشعة وأبخرة ونيران . خاف فاوست فى أول الأمر ولكنه عرف كيف يهدىء من روعه ويتواعد مع الشيطان على لقاء فى داره . وبالفعل أتاه الشيطان فى داره من ناحية المدفأة على هيئة ظل أو روح ، ثم مالبثت

الحجرة أن امتلأت باللهيب والدخان ، ولاح الشيطان له منظورا . كان للشيطان رأس بشر ، ولكن جسمه كله كان كثيف الشعر كأنه الدب ، وكان يشع من عينيه نارا ، كان مرعبا حقا . فخاف فاوست ، ورجاه أن يظهر له فى هيئة أخرى . وتفاوض الشيطان وفاوست ، عرض الشيطان على فاوست أن يمكنه مما يريد ، وطلب منه لقاء ذلك أن ينكر الله والملائكة وأن يعادى البشر أجمعين ، وأن يكره القسيسين ورجال الدين وألا يذهب الى كنيسة وألا يسمع عظة أو يقبل شيئا من أسرار الكنيسة ، وأن يمقت الزواج ولايسعى اليه أبدا . وقرر فاوست أن يقبل عرض الشيطان حتى ينال مايشفى به غلته الى معرفة ما لم يعرف، والى التمتع بما لا قبل لأحد بالتمتع به . وتناول سكينا حادة وشق بها وريد يده اليسرى وملأ بالدم المنساب كوبا وكتب به عقدا أثبت به اتفاقه مع الشيطان :

«أنا ، يوهانس فاوستوس ، دكتور ، أعترف هنا علنا فى وضح النهار ، بعد أن تمثلت فى نفسى كيف وهبت هذه الدنيا الكثير من الحكمة والمهارة والرفعة ، وازدهرت فى كل وقت برجال من ذوى الألباب ، وحيث انني لم أنل نورا من الله الخالق البارىء ، بل تمكنت من السحر ، وأملت نفسى الى المؤثرات السماوية وأخضعتها اياها ، وتأكدت وأبصرت بأن اله الأرض ، الذى اعتادت الدنيا على تسميته شيطانا ، ذو قوة ومهارة ، وعلمت أنه لا يستحيل عليه شىء ، أعترف بأننى لهذا ، قد وجهت وجهى شطره ، وقد وعدنى بأن يحقق لى كل مايشتهى قلبى ونفسى وحسى ويريد ، وبأن يأتينى به كاملا غير منقوص ، ومهما يكن من أمر فانى أوثق نفسى بهذا الميثاق المحرر بدمى الذى أعترف بأننى تلقيته من رب السماء ، مع جسمى وأعضائى ، التى أعطانيها أبواى ، وبكل ما أوتيت ، بما فى ذلك روحى ، وأبيعه الى رب الأرض ، واهبا اياه روحى وجسمى .

وكذلك أنكر ، حسب الشروط التى أمليت على ، الجيش السماوى كله ( الملائكة) ، وأكفر بكل مايكون لله صديقا ، وسأوفى بذلك تطبيقا

لوعدي وفاء المخلصين المدققين ، ولما كانت مدة العقد أربعا وعشرين سنه فللشيطان ، بعد انقضاء هذه المدة ، أن يقبض على جسمي وروحي رهينة ، وأن يتصرف فيهما ماشاء . وليس لكلمة الله شأن في هذا ، وليس للذين يدعون لها أن يحدثوا في هذا السبيل عرقلة ولا أن يفكروا في هدايتي .»

وقد حررت هذا الميثاق بخط يدي ودعمته بمداد من دمي .

فاوستوس ، دكتور

ولما أتم فاوست العقد ، أتى الشيطان ، وقال لفاوست : « لقد جردتني من عظمتي ، اذ أصبحت مضطرا لخدمة انسان ! ولكن لما كان رئيسنا هو الذي أكرهني على ذلك ، فما لي حيلة الا أن أترك الأمور تسير سيرتها . وعندما تنتهي المدة ، سأرى انها كانت قصيرة ، وسترى انت أن بداية وقت عصيب سرمدي قد بدأت لك » وقال هذا الشيطان لفاوست انه يدعى مفيستوفيليس ، ووعده بأن يظهر له على هيئة لا تفزعه . وهيأ مفيستوفيليس لفاوست حياة ناعمة : مده بالأصحاب السوء وخاصة بتلميذه فاجنر ، وأتبعه كلبا يسمى برستيجيار ، وعلمه كيف يكفر ويجحد ويفجر . وأسكن مفيستوفيليس فاوست دارا جميلة، لا حر فيها ولا برد ، وجملها بالحدائق ذات الأشجار والأطيار ، وزين حيطانها بالورق المزخرف ، وفرش أرضها بالبسط ، وعلق فيها صورا جميلة ، وملأها بالنفيس النادر، والكتاب يورد تفصيلات كثيرة عن أسماء الأشجار وأسماء الزهور والطيورالغريبة التي غصت بها الدار. وأطرف ماكان بها شجر كمثرى يطرح بلحا ، وشجر كرز يطرح تينا ، وشجر تفاح يطرح أبا فروة . (للمقارنة : مسرحية ياطالع الشجرة لتوفيق الحكيم) . وطوف فاوست في البلاد وبهر ابصار العباد بما فعل من السحر والشعوذة ، وتمكن من الاحتيال حتى على اليهود ، ومن ذا الذي يستطيع الاحتيال على اليهود ؟ في لايبنسيج دخل حانة فبو أورباخ ووجد الحمالين لايستطيعون تحريك برميل من براميل الخمر ، فسخر

منهم ، وجلس على البرميل كمن يجلس على حصان ، فاذا بالبرميل يتحرك به من المخزن الى الشاربين . وفى ارفورت قام بعمل خارق يمثل فى احراج نبيذ مختلف الأنواع من حروق ثقبها بمثقاب فى منضدة من الخشب. وذهب الى روما وزار البابا ، وذهب الى القسطنطينية وزار السلطان، كذلك زار القيصر فى انسبروك والأمير فى انهالت. وفى كل مكان ينزل به يرتكب أعمالا اجرامية من احتيال ونصب وقتل، والشيطان يخرجه من كل مأزق . ففى فرنكفورت مثلا علم أن فى حارة اليهود جماعة من السحرة يستهوون الناس بلعبة غريبة ، تتلخص فى قطع رأس الشخص واعطائها لحلاق فيحلق ماطال من شعرها ويصفف مايحتاج الى تصفيف ، ثم تطير الرأس بعد أن تفرغ من الزينة ، فتلتحم فى جسدها مرة أخرى . فاغتاظ فاوست لذلك ، وأراد أن يكون فى ميدان السحر بلا منافس ، فتسلل الى مكان هؤلاء السحرة ، وتدخل فى العملية السحرية على نحو أدى الى موت كبير السحرة . ولاح بصيص من أمل فى خلاص فاوست من قبضة الشيطان ، فقد نصحه رجل مسن تقى من أهل فتنبرج أن يبعد عن الغواية ، ويهتدى . ولكن النصح لم يفلح لأن الشيطان تدخل فى الوقت المناسب ، وأكد الميثاق ، بل حاول أن ينتقم من الرجل التقى .

ورأى فاوست فى جيرانه بنتا جميلة مسكينة ، أتت من الريف لتعمل فى خدمة بعض التجار ، فأعجبته وملكت عليه فؤاده ، وحاول بكل الطرق أن يعترض طريقها وينالها فلم يفلح ، لأن البنت لم تقبل الفاحشة ، ولم تشأ أن تسمع الا حديث الزواج . وفكر فاوست فى أن يتزوجها ، ولكن مفيستوفيليس منعه حسب الاتفاق ، لأن الزواج شىء رفيع ، ومالينبغى عليه لذلك الا أن يكرهه ويمقته . وتدخل أمير الجحيم لوتسيفر ، عظيم الشياطين ، بنفسه ، وأذل فاوست اذلالا شديدا ، ولكن فاوست أوتى هيلينه الحسناء الاغريقية ، امرأة الملك مينيلاوس، التى دالت طروادة من أجلها ، لتكون خليلة له ، فاحبها ، وأولدها ابنا سماه يوستوس .

وهكذا مرت مدة العقد ، جال خلالها فاوست وصال ، راى الجحيم والشياطين ، وصعد الى النجوم والكواكب ، وتجول فى البلاد قاصيها ودانيها ، وسخر من الناس حكيمهم وعاقلهم ، وارتكب الموبقات ، وامتهن الحرمات ، وتمتع وأرضى شهواته . ثم بعد ذلك جاءه الشيطان يريد الثمن ، يريده ثمنا . وبكى فاوست طوال الليل لأنه يموت فى وقت مبكر ، ولأنه يموت على غير ايمان . وفى الصباح دعا رفاقه وتلاميذه وحدثهم عن خبرته حديث النادم وقال لهم انه سيموت الليلة مسيحيا طيبا شريرا معا : شريرا لأنه عصى وأجرم ، وطيبا لأنه ندم واعترف بذنبه . وفى منتصف تلك الليلة هبت ريح عاصفة أحاطت بالبيت من نواحيه كلها حتى كاد البيت أن ينهدم . وسمع من كانوا بالبيت صفيرا وحفيفا كأنما امتلأ البيت بالحيات والأفاعى . وسمعوا صوت فاوست خافتا يستغيث يائسا . ثم عاد السكون . وفى الصباح ذهب الناس الى حجرة فاوست فلم يجدوه ، ووجدوا الحجرة ملطخة بالدماء ، ووجدوا مخه ملطوعا على الحائط ، وعينيه وأسنانه مبعثرة هنا وهناك ، ثم عثروا على جثته ملقاة وسط الروث ، وقد مثل بها ، واجتثت منها الرأس والأطراف . وتبين الناس أن هيلينه وابنها يوستوس قد اختفيا ولم يعد لهما أثر .

## فاوست ، المسرحية والتمثيلية لمسرح العرائس :

تحولت مادة فاوست فى عام ١٥٨٧ الى مسرحية ألفها بناء على كتاب فاوست اثنان من طلبة جامعة توبنجن . ولقيت المسرحية ترحيبا يشهد عليه تجديدها وتعديلها باستمرار . ومن أهم الصيغ التى ظهرت فيها مسرحية فاوست تلك الصيغة الخاصة بمسرح العرائس . وحتى هذه الصيغة وصلتنا فى نصوص يختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافا كثيرا أو قليلا . والنص المشهور ، الذى جدده مسرح هوهنشتاين للعرائس ويمثله فى أيامنا هذه ، يبدأ بتمهيد أو فاتحة فى جهنم يبدى فيه رئيس الشياطين أو أميرهم «بلوتو» غضبه من ضعف نشاط الشياطين

اتباعه ، ويحثهم على اشاعة الفساد خاصة بين طلاب الجامعات ، ويكلف مفيستوفيليس بغواية يوهان فاوست الذى ثار وسخط وحاجى ربه. ثم يأتى الفصل الأول ويبدأ بفاوست فى حجرة الدرس يذكر العلوم التى درسها ، والجهود التى بذلها ليحيط بالكون علما دون جدوى . ويذكر أنه ينوى الالتجاء الى السحر لبلوغ مأربه . ويسمع فاوست صوت روح الخير ينصحه بالبعد عن السحر ، وصوت روح الشر يغريه بالانغماس فى السحر . وفى الفصل الثانى يستحضر فاوست شياطين كثيرة لتقوم على خدمته ، ولكنها لاترضيه وتلوح له بطيئة كسولة ، الا مفيستوفيليس فهو سريع سرعة فكر الانسان. ويضع مفيستوفيليس نفسه فى خدمة فاوست حسب اتفاق مدته ٢٤ سنة . يتلقى فاوست طبقا لهذا الاتفاق المال والمتعة والجمال والاعجاب والقدرة على التنقل بين البلاد طائرا بالمعطف السحرى ، ويقدم أمورا منها ألا يغتسل وألا يمشط شعره وألا يقلم أظافره وأن يفعل الاثم . ويوقع فاوست بدمه . ويبدأ رحلة الى الدنيا العريضة . وفى الفصل الثالث يوضح الشيطان الاتفاق ويبين لفاوست ضرورة انكار الله وانكار الكنيسة . ويطلب فاوست من مفيستوفيليس أن يأخذه الى أمير بارما ليحضر حفل العرس المقام هناك . وهناك يقوم فاوست بأعمال من السحر تخلب الابصار ، فيستحيى شخصيات من الأزمنة السحيقة . ولكن أمير بارما يغضب من فاوست ويهم بالفتك به ، وما يخلصه مفيستوفيليس الا بشق الأنفس . وفى الفصل الرابع يأخذ فاوست الندم ويقف أمام صورة العذراء مصليا مستغفرا ، ولكن مفيستوفيليس يغريه ويأتيه بحسناء الاغريق هيلينه ، فيرجع عن ندمه ويرتمى فى أحضانها . وبعد مرور ١٢ سنة يعلن مفيستوفيليس أن مدة العقد قد انتهت لأنه عمل فى خدمة فاوست ليلا ونهارا ، ويدوى صوت ، أن يا فاوست استعد للموت. ثم يدوى أن يا فاوست قد حوكمت ، وقد أدنت . وينتهى فاوست الى الجحيم ، يجره اليه غلاظ الشياطين .

ويلاحظ على مسرحية العرائس أنها تميل الى النوع الكوميدى ، وأنها تضحك المتفرجين حينا، بما يأتيه «القرة قوز» المسمى «كسبرله»

من افعال مضحكة . وهذا القرة قوز يلعب دور خادم فاوست . ولكن هذا العنصر الكوميدى فى المسرحية لايؤثر على مغزى القطعة التراجيكى ، بل انه يزيده فعالية ، لأنه يصطنع اسلوب التهكم ، ولايترك شيئا أساسيا الا علق عليه بطريقته .

## مأساة الدكتور فوستس لكريستوفر مارلو :

عرفت انجلترا مادة فاوست فى ترجمة كتاب فاوست الأول التى ظهرت بالانجليزية فى عام ١٥٨٧ . وحفزت هذه الترجمة معاصر شيكسبير الكاتب المسرحى كريستوفر مارلو (١٥٦٤ - ١٥٩٣) على كتابة مسرحية «مأساة الدكتور فوستس» عام ١٥٨٨ . والمسرحية تتبع الاسطورة المكتوبة ، وتشبه الى حد كبير مسرحية العرائس الألمانية . مسرحية مارلو فى خمسة فصول ، تنقسم الى مشاهد عديدة ، تنقل المتفرج الى أماكن مختلفة . فالفصل الأول ينقلك بمشاهده من حجرة الدرس ، الى خارج بيت فوستس ، الى أجمة ، الى شارع . وهذه طريقة استهوت الكتاب المسرحيين الألمان فقلدوها ، وقرروا أنها اقرب الى الروح الانجلوسكسونية الجرمانية ، من طريقة الكلاسيكيين الفرنسيين القائمة على الاقتصاد فى تغيير المكان أو الاكتفاء بمكان واحد ما أمكن . ومسرحيه مارلو تستعمل تكنيك الكورس الذى استخدمه الاغريق القدماء . وسيستخدمه جوته أيضا فى صياغة الجزء الأول من مأساة فاوست خاصة . كذلك يفسح مارلو فى مسرحيته مكانا للمهرج ، كما تفسح مسرحية العرائس مكانا للقرةقوز .

تبدأ أحداث مأساة فوستوس عند مارلو بحديث فاوست عن العلوم التى درسها والتى لم تبلغ به المجد ، وبعزمه على الارتماء فى أحضان السحر فان السحر هو الاله على الأرض . وينصح روح الخير فاوست بالابتعاد عن هذا الطريق ، ويحفزه روح الشر الى سلوكه . وينتهى الأمر بفاوست الى التوقيع على عقد مع مفيستوفيليس

لينال المنى ، لقاء روحه وجسمه بعد انتهاء مدة العقد وهى ٢٤ عاما . ويعلم مفيستوفيليس فاوست السحر ويأخذه الى روما فيزور البابا ويصفعه ، ويعيث هناك فسادا . ثم يذهب الى بلاط القيصر الالمانى ، فيخرج للناس الاسكندر الأكبر ويسخر من القيصر وحاشيته وينتقل الى أميرة وأمير فانهولت ويأتى أمامهما بأعمال خارقة من السحر . ويخرج لطلبة فيتمبرج حسناء الاغريق هيلينه . ثم يكون بين فاوست وبين هيلينه غرام ، لايسأل فيه فاوست الا القليل . وعندما تدنو نهاية فاوست يأخذه الندم . لكن ندمه لا يفيد شيئا . لقد قضى الأمر ، وما أن تدق الساعة معلنة نهاية مدة العقد حتى تأتى الشياطين وتأخذه وهو يرى الجحيم يفغر فاه لتلقفه .

هذه المسرحية انتقلت من انجلترا الى ألمانيا ، حملتها الفرقة الكوميدية الانجليزية فى أوائل القرن السابع عشر . ثم اخذتها الفرق المسرحية المتجولة فى ألمانيا ومثلتها فى أماكن مختلفة ، من بينها على وجه التأكيد فرنكفورت ولايبتسج وشتراسبورج ، وفى مكان من هذه الأماكن يحتمل أن يكون جوته قد رآها ، احتمالا يقترب من الجزم القاطع ، ولو أننا نفتقر الى دليل ملموس ، وشهادة مصدوقة .

## فاوست لسينج :

اهتم بمادة فاوست قبل جوته الأديب المسرحى الألمانى الشهير جوتهولد افرايم ليسنج ( ١٧٢٩ - ١٧٨١ ) الذى يحتمل أن يكون قد الف مسرحية كاملة باسم «فاوست» حول عام ١٧٥٩ ، لأنه نشر فى الرسالة ١٧ من رسائله الأدبية «المشهد الثالث من الفصل الثانى» مما يوحى بأن الفصل الأول والثانى كانا كاملين أو شبه كاملين . وهناك من معاصرى لسينج من شهد بأنه رأى المسرحية كاملة ، ومن لخص موضوعها ، وتحدث عن طريقة صياغتها . وأهم هؤلاء الشهود بلانكنبورج وأخ للسينج يدعى كارل . وتجمع الأقوال على أن مسرحية لسينج كانت تبدأ بفاتحة أو تمهيد يمثل مجمع الشياطين فى حديث

عن الشر وأنواعه التي تمت على أيديهم : حرق ، اغراق سفن ، قتل، غواية بالفحش .. الخ .. ثم يأتى موضوع فاوست المشتاق الى المعرفة، ويريد الشياطين استخدام هذا الشوق المفرط الآثم الى المعرفة فى القضاء على فاوست . وتتتابع مشاهد المسرحية المفقودة فتصور فاوست وهو ينكر ماتعلم ويأخذ عليه أنه لم يفده بشيء ، ثم وهو يستحضر الشيطان فيظهر الشيطان فى شكل أرسطو ويؤثر عليه تأثيرا كبيرا بقيامه بالاجابة الشافية على بعض الأسئلة . ولا يتسلط الشياطين على فاوست نفسه ، بل على شبح شبه لهم، على حين فاوست الحقيقى يغط فى سبات عميق ، لأن روح الخمر تنبأ للشياطين بأنهم لن يحكموا قبضتهم على فاوست أبدا . وبينما الشياطين فى نهاية المسرحية يعتقدون انهم أفسدوا فاوست ماشاءوا ، يدوى صوت الملاك معلنا : «لاتفرحوا بنصر . فلم يتم لكم النصر على الانسانية والعلم . فان الله لم يضع فى الانسان أكرم حافز (حافز السعى الى العلم) ليجعله تعيسا أبدا . لم يكن فاوست الذى أوتيتموه الا شبحا » .

لانعرف الى أى حد تأثر جوته بما انتشر عن هذه المسرحية . ولكن الواضح أن فكرة لسينج أقرب من فكرة مارلو الى جوته . ثم ينته فاوست الى الجحيم ، ولم يقطعه الشياطين اربا ، بل دافعت عنه السماء . ورفعت شأنه معتبرة سعيه الى العلم سعيا كريما ، أو على الأصح أكرم سعى . ولا عجب فقد تغير العصر ، وأصبحنا الآن فى القرن الثامن عشر قرن التنوير ، ودخلنا فى عصر العقل الحر ، والفكر المنطلق ، والبحث العلمى .

## مادة فاوست فى يد جوته :

هذه هى الصورة التى اتخذتها مادة فاوست فى الوقت الذى عرفها فيه جوته . فى سن الخامسة شاهد جوته تمثيلية العرائس ، ثم قرأ كتاب فاوست الشعبى وخاصة كتاب الدكتور بفيتسر الذى ظل يستعمله على الدوام . كذلك يحتمل أن يكون قد عرف مسرحية

مارلو ، وفترة مسرحية لسينج . ولسنا نعلم على وجه التحديد متى قرر جوته أن يؤلف مسرحية فاوست ، ربما يكون ذلك فى أثناء اقامته بلايبتسج من ١٧٦٥ الى ١٧٦٧ ، حيث رأى صور فاوست على حيطان حانة قبو أورباخ ، وربما كان ذلك فى فرنكفورت بين عامى ١٧٦٧ — ١٧٧٠ حيث كان يرقد مريضا بين الحياة والموت ، وكان الطب يبدو عاجزا عن شفائه ، وكان يشتغل أثناء مرضه على قبيل التسلية بقراءة كتب فى الطب وفى الكيمياء وفى السحر وفى حيل القبالية . يحتمل أن احساسه بعجز الطب فكره بفاوست اذ قرر الالتجاء للسحر لعجز العلوم التى درسها ومن بينها الطب عن ارضائه . وربما أعاننا فى بحثنا عن بداية اشتغال جوته بفاوست خطاب جوته الى فيلهلم فون هومبولت فى ١٧ مارس ١٨٣٢ ، وفيه يقول : ((منذ سنوات تزيد على الستين وفكرة فاوست تمثل فى خاطرى ، واضحة من البداية عندما كنت شابا ، وان افتقر تسلسلها الكامل احيانا الى تفصيلات )) . فاذا حسبنا على أساس ستين عاما فقط ، كان معنى هذا أن جوته بدأ فى عام ١٨٧٢ ، ولكنه أوضح أن المدة تزيد على الستين ، وهذا يعنى أن تفكيرنا ارجاع البداية الى مرحلة لايبتسج أو فترة المرض فى فرنكفورت لا يجانب الصواب . والمؤكد أن جوته اشتغل بفاوست منذ ذلك الحين بصفة مستمرة ، وأنه أنشأ المسرحية على فترات ، فقد اتخذ لها منذ البداية القالب الانجليزى الذى عرفناه فى مأساة مارلو ، قالب الصور المتتابعة ، وساعده هذا التكنيك ، على اطالة النفس ، ان صح هذا التعبير ، وعلى ابداع القطعة صورة صورة ، أو شذرة شذرة ، ومازال يبدع على هذا النحو حتى مات .

ومن المؤكد أن المسرحية كانت قد تبلورت فى الفترة مابين ابريل ١٧٧٠ وأغسطس ١٧٧١ ، عندما كان جوته فى شتراسبورج . فى الكتاب العاشر من سيرته الذاتية ((أدب وحقيقة)) يحكى جوته أنه كان يخشى أن يفاتح هردر باهتمامه بمادة جوتس ، بمادة فاوست ، حتى لا يحدثه عنهما حديثا قد يغضبه أو يثيره ، وكان هو يكن لهما من الحب الشىء

الكثير . ((كانت قصة تمثيلية العرائس المهمة (فاوست) ترن وتطن بانغام كثيرة فى نفسى . كنت أنا أيضا قد حاولت شق طريقى فى الحياة بطرق مختلفة وعدت من محاولاتى أكثر ظمأ وأكثر عذابا . وهكذا حملت فى خاطرى هذه الامور وغيرها حيثما ذهبت ، وتمتعت بها فى ساعات الوحدة والخلاء ، دون أن أسجل منها شيئا . وأكثر مااخفيت على هردر ، كان اهتمامى بالكيمياء الصوفية القبالية وما اليهـا ، على الرغم من أنى كنت أشتغل بها فى سرى وأنميها بجـد عما وصلنى منها)) .

هكذا نشأ المونولوج الذى يفتتح به جـوته مسرحيته . فيه مزيج من المونولوج الذى يتصدر تمثيليه العرائس ، ومن قراءات جوته فى الكيمياء الصوفية القبالية التى تفتقر الى السـند العلمى والتى روحت عنه أيام مرضه فابل ، ومن تأملات جوته فى أمور العلم . أما المشاهد الاخرى فنشأت موادها فى ظروف مختلفة : مشهد حانة أورباخ ومزاح الطلاب مثلا وليد خبراته فى لايبتسج ممتزجة بقراءته فى كتـاب فاوست . كذلك طعم جوته مسرحيته بأناشيد لم تعرفها مادة فاوست لا فى الكتاب الشعبى ولا فى التمثيلية ولا فى مأساة مارلو .

والظاهر ان خطة جـوته كانت تحيط بما بين أيدينـا الآن من الصياغة النهائية بقسميها : الجزء الأول من التراجيـديا والجـزء الثانى منها ، فى الخطوط العريضة . ويكاد يكون من المؤكد أنه خطط لشخصية هيلينه منذ البداية . ولكنه انصرف عن هيلينه ، وأحـل جريتشن محلها . وقد علمنا من أسطورة فاوست أن فاوست حاول أن يقيم علاقة مع بنت شريفة ولكنها رفضت الا أن تكون زوجة ، فرده الشيطان عنها وآتاه هيلينه حسناء الاغريق التى قامت الحروب المروعة من أجلها لتكون خليلة له . هيلينه لا وجود لها فى الصياغة الأولى ، ومكانها جريتشن ، البنت الطاهرة البسـيطة الجميلة المتواضـعة النشيطة الساذجة ، التى يضعها حظها العاثر فى طريق فاوست فتحبه

وتفقد شرفها ، وتقتل أمها عن غير عمد وابنها عن عمد ، وتنتهى الى الجنون والى الموت المخزى .

ولقد ظلت شخصية جريتشن غامضة الى أن تمكن الباحث أرنست بويتلر من الكشف عن أصلها ، فقد وجد بويتلر فى مخلفات والد جوته نسخة من ملفات قضية زوزانه مارجاريته براندتن التى حوكمت بتهمة قتل وليدها وأدينت وأعدمت بالسيف فى ١٤ يناير ١٧٧٢علنا فى مدينة فرنكفورت، وكان من أفراد عائلة جوته ومن معارفهم نفر ليسوا بالقلة اشتركوا بحكم وظائفهم فى القضية . ولاشك فى أن جوته عرف بهذه القضية ، ولاشك فى أنه استمد منها مادة جريتشن أساسا . كانت مارجاريته براندتن خادمة قروية ، اعتدى عليها أحد العابرين ، واضطرتها أخواتها بالاشتراك مع خادمة أخرى بالحانة الى الاعتراف . ولما تقرر اعدامها ، قرأ القاضي ـ كما ورد فى الملفات التى وجدها أرنست بويتلر ـ الحكم ، ثم حطم عصا حمراء والقاها الى قدميها . هذه الصورة أخذها جوته وضمها الى مسرحيته ، نريد بهذا أن نبين أن جوته يقتصر على اقتباس الواقعة جملة فحسب ، بل تفصيلا أيضا . أكثر من هذا ان جوته اعتبر واقعة جريتشن مادة له هو ، ولما ألف هاينريش ليوبولد فاجنر (١٧٤٧ ـ ١٧٧٩) تراجيديته «قاتلة وليدها» عام ١٧٧٦ ، غضب جوته ، واتهم الكاتب بأنه استعمل مادة جريتشن التى حدثه عنها ، وأخبره أنه يقوم بصياغتها فى اطار مسرحية فاوست .

## أورفاوست أو فاوست فى الصياغة الأولى :

لا أظن أننا نخطىء كثيرا ان قطعنا بأن جوته نشط فى معالجة فاوست فى أواخر عام ١٧٧٤ وجل عام ١٧٧٥ . فقد حدث كنيبل عن زيارته لجوته فى فرنكفورت فى ١١ ديسمبر عام ١٧٧٤ ، تلك الزيارة التى شهدت اللقاء الأول بين جوته والأمير كارل أوجست ، فقال انها أتاحت

له الاطلاع على شذرات من أعمال جوته ، من بينها «كومة من المقتطفات» تتصل فيما تتصل به بمسرحية دكتور فاوست ، وانه أعجب بمشاهد منها اعجابا شديدا ، وأن جوته كان يأتى بالمقتطفات من كل ركن من أركان الحجرة ، حيث تركها مبعثرة . وفى سبتمبر عام ١٧٧٥ زار الطبيب تسيمر من جوته ، وسأله عن أخبار فاوست فأتى جوته بحقيبة مليئة بقصاصات الورق وأفرغها على مائدة وقال : هذا فاوستى !

كان جوتة يرى فى نهاية عام ١٧٧٥ أن المقتطفات التى أنشأها تكون فى مجموعها شيئا . فلما ذهب جوتة الى فايمار، طالع مسرحيته على الأمير وبلاطه . يدل على ذلك خطاب أرسله فيلاند الى أبى جوتة فى مطلع عام ١٧٧٦ ، يذكر فيه أن جوتة متع السادة الكرام بقراءة مسرحيته الصغيرة « التى لم تطبع بعد » . وعبارة التى لم تطبع بعد تؤكد انطباع فيلاند بأن ماتلى عمل متكامل .

وقد ظل الناس ، أعنى الجمهور الواسع ، لا يعلمون شيئا عن مسرحية فاوست الى أن أصدر جوته عام ١٧٩٠ ما سماه « فاوست ــ مقتطف » . ولكن الصياغة الأولى بقيت ، حفظتها لويزة فون جوشهاوزن ، احدى وصيفات بلاط فايمار ، فى نسخة نقلتها بخط يدها ، انتقلت الى ورثتها من بعد وفاتها حتى وجدها العالم المعروف اريش شميت عام ١٨٨٧ ، المدير الأول لأرشيف جوتة وشيللر ، ونشرها ، وعرفت باسم « أورفاوست » أى أصل فاوست أو فاوست الأصلية أو فاوست فى الصياغة الأولى .

وليست مسرحية « فاوست » فى الصياغة الأولى ، مرحلة ناقصة ، اكتملت فى الجزء الأول من التراجيديا ، ولكنها ــ وان صح ان جوته بنى الجزء الأول من التراجيديا على أساسها ــ مسرحية كاملة ، تامة ، تعرضها المسارح الألمانية الكبرى ، وربما لقيت جمهورا أكثر من جمهور فاوست الأولى والثانية . والحق انها تتميز بالعنف وبالحيوية ، لأنها نبعت من حيث نبعت آلام فرتر . حقيقة اننا

اذا قارناها بالجزء الأول من التراجيديا نجد أنها تفتقر الى عنصر المرأة التى تضحى لتنقذ الرجل ، ويفتقد الى عنصر خلاص الرجل من اثمه بمنة من السماء . ولكننا اذا قارناها بمأساة مارلو ، وجدنا أن جوته خطا خطوة بعده ، تبعه أولا فى تصوير ظمأ الانسان المفكر وسعيه الى المعرفة التى لا تحدها حدود ولا تضعفها شكوك ، وانفصل عنه بعد ذلك فى ادانة هذا الظمأ وهذا السعى .

● **أشخاص المسرحية هم :**

| | |
|---|---|
| فاوست | Faust |
| مفيستوفيليس ( للاختصار ـ مفيستو ) | Mephistopheles |
| فاجنر : تلميذه وخادمه | Wagner |
| طالب | Schüler |
| فروش | Frosch |
| براندر فى حانة فبو أورباخ بلايبتسج | Brander |
| زيبل | Siebel |
| ألتن | Alten |
| مارته . جارة جريتشن | Marthe |
| جريتشن ( مارجريته فى صيغة التدليل ) | Gretchen (Margarethe) |
| فالنتين : جندى ، أخو جريتشن . | Valentin |
| ليزشن | Lieschen |

● **مكان المسرحية :**

غير واضح بالضبط ، ولكنه على الأرجح لا يبتسج وما حولها .

● **زمن المسرحية :**

غير واضح بالضبط ، ولكنه على الأرجح منتصف القرن الثانى عشر

# أحداث أورفاوست

تبدأ المسرحية بالمونولوج الشهير الذى يعبر به فاوست عن مشكلته ، والذى يصور فيه حياته ، ويرسم مسعاه الذى لم يأته بالثمرة المرجوة ، ويعبر عن نيته الجديدة :

« آه ! لقد درست الفلسفة والطب والقانون ، وللاسف اللاهوت أيضا ، دراسة عميقة ، وبذلت فى ذلك جهدا حارا . وهاأنذا اقف فى يومى هذا ، أنا الغبى المسكين ، كما كنت ، لم أزد عن ذى قبل فطنة . أصبحت اسمى دكتورا ، بل بروفسورا ، وأجر تلاميذى من أنوفهم منذ عشر سنين الى أعلى والى أسفل ، وبالطول وبالعرض ، وألف بهم ، وأدور ، لأرى اننا لا نستطيع أن نعرف شيئا . ان هذا ليوشك أن يحرق قلبى حرقا . حقيقة اننى أكثر بصيرة من كل الصعاليك الدكاترة والأساتذة والكتاب والقساوسة ، واننى لا يعذبنى شك ولا ريب ، واننى لا أخاف جحيما ، ولا شيطانا . ولكنى ، لهذا ، حرمت الفرح كل الفرح . لست أتصور أننى قد أعلم شيئا ذا بال ، لست أتصور اننى قد أستطيع أن أعلم الناس ما يصلحهم ويهديهم . ولست أملك أرضا ولا مالا ، ولست أحوز من الدنيا شرفا أو

سيادة . ليس هناك كلب يود أن تتصل على هذا النحو حياته . لهذا استسلمت للسحر ، لعلى أعرف بعض الأسرار ، بقوة الروح ومن فمه، ولا أعود ـ والعرق المرير يتصبب منى ـ أتكلم بما لا أعرف ، لعلى أعرف ما يمسك العالم فى أعمق أعماقه ، وأن أرى القوة الفعالة كلها ، والبذور جميعها ، ولا أعود الى العبث بالكلمات . آه .. فاهرب ! هيا الى الأرض الواسعة . وهذا الكتاب ذو الأسرار الذى خطته يد نوستراداموس نفسها ، ألا يكفيك رفيقا مرشدا ؟ ستعرف به مسار النجوم . واذا علمتك الطبيعة علمهـا ، انبثقت فيك قوة الروح ، وعرفت كيف يكلم الروح روحا » .

العناصر واضحة :

* دراسة لم تؤد الى علم حقيقى .
* تدريس زاد من الحرج والاحساس بالجهل .
* الجهل أنواع من حيث الكم ولكنه على أية حال جهل .
* استحالة تحسين الحال عن طريق العلم .
* فقر وبؤس وغمور ..
* الهدف : معرفة الأسرار ، رؤية القوة الفعالة كلها والبذور كلها .
* الوسيلة : السحر ـ قوة الروح .

وتمثيلية العرائس « فاوست » تبدأ ، بعد التمهيد ، بمونولوج لا شك أنه هو الذى اوحى بهذا المونولوج . فيه يقول فاوست :

« لا جبل بغير واد . لا صخر بغير حجر . لا درس بغير جد وكد . هذا يهوى الرسم ، وذاك يهوى الفلسفة . هذا شـاعر ، وذاك طبيب مجيد . وأنا وصلت بجدى الى اننى أصبحت دكتورا وبروفسورا .

ولكن ما معنى هذا ؟ ليس هناك من يرضى بحاله . السائل يريد أن يصبح فلاحا ، والفلاح تاجرا ، والتاجر نبيلا ، والنبيل أميرا ، والأمير ملكا . والملك امبراطورا . كذلك أنا لا أجد في دراسة اللاهوت ما كنت آمل من متعة . أريد أن أعرف بالتنجيم السماوات ، والكواكب والظواهر والعناصر كلها ، لهذا قررت أن أدرس السحر لأنال العلم كله ، وأستعين على خير ما يمكن بالقسوة الجهنمية السفلية . ولكن ، يا فاوست، كم سيلطخ هذا الفن شرفك وسمعتك! اذا كانت الأرواح الجهنمية بما أوتيت من مهارة قادرة على ارضائى فى كل أمر ، فانها ستستطيع أيضا أن تبقى على سمعتى . هيا ، فقد عقدت العزم » .

ولا شك أن هذا المونولوج عندما أثر على فاوست كان مرتبطا بالمونولوج الذى يبدأ به مارلو المنظر الأول من مأساته ، بل مرتبطا بالمنظر الأول كله . فى هذا الجزء من مسرحية مارلو تعمق وتوسع أفاد منه جوته حتى عندما أوجز . خطوط المونولوج عند مارلو هى :

« هيا اختر لك يا فوستس مادة تتخصص فيها ، وتسبر أغوارها ، وتصير أستاذا لها . لتكن فى ظاهرك أستاذا فى اللاهوت ، وفى باطنك عليما بغاية كل فن . كرس حياتك كلها لأعمال أرسطو . ولكنك أيها المنطق ( الأرسطوطاليسى ) قد استعبدتنى استعبادا ، فغايتك أحكام المناقشة .. وما دام الأمر كذلك ، فلا حاجة بى اليك . عليك يا فاوست بجالينوس ، ولتكن طبيبا ، فتثرى .. ولكن غاية الطب هى شفاء الأبدان فحسب .. وستظل اذا مارستها انسانا كما كنت .. ليتك استطعت بالطب أن تهب البشر الخلود .. اذن فلا حاجة بى اليك أيها الطب . عليك يا فاوست بجستنيان .. هذه هى مبادىء القانون .. انها لا تليق الا بمن يريد الكسب ، انها تافهة .. عليك باللاهوت فهو أفضل العلوم . عليك يا فاوست بالكتاب المقدس . انه يقول ان الموت جزاء الخطيئة .. يجب أن نموت اذن الى الأبد .. فأى علم هذا ؟ وداعا أيها اللاهوت .. هذه هى

كتب السحر ما أروعها .. انها يا فاوست ما تبتغيه بالضبط .. ان سلطان الساحر أقوى من سلطان الملوك والأباطرة .. ان الساحر اله قوى .. فتاهب لتصبح الها من الآلهة يا فاوست ـ آه لو أوتيت هذه القوة الخارقة ، واستطعت أن أخضع الأرواح لارادتى . اذن لأرسلتها الى الهند لتأتينى بالمال ، ولبعثتها الى أعماق المحيط لتأتينى بلآلىء الشرق ، ولسيرتها الى أنحاء العالم الجديد لتجلب لى ما لذ وطاب من الفاكهة والطعام ، ولاستنطقتها الحكم الغريبة ، والأسرار الخفية .. ولأصبحت بها ملكا على كل البلاد ـ الفلسفة كريهة مبهمة .. وعلوم القانون والطبيعة لا تليق الا بالتافهين ... وعلوم اللاهوت أحقر العلوم كلها ، ما أتفهها وما أحقرها وما أبغضها الى ! ... ليس هناك سوى السحر .. لقد قر رأيى وصحت عزيمتى » ..

هذا هو مونولوج مارلو بتصرف شديد ، يضم العناصر الهادة التى سيصيغها فاوست بعده بقرنين تقريبا ، صياغة أكثر ايجازا ورصانة . وقد تمسك جوته بمونولوجه ولم يعدل فيه الا تعديلات طفيفة ، وان احتاج فى الجزء الأول من التراجيديا الى توسيع الصورة التى رسمها لفاوست ومشكلته ، خاصة فى مشهد التعاقد بين مفيستوفيليس وفاوست .

أطلنا وقفتنا عند المونولوج لأنه فى الحقيقة مفتاح المسرحية كلها . بعد أن يعرض فاوست فيه ماعلمنا ، ينظر الى رمز الكون ، وهو رسم سحرى ، فيحس بالفرح ، ويتأمل رمز روح الارض فيحس بالقوة، يحس كأن عصفا فى قلبه ، ويعزم على الروح ، فيضطرم المكان ويظهر الروح فى وسط اللهب على هيئة منفرة . ويدور بين فاوست وبين مفيستوفيليس حديث يحاول أن يحدد فيه مكان الانسان من الكائنات. هل هو دودة منكمشة تبتعد فزعا ؟، هل هو نظير الشيطان ؟ هل صورة الاله ؟ ـ ويتبع هذا المشهد، مشهد بين فاوست وتلميذه فاجنر، ينقد فيه فاوست العلوم والعلماء والبحوث العلمية نقدا شديدا ، ويقول :

«من له أن يسمى الطفل باسمه الحقيقى ؟ ان القلائل الذين علموا شيئا وكانوا من الغباء بحيث لم يكتموا قلبهم بما امتلأ به ، فكشفوا للناس عما أحسوا ورأوا ، صلبوا وحرقوا من قديم الزمان» . ثم يصل الى النتيجة الاليمة: «كيف لا يودع الأمل كله رأسا يلتصق دائما بشيء تافه ويحفر بيد نهمة باحثا عن كنوز ، ويفرح اذا عثر على ديدان المطر ؟!» ـ ثم يأتى مشهد يشترك فيه مفيستوفيليس وطالب جديد أتى يسأل الاستاذ فاوست الشهير أن يوجهه الى الدراسة الصائبة المجدية . وفى هذا المشهد تبرز العيوب التى تعتور الحياة الجامعية ، والحياة الطلابية ، وتصور نواحى الضعف فى العلوم المختلفة ، وفى الدراسات المتكلفة الوعرة . كذلك يتعرض هذا المشهد لاخلاق العلماء ، والمتخصصين ، ويصور المنحرفين منهم . ويمهد هذا المشهد للمشهد التالى فى حانة أورباخ . ذلك المشهد الذى يجمع فاوست ومفيستو مع جماعة من الطلاب العابثين فى جلسة من جلسات العبث . اتفق فاوست مع مفيستو اذن ، وبدأ التنفيذ ، وساق الشيطان فاوست الى حيث يجد المتعة واللذة والبهجة ، والى حيث يبهر الانظار بأعمال خارقة لايستطيعها كل انسان . والمنظر دسم جدا ، فهو يضم أغنيات طريفة ، ونكات بعضها مبتذل وبعضها غليظ ، ويضم تعليقا سياسيا على الأوضاع فى ذلك الوقت سواء فيما يختص بالدولة ، أو فيما يختص بالحياة فى بلاط الأمراء ، ويضم لعبة الخمر السحرية التى تتفجر من المائدة الخشبية على نحو ماروى الكتاب الشعبى ، ويضم أخيرا سخرية مفيستو من المخمورين ، وطريقته فى اخراج فاوست من المأزق دون أن يمسه سوء .

بعد أن ينال فاوست هذه المتعة ، ينتقل الى متعة أخرى ، متعة الحب . ويمهد لأحداث هذا الجزء من المسرحية منظر ، أعتقد أن جوته أراده رمزا . المنظر يتكون من : طريق زراعية ـ صنيب ـ قصر عتيق على ربوة ـ كوخ صغير من أكواخ الفلاحين . هذا المنظر بعناصره هذه يرمز الى العلاقة غير المتكافئة بين شخصين احدهما مرتفع (يرمز اليه

القصر فوق الربوة) والآخر بسيط رقيق الحال ( يرمز اليه المخوخ الصغير) ، ويرمز بالصليب الذى يفر منه مفيستو الى ايمان البنت جريتشن ، بل انه يوشك أن يشبه اللحن الدال على قرب ظهورها على خشبة المسرح ، وأما الطريق الزراعية فانها ترمز الى الخطر المتوقع ، فما كانت الطريق الزراعية مكان أمان . — يرى فاوست جريتشن فيجد فيها ضالته ، ويقول لمفيستو «اذا لم يكن هذا الدم ، الدم الحلو الشاب ، هذه الليلة بين ذراعى ، فسيكون فراقنا عند منتصف الليل.» ولكن مفيستو يعلم فاوست افانين اللذة اذ يقول له « لن تكون المتعة عظيمة الا اذا سبقها طلوع ونزول ولف ودوران ولت وعجن فى العروسة الصغيرة بكثير من الكلام الفارغ والملآن ، على نحو ماتحكى بعض القصص الايطالية» . ومفيستو يعنى بلاشك قصصا من نوع القصص الاباحية المجموعة فى ديوان الديكاميرونه لجوفانى بوكاتشو . ويدبر مفيستو أمره ليحقق لفاوست مآربه من ناحية ، وليورطه فى مجموعة من الآثام من ناحية ثانية . ويأخذ مفيستو فاوست الى حجرة جريتشن ليراها من حيث لا تراه . أما فاوست فلم يكد يدخل حجرة جريتشن ، حتى أحس كأنه فى محراب ، وأحس قلبه ينبض بالخوف ، ويتحرك بتقدير القدسية والصفاء . وأما مفيستو فقد بدأ خطته بوضع صندوق ممتلىء بالحلى فى دولاب جريتشن. وأما جريتشن فقد حدثها قلبها الطاهر بان حجرتها تعكر جوها على نحو عجيب ، وسرى الخوف فى جسمها دون أن تعلم له علة . وراحت تغنى أغنية تدور حول الحب المخلص الى النهاية ، أغنية ملك توله الذى تلقى من حبيبته قبل موتها قدحا من ذهب ، فلما ماتت أخلص لذكراها فلم يشرب الا من قدحها ، ولما أحس بقرب منيته وزع أملاكه كلها ، ولم يفرط فى القدح ، حتى شرب منه آخر جرعة ، والقى به فى غيابة البحر ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة . والأغنية مقصودة لمضمونها ، لاشك فى هذا . وتكتشف الحلى ، فتظن أن أحدا رهنها عند أمها ، وتتحلى بها على سبيل التجربة وتعجب بنفسها فى المرآة . ويتبع هذا المشهد مشهد آخر يمثل مفيستو وفاوست، وقد اغتاظ مفيستو لأن أم الصبية ، وهى امرأة تخاف الله،

خافت من صندوق الحلي وقررت تقديمه للكنيسة ، لأنه مال حرام ، ولايهضم المال الحرام الا الكنيسة واليهود والملوك . ولكن الصندوق مهد السبيل على أية حال للخطوة التالية .

المشهد الثاني في بيت الجارة مارته ، وهي امرأة تركها زوجها وراح يضرب في الأرض ، فلا هو طلقها حتى تتزوج غيره ، ولا هو أرسل اليها ماتعيش منه، فقعدت هكذا تتمنى موته ، وتتفرغ للغيبة والنميمة ولأعمال الاثم كبيرة وصغيرة . تدخل عليها جريتشن وتبلغها بأنها وجدت صندوقا آخر من الحلي ، فتقترح عليها أن تحتفظ به ، وأن تتحلى بما به سرا عندها ، ثم تجهر بقطع الحلي تدريجيا . في هذا الجو الذي تحس فيه جريتشن بجمالها احساس الصبية الواعية الكلفة به ، في هذا الجو الذي بدأت فيه الخطوة الأولى في سبيل الاثم باتباعها المرأة المشبوهة مارته ونصيحتها الآثمة ، يدخل مفيستو ، ليوطد علاقته بمارته من ناحية ، وليمهد للقاء فاوست بجريتشن . يدعي مفيستو أن زوج مارته توفي ، ويعدها بالتقدم للسلطات بالاشتراك مع صديق آخر بشهادة تفيد أن زوج مارته قد لقي نحبه ، فتعتمدها السلطات ، ويحق لمارته الزواج . وهكذا اتى مفيستو لمارته بما كانت تتمناه . واقترح مفيستو أن يتم لقاء في المساء نفسه ، يحضره صديقه الشاهد الآخر ، وهو رجل طيب سافر الى بلاد كثيرة ، ويحسن التأدب مع الآنسات الكريمات، وتمنى أن تحضر مارجريته أيضا . وتتردد الصبية ولكن مارته تشجعها. ويتبع هذا اللقاء ، مشهد لقاء فاوست ومفيستو وتناقشهما في الموقف، وفي الخدمة التي رأى مفيستو تقديمها للحصول على ثقة مارته وعلى مساعدتها وهي امرأة توشك أن تكون قد انتقيت انتقاء لتصبح قوادة ولتقوم بأعمال الفجر . مفيستو يريد دفع فاوست الى اثم آخر ، هو شهادة الزور ، ويقول له ان شهادة الزور لا تختلف قط عن الدرس الذي كان يحترفه : شاهد الزور يشهد بصدق واقعة لم يرها ولم يتحقق منها، والمدرس يدرس أمورا على أنها حقائق وماهي بحقائق .

ويتحرك ضمير فاوست ، ويثور ، ولكنه يعود فينضوي تحت لواء

الشيطان ، ويقول له «أنت على حق لاننى مضطر» . ثم يأتى مشهد اللقاء المزدوج بين مارته ومفيستو ، وفاوست وجريتشن فى حديقة الفوادة مارته . فى هذا المشهد يرسم جوته صورة مفصلة لجريتشن ، البنت البسيطة النشيطة التى تعرف قدر نفسها ، وترى أن بينها وبين فاوست بون شاسع ، حتى فى التفكير . انها تعترف بأن قدرتهـا على التفكير محدودة ، بالقياس الى قدرة فاوست ، «اذا فكرت فى لحظة واحدة ، كان على أن أفكر فيك زمنا» . وهى تعرف مكانها ، وحدودها . مكانها البيت والعمل فيه من طبخ وكنس وغزل وحياكة ، بل تربية أخت صغيرة لها فى وقت مضى . فى هذا المشهد ينشأ حب عميق يسنبد بقلب مارجريته وقلب فاوست جميعا والمشهدان التاليان يؤكدان نـذا الحب وقوته . المشهد الاول فى حديقة البيت بين الحبيبين يبدأ بحب رقيق وعبث رفيق ، وينتهى بتدخل مفيستو شبيها بتدخل العزول ، ليعلن نهاية اللقاء .

والمشهد الثانى فى حجرة جريتشن وهى تغنى أغنية الحب الذى ملأ فؤادها وتمكن منها ، أغنية الحبيب ذى المشية الرفيعة والهيئة الكريمة والابتسامة الخلابة والنظرة السلابة . نشأ حب صحيح ، حب خالص فى قلبى الحبيبين . وهـل يمكن أن ينشأ فى قلب جـريتشن الا الحب الخالص الطاهر ؟ أما فاوست فحقيقة أنه كان ، قبل أن يرى جريتشن، يلح على مفيستو أن يمكنه من حب هو المتعة ، وانه عندما رآها لأول مرة لم يفكر الا فى الحصول عليها كما يفكر الجائع فى الحصول على الطعام اللذيذ . ولكن مالبث العنصر الطيب فى قلبه أن تحرك وسعى الى تعديل المعوج .. ثم ياتى مشهد لقاء بين جريتشن وفاوست فى حديقة مارته . فى هذا المشهد تحاول جريتشن أن تسبر أغوار فاوست قدر طاقتها وما أقلها . انها ترى أن فاوست ، أو هاينريش كما تناديه بغير كلفة ، طيب القلب ، ولكنه لايرتبط بالكنيسة ارتباطا واضحا ، أو هى تظن أنه لايعمل للدين حسابا كبيرا . ويحاول فاوست أن يوضح لها أنـه وان لم يختلف الى كنيسة يؤمن بالله ؛ وانه يسـلك اليه سـبيلا

آخر ، سبيل النظر فى الخلق تارة ، وسبيل حديث الفؤاد تارة أخرى، ويحاول أن يوضح لها أنه بذلك يؤمن ايمانا واسع الافق ، لا ضيقه ، فمن وصل الى الايمان بالله عن طريق النظر فى الخلق والانصات الى رجع الفؤاد ، آمن بما يمكن أن تؤمن به القلوب فى كل البقاع ، أيمانا واحدا وان اختلفت فى التعبير عنه الألسن . وترتاب جريتشن فى كلام فاوست بعض الريبة ، وتكاشفه بخوفها الفطرى من «هذا الانسان» الذى يرافقه ، فيدهش فاوست لما أوتيته من صادق الحدس . وينتهى المشهد باتفاق فاوست وجريتشن على لقاء ووصل فى حجرتها ، وعلى اغراق امها فى سبات عميق بقطرات ثلاث من عقار منوم لايضر . وبهذا يسير فاوست فى طريقين ، طريق الحب الخالص ، وطريق الحب الآثم، طريق القلب السليم، وطريق الشيطان . ثم يأتى مشهد السبيل وجريتشن وليزشن تستقيان وتتحدثان عن صبية اسمها بربلشن (تصغير ربل وهو بدوره تصغير باربارا ) حدثت عنها فتاة أسمها «زيبيلله» انها سقطت ، وأن رائحة اثمها قد فاحت ، بعد أن هرب منها خليلها . وتحلل ليزشن (تصغير ايزة وهواختصار اليزابت) طريقة سقوط بربلشن وما أشبهها بطريقة سقوط جريتشن . وكان جريتشن وهى تسمع كلام صاحبتها يدور حول حال أخرى ، تسمع قصة سقوطها هى : انها تطعم اثنين اذ تأكل . ولكنها تحس أن الذى دفعها للاثم كان «مفعما بالخير ، فياضا بالحب» . وتسير الأحداث من هذا المشهد فى طريق المأساة ، مرحلة مرحلة الى نهايته .

المشهد التالى عند سور المدينة أمام تمثال للعذراء حزينة ، اعتاد أهل تلك الأزمان وضعه فى هذه المنطقة ، لمواساة الجرحى والموتى ، فى حالات تعرض المدينة لهجوم الغزاة ، وكلف به المؤمنون يصونونه ويجملونه بما يليق من الازاهير . هناك تقف جريتشن ، متوسلة الى عظيمة الالام ، أن تخفض اليها محياها وتخفف عنها محنتها . لقد تغير حال جريتشن من الضد الى الضد ، بعد الفرحة التى غمرها بها الحب، أتى ألم وبكاء ونحيب، أتى عار لا خلاص منه ، وقضاء لا راد

له . ويلقى المشهد الثانى فى الكنيسة ضوءا آخر على محنة جريتشن. لقد ماتت الام بعد أن شربت من العقار المنوم الذى قدمه فاوست لجريتشن حتى يستطيع أن يخلو بها ، واجتمع الناس فى الكنيسة لجنازها . ولم تستطع الصبية أن تتحمل الموقف فى هذا المكان المقدس الذى اعتادت أن تقف فيه نقية من كل اثم ، وبدأ ضميرها يعذبها بحديث يصور حالها ، حتى كادت أن تختنق وخرت مغشيا عليها .

ويصور المشهد التالى العار وقد فاحت رائحته ، يصور فالنتين اخا جريتشن وهو يأسف على الفضيحة التى أذلت أنفه بعد شموخ، حتى أصبح كل صعلوك ينال منه بالهمز واللمز ، وهو يقعد كالآثم الشرير يتصبب عرقا ، ولايستطيع أن يكذب المتكلمين ولا أن يوسعهم ضربا . ثم يأتى مشهد يضم فاوست ومفيستو يتحدثان فى أمر جريتشن ، وقد استبد بفاوست ألم شديد على ما لحق بالصبية البسيطة الطاهرة على يديه ، لقد نسف سكينتها وأمنها ، دون ماذنب أو جريرة ، ولايعرف مخرجا الا أن يرجو مفيستو أن يفنيه ويفنيها معا . ويكتفى مفيستو بأن يقترح عليه أن يدخل ويواسيها . ويتبع هذا المشهد مشهد آخر يجمع فاوست ومفيستو أيضا ، بعد أن علم فاوست أن جريتشن أن السجن . فى هذا المشهد ينهال فاوست على مفيستو بالتوبيخ والشتم لأنه كتم عنه خبر حسرتها المتزايدة ، وأنهاه عنها بمتع تافهة . ويعلله مفيستو بأنها ليست الأولى ، وطالما عرفت أخريات مصيرا مشابها . ولكن فاوست يتلوى من الألم ويقول «أن محنة هذه الواحدة تنخر فى عظامى وفى ذات حياتى» ، ويصمم على أن ينقذها ويأمر مفيستو بذلك. ولكن مفيستو شيطان يجيد السعى فى الشر ولا طاقة له على السعى فى الخير ، لذا فهو ينبه فاوست الى حدوده اذ يقول : «هل تظن أن لى ما فى السماوات والأرض من سلطان؟» ولكنه يعده بأن يأتيه بجياد مسحورة ، وبأن يحتال على حارس السجن ، على أن يقوم فاوست بالبقية فيأخذ المفاتيح ويطلق سراحها .

ويأتى منظر فاوست ومفيستو وهما يمتطيان صهوة جوادين

أسودين ويمران بساحة المحكمة التى سينفذ فيها حكم الاعدام على جريتشن .

ونصل الى المشهد الختامى ، مشهد الزنزانة . تمكن فاوست من الحصول على المفاتيح ، ودخل الزنزانة ، فاذا جريتشن قد أصيبت بالجنون ، تغنى على لسان وليدها الذى قتلته أغنية «أمى العاهرة .. وأبى الوغد» ، وتنتظر الجلاد لينفذ فيها حكم المحكمة بسيفه ،وتتصور الرضيع وهى ترضعه ، وتتصوره وأناس يأخذونه منها . وترى هاينريش فتعرفه ، ولكنها لا تفر معه . انها تذكره بحبه .. اما كان يضمها فتحس فرحة تساوى الحياة واختناقا يوشك أن يكون الموت وانها تذكره بجريمتين ، جريمة قتل امها ، وجريمة قتل ابنه وابنها . وتدهش عندما يحدثها بأنه أتى ليحررها من سجنها ، وتطلب اليه أن يجفف يديه من الدم أولا ثم ليأت بعد ذلك . لقد قررت مارجريته أن تنال الجزاء الحق ، قررت أن تكفر بدمها عن اثمها ، وراحت تصيح فى عدالة السماء أن انقذينى ، فلما أكره مفيستو فاوست على الخروج من الزنزانة خشية افتضاح أمرهما ، راحت مارجريته تصيح فيه من الداخل صيحة رمزية : هاينريش . هاينريش . كأنها تريد له الخلاص .

## فاوست بعد أورفاوست :

أخذ جوته معه مخطوط أورفاوست الى ايطاليا وعدل فيه تعديلات من ناحية الشكل تغلب الشعر على النثر ، وأورفاوست خليط من النثر والشعر على طريقة تذكر الانسان بطريقة شيكسبير ، وصاغ فيه مشاهد جديدة مثل مطبخ الساحرات (فبراير ١٧٨٨ فى روما) وغابة ومغارة ، ولم ينته فى السياق الى نهاية ، بل وقف عند نهاية مشهد الكنيسة حيث تخر جريتشن مغشيا عليها . ونشر جوته هذه الصياغة الثانية تحت عنوان «فاوست . مقتطف» عام ١٧٩٠ . والظاهر أن جوته

لم يكمل المقتطف لتغير آرائه الفنية والفلسفية . فالصياغة الاولى لفاوست تنتمى الى حد كبير الى مدرسة العاصفة ، وتنبثق من ذم شاب دون الخامسة والعشرين . وقد تغيرت أفكار جوته كثيرا فى ايطاليا ، واتجه الى الكلاسيكية وزاد اهتماما بالثقافة القديمة ، فكان ضروريا أن يتناول المادة من جديد ، أو يتركها . وقد مرت سنوات وسنوات الى أن قدر لجوته أن يلقى شيللر وأن ينشأ بينهما تعاون فريد ، فعاد جوته بدفع من صديقه الى مادة فاوست ، وظل يعمل على صياغتها حتى خرج مانسيه بالجزء الأول من فاوست عام ١٨٠٨، تحت عنوان «مأساة فاوست» دون تحديد لجزء . ومثل هذا الجزء على المسرح فى برلين عام ١٨١٩ و ١٨٢٠ فى «قصر مونبيجو» ثم مثل مرتين بعد ذلك فى حياة المؤلف ، مره فى براونشفايج ومرة فى فايمار فى عام ١٨٢٩ .

وفى ١٨٣٢ أتم جوته الجزء الثانى من فاوست (طبع بعد وفاته) واعتبر حياته الفنية قد تمت ، وقال انه يستوى عنده أن يعيش أو لا يعيش بعد ذلك ، أن يعمل أو لا يعمل ، فقد أكمل عمل حياته . والجزء الثاني ينقسم الى خمسة فصول ، وهو ضخم ، دسم ، بالغ الاهمية . وهو قليلا مايمثل على المسرح ، وان مثل فقليلا مايعرض كاملا وأول مرة عرض فيها الجزء الثانى ترجع الى عام ١٨٥٤ (هامبورج) . أما عرض الجزءين معا فيرجع الى عام ١٨٧٦ ( فايمار ) .

## فاوست بعد جوته :

ظهرت فى حياة جوته أعمال تعالج فاوست منها عام ١٧٩١ «حياة فاوست ، أعماله ورحلته الى الجحيم» لكلينجر ، وعام ١٧٩٧ «دكتور فاوست» دراما من تاليف الجراف فون زودن ، وعام ١٨٠٤ «فاوست ، دراما خيالية» من تاليف يوهان شينك ، وعام ١٨١٤ «فاوست» أوبرا من تاليف لوى سبور ، وعام ١٨١٥ «فاوست» دراما من تاليف أوجست كلينجمن ، وعام ١٨٢٣ «ملحق لفاوست جوته» بقلم شونه ، وعام ١٨٢٣

أيضا «فاوست» مأساة بقلم فون فوس ، وفى عام ١٨٢٩ «دون جوان وفاوست» مأساة بقلم جرابه ، وفى عام ١٨٣٢ «دكتور يوهان فاوست» بقلم كارل فون هولتاى . وظهرت بعد وفاة جوته أعمال كثيرة تعالج مادة فاوست نذكر طرفا منها :

«فاوست ، قصيدة» تأليف ليناو .

«لعنة فاوست» أوبرا لهكتور برليوتس (١٨٤٦) –

« دكتور فاوست » قصيدة لهاينرش هاينه ( ١٨٥١ )

«مارجريته» اوبرا لشارل جونو (١٨٥٩) –

«فاوست . الجزء الثالث من المأساة» بقلم فريدرش فيشر (١٨٦٢) –

«مفيستوفيله» أوبرا لأريجو بويتو (١٨٦٨) –

«دكتور فاوست» أوبرا بدأها فيروشو بوزونى وأتمها فيليب يارناخ (١٩٢٤) –

«فاوستى» مقتطف دراما لبول فاليرى (١٩٤٠) .

«دكتور فاوستوس» رواية لتوماس من (١٩٤٨) .

دكتور مصطفى ماهر

# أورفاوست

## أو (فاوست في الصياغة الأولى)

---

**URFAUST**

**(Faust in ursprünglicher Gestalt)**

# ليل

( فى حجرة ضيقة على
القوطى ذات قبة عالية .
فاوست يجلس حائرا على
مقعده الى المنصة )

فاوست : آه ! لقد درست الفلسفة والطب والقانون ، وللاسف
اللاهوت أيضا ، دراسة عميقة ، وبذلت فى ذلك جهدا حارا .
وهأنذا أقف فى يومى هذا ، أنا الغبى المسكين ، كما كنت،
لم أزد عن ذى قبل فطنة . أصبحت أسمى دكتورا ، بل
برفسورا ، وأجر تلاميذى من أنوفهم منذ عشر سنين الى
أعلى والى أسفل ، وبالطول وبالعرض ، وألف بهم وأدور،
لأرى اننا لا نستطيع أن نعرف شيئا : ان هذا ليوشك أن
يحرق قلبى حرقا ! حقيقة أننى أكثر بصيرة من كل الصعاليك
الدكاترة والأساتذة والكتاب والقساوسة ، واننى لا يعذبنى
شك ولا ريب واننى لا أخاف جحيما ولا شيطانا . ولكنى ،
لهذا ، حرمت من الفرح كل الفرح . لست أتصور أننى قد
أعلم شيئا ذا بال ، لست أتصور اننى قد أستطيع أن أعلم
الناس مايصلحهم ويهديهم . ولست أملك أرضا أو مالا ،
ولست أحوز من الدنيا شرفا أو سيادة . ليس هناك كلب
يود أن تتصل على هذا النحو حياته . لهذا أستسلمت
للسحر ، لعلى أن أعرف بعض الأسرار ، بقوة الروح ومن
فمه ، ولا أعود ، والعرق المرير يتصبب منى ، اتكلم بما
لا اعلم ، لعلى أن أعرف ما يمسك العالم فى أعمق أعماقه ،

وان آرى القوة الفعالة كلها والبذور جميعها (١) ، ولا أعود الى العبث بالكلمات . آه ! ليتك ياضوء القمر الفياض تطلع للمرة الاخيرة على عذابى ، فكم صحوت على هذه المنصة الى منتصف الليل ، فطللت على من فوق الكتب والأوراق، أيها الصديق الحزين ! ليتنى أستطيع أن أهيم فى نورك الحبيب الى ذرا الجبل ، وأحوم مع الأرواح حول الكهف هناك ، وأركض فى شفقك فوق المراعى ، وأستحم فى نداك وقد تخلصت من دخان العلم ، فأجد الشفاء .

ويلاه : انى لا أزال رهين السجن ، سجين هذا الجحر القبيح اللعين ، الذى لاينفذ اليه نور السـماء الحبيب نفسه الا عكرا من خلال ألواح ذات ألوان ! تحده هـذه الكومة الضخمة من الكتب التى ينخر فيها السوس ، على جوانبه من كل ناحية الزجاجات والعلب ، وتغصه الأدوات، وتكتنفه مخلفات الأجداد القدامى ! هذا هو عالمك ، انه يسمى عالما !

أمازلت تسأل لم ينقبض قلبك فى صدرك ؟ ولم يشـل ألم غير ذى سبب كل خلجة من خلجات الحياة فيك ؟ انك بدلا من أن تحيط بك الطبيعة الحية التى خلق الله الناس فيها ، تحيط بك ، وسط الدخـان والخبث ، عظـام رمم الحيوان وهياكل رفات الموتى .

فاهرب ! هيا الى الارض الواسعة ! وهذا الكتاب ذو الأسرار خطته يد نوستراداموس (٢) نفسها ، ألا تكفيك

---

(١) العناصر الأولية .

(٢) نوسترادموس ، هو ميشيل دى نوتردام الفرنسى ( ولد عام ١٥٠٣ وتوفى عام ١٥٦٦) المنجم الطبيب صاحب المعجزات ، أنشأ كتابا صغيرا مسجوعا ضمنه نبوءاته حتى عام ٣٠٠٠ ميلادية . وكان الطبيب الخاص بالملك شارل التاسع .

رفيقا مرشـدا ؟ ستعرف به مسـار النجوم . واذا علمتك الطبيعة علمها ، انبثقت فيك قوة الروح ، وعرفت كيف يكلم الروح روحا . ولاجدوى فى الوصول بالتفكير الجاف هناك الى فهم الرموز القدسية . أيها الأرواح ، انكم تحـومون بجانبى ، الا فاجيبونى ان كنتم تسمعوننى .

( يفتح الكتاب ويرى رمز الكون (١) )

ها ! أى نعيم ينساب فى هذه النظرة دفعة واحدة الى من خلال حواسى جميعا . اننى أحس سعادة دنيوية فتيـة قدسية . وأحس لهيبا جديدا يجرى فى أعصابى وعروقى . فهل كان من سطر هذه الرموز الها ؟ انها جميعا تهدىء ثورة القلب ، وتملأ الفؤاد المسكين بالفرح ، وتكشف بهمة مفعمة بالأسرار قوى الطبيعة .

هل أنا اله ؟ ان نورا يطلع على بما يوشك أن يكون هذا ، انى أبصر فى تلك الخطوط الصافية الطبيعة الفعالة ماثلة أمام روحى . وأعرف الآن دلالة مايقـوله الحكيم : ان عالم الأرواح ليس مغلقا ، انما حسك هو المغلق ، وقلبك هو الميت ، هيا أيها المريد لاتتورع واغسل صدرك الارضى فى السحر (٢) .

( يتأمل الرمز )

---

(١) الكون : فى النص الماكروكوسموس وهى لفظة بالاغريقية تعنى العالم الكبير أو الكون الكبير استعملها ارسطو اطلاقة على عالم غـير الأحياء ، ثم استعملت فيما بعد اطلاقة تعنى العالم بدون الانسان واطلق على الانسان « ميكروكوسموس » ـ أى العـالم الصـغير أو الكون الصغير .

(٢) بفتح الحاء . وكان السحر يعنى عند بعض المتصوفة الالـمان أروع صورة يبدو فيها الله كل يوم واقعا لمن كان له فؤاد .

أترى الى كل شيء ينتظم فى الكل ! أترى الى الشيء الواحد يؤثر فى الآخر ويعيش فيه كقوى السماء ، صاعدة نازلة ، تتبادل الدلاء الذهبية (١) ! أترى اليها وهى تتأرجح متضوعة عبير البركة من السماء فتنفذ عبر الارض وتطلق أنغام الكل منسجمة عبر الكل !

ياله من مشهد ! آه ، ولكنه لايزيد عن أن يكون مشهدا .. فأين أصيبك أيتها الطبيعة ، يامن لاتنتهين الى نهاية . أين أيتها النهود (٢) ؟ اين ياينبوع كل حياة ، يامن تتعلق بك السماء والارض ، ويندفع اليك النهد الذابل ! أتفيضون بالماء وتسقون ، وبى عطش يهلكنى ، ولا أنال شيئا ؟ ! .

( يقلب الكتاب كارها فيرى رمز روح الارض)

مالهذا الرمز يؤثر فى تأثيرا مختلفا . لقد اقتربت منى ياروح الأرض، فانى أحس قواى تعلو، وأحس لهبا يتأجج فى كأنى أتجرع خمرا جديدة ، وأحس قلبى كله مستسلما اليك ، يطيق حمل ألم الأرضين كله وكل سعدها ، وأحس بنفسى كأنى أنازل العواصف ، ولا أتردد أمام قرقعة السفين الغارق . ان الغمام ليتجمع فوقى ، والقمر يخفى نوره ، والمصباح يتوارى ، وهذا دخان يتصاعد ، وهذه أشعة حمراء تختلج فوق رأسى ، وهذا رذاذ يهبط على من القبة ويصيبنى . أننى أحس بك تحوم حوالى ، أيها الروح

---

(١) دلاء النور . كأن النور تطلع به وتنزل فى الاثير دلاء متتابعة : تكون ماسمى بسلم يعقوب ، على ماقرأ جوته فى كتاب لفيلسوف بلجيكى اسمه هلمونت (١٥٧٧ ــ ١٦٤٤) .

(٢) منابع العلم والمعرفة .

المأمول . فاظهر ! ها ! انى أحس عصفا فى قلبى ، وأحس حواسى كلها تثور بأحاسيس جديدة ، وأشعر بقلبى كله يستسلم اليك . لابد ! لابد ! ولو كلفنى الأمر حياتى !

( يمسك الكتاب ويتلو رمز الروح بالطريقة السحرية فيختلج لهب محمر ، ويبدو الروح فى وسط اللهب ، فى هيئة منفرة ) .

الروح : من ينادينى ؛

فاوست (مشيحا بوجهه عنه) : وجه قبيح !

الروح : لقد جذبتنى وشددت جذبى ، وتشبثت (١) بفلكى طالت التشبث ، ثم تريد الآن —

فاوست : ويلى ، اننى لا أحتملك .

الروح : لقد توسلت لاهثا الى التطلع الى ، والاستماع الى صوتى ، والابصار بوجهى ، فلنت لتوسل نفسك الشديد . وهاندا . فما هذا الفزع المؤسف الذى استولى عليك أيها الانسان السامى ! أين النداء الذى وجهته الى نفسك ؟ أين الصدر الذى اختلق فى داخله عالما ، وتمنى ، وامتلأ بخلجات الفرح والرغبة فى أن يرتفع الى مصافنا معشر الأرواح ؟ أين أنت يافاوست الذى دوى الى صوتك ؟ والذى اندفع الى بكل قواه ؟ أنت ! الذى ماكاد زفيرى يمسك حتى ارتعدت ارتعادا نفذ الى أعماق حياتك كلها ، أنت أيها .. الدودة المنكمشة المتباعدة فزعا ؟

فاوست : أتظن أننى أخافك ياصنيعة اللهيب ، هاندا ، أنا فاوست ، أنا سويك !

الروح : اننى أطفو وأغوص فى فيضانات الحياة ، فى عاصفة الاعمال . وأنسج فى جيئتى ورواحى المهد واللحد ، بحرا خالدا ،

---

(١) فى النص حرفيا : ظللت تمص فى فلكى .

نسيجا متبادلا ، حياة متأججة . هكذا أعمل على نول الزمن السريع ، وأصنع للاله الثوب الحى (١) .

فاوست : ما أقرب ما أحس بنفسى منك ، أيها الروح المشغول ، يامن تلف العالم العريض .

الروح : انت سوى الروح الذى تفهمه ، ولست سوى . (يتوارى) .

فاوست (منهارا) : لست سويك ! فمن اساوى اذن ؟ أنا صورة الاله لا أساوى حتى أنت ؟!

( صوت دق على الباب )

انه الموت ! أنا أعــرف من بالباب ... انه تلميذى ! سأهوى الآن الى أسفل سافلين ، ستضطرب هـذه الرؤى الكثيرة على يد هذا المهووس الغليظ .

(فاجنر فى لباس النوم ، على رأسه طافية النوم ، ويمسك مصباحا فى يده . فاوست يشيح عنه بوجهه مغضبا) .

فاجنر : معذرة ! لقد سمعتك تتلو شيئا بصوت عال ! لابد أنك كنت تقرأ تراجيديا اغريقية ببيان وتمثيل ، وأريد أن أستفيد بشىء فى هذا الفن ، لأنه يؤثر فى هذه الأيام على الناس تأثيرا كبيرا . وطالما سمعت من يطنب فى مدح الممثل ، وفى أنه قد يعلم القسيسين .

فاوست : هذا اذا كان القسيسون ممثلين ، كما يحدث أحيانا !

فاجنر : اذا ظل الانسان رهن متحفه ، ولم ير الدنيا الا نادرا ، ربما مرة يوم العيد ، لم يعلم حـق العلم كيف يحسن حالها ويصلحها بالاقناع .

---

(١) روح الأرض كائن غريب يصنع حياة الارض وزوجه حيـاة الانسان فوقها . والمقصود بالثوب الحى مجموعة الظواهر التى يظهر الله بها على الارض ويستطيع الناس رؤيتها بحواسهم ، لان الله فى ذاته لاتدركه الأبصار .

فاوست : ان لم تحس بالأمر احساسا ، فلن تناله غلابا . ان تناله الا اذا تحركت به نفسك . فاذا تحركت به نفسك ، ثهرت قلوب المستمعين جميعا باطمئنان أصيل . أما اذا قعدت تلصق هذا الى ذاك ، وتطبخ طبخة من سماط آخـر ، وتستخرج بالنفث ألسنة النيران المسكينة من كويمة رماد ، لم تنل الا اعجاب الصبية والقرود ، وليتك تشتهى أنت طعمها ! اذا لم يتحرك بالامر قلبك ، فلن تضم قلبا الى قلب أبـدا .

فاجنر : ولكن التلاوة تفيد الخطيب كثيرا .

فاوست : ماهى التلاوة ؟ انها لاتساوى أكثر من تمثيلية قرةقوز . ألا فالتمس لك ياسيدى الاستاذ قوة ، ولا تكن غبيا جعجاعا . ان الصداقة والحب والاخوة أمور تتلو نفسها بنفسها . اذا كنت جادا فى التعبير عن شىء ، فما شـأنك والخطب الطنانة وماحاجتك الى تصيد الكلمات الرنانة ، التى تقطع فيها شرائح شواء لاتسيغ للانسانية ، وكأنها ريح بضباب يحدث فى الخريف حفيفا بين الاوراق الجافة .

فاجنر : رباه ! ما أطول الفن ، وما أقصر حياتنا (1) . اننى فى مسعاى الناقد كثيرا ماأحس بالخوف يتملك رأسى وصدرى ، فما أصعب مايحصل الانسان على الوسائل التى يرقى بها الى المنابع ، فاذا اتبعها ماكاد يصل الى منتصف الطريق حتى تدركه المنية فيموت صعلوكا مسكينا .

فاوست : تعنى الكتاب ؟ فما الكتاب ؟ هل هو النبع المقـدس الذى يرسل مشربا يطفىء العطش أبدا ؟ لن ترتوى الا اذا انفجـر النبع من روحك أنت .

فاجنر : معذرة ! انها لمتعة عظيمة أن ينغمس الانسان فى روح الأزمان

---

(1) مثل لاتينى سائر : Ars longa, vita brevis.

القديمة ، وأن يرى كيف كان الرجل الحكيم آنذاك يفكر ، وكيف ارتفعنا نحن أخيرا ارتفاعا عظيما .

فاوست : آه نعم ! حتى بلغنا النجوم ! ياصديقى ان الأزمان الماضية كتاب مغلق فى وجهنا عليه سبعة أختام . ان ماتسميه روح الأزمان ، ليس فى أساسه سوى روح السادة تنعكس الازمان فيه . والحق أنه كثيرا مايؤلمك ، فتفر منه لأول وهلة . انه وعاء زبالة ، أو حجرة المهملات ، أو هو على الأكثر تمثيلية تاريخية سياسية تافهة مفعمة بحكم عملية عظيمة تليق بأفواه القرةقوزات (١) .

فاجنر : ولكن الدنيا ، ولكن قلب وروح الانسان ، كل واحد يود أن يعلم منه شيئا .

فاوست : نعم ، يعلم مايسميه الناس علما . من له أن يسمى الطفل باسمه الحقيقى ؟ القلائل الذين علموا من العلم شيئا ، وكانوا من الغباء بحيث لم يكتموا قلبهم ملآن على ما فيه ، فكشفوا للناس عما أحسوا وما رأوا ، صلبوا وحرقوا من قديم الزمان . أرجوك ياصديقى ، لقد امتد الليل ، ولابد أن نقطع الحديث هذه المرة .

فاجنر : كم وددت أن أصحو حتى الفجر ، لأتناقش معكم على هذا النحو من التفقه (يخرج) .

فاوست : كيف لايودع الأمل كله رأسا يلتصق دائما بشىء تافه ، ويحفر بيد نهمة باحثا عن كنوز ، ويفرح اذا عثر على ديدان المطر .

* * *

(١) اشارة الى المسرحيات التى تتخذ الأباطرة وحياتهم وصعودهم وسقوطهم موضوعات لها . وكان «جوتشد» قد هاجم هذا النوع فأبقى عليه مسرح العرائس حينا .

( مفيستوفيليس (١) فى ملابس النوم ، وعلى رأسه باروكة كبيرة . طالب)

الطالب : لقد وصلت هنا منذ قليل ، وأتيت وكلى طاعة وامتثال ، لأحدث رجلا يذكره الجميع بالاحترام ، وأشرف بمعرفته ، بمعرفته .

مفيستوفيليس : أدبك يفرحنى جدا . انك ترى أمامك رجلا كالآخرين، فهل درت فى هذا المكان ببصرك الى غيرى ؟

الطالب : أرجوك أن تشملنى بعنايتك . وقد أتيتك بالنية الطيبة كلها، وبمال كاف ودم شاب . وقد صعب على أمى تغربى ، ولكنى أريد أن أتعلم هنا علما صالحا .

مفيستوفيليس : اذن فقد حللت بالمكان الصحيح .

الطالب : ولكنى أقول لك مخلصا اننى أود أن أرحل توا وأعود أدراجى، فكل شىء حوالى يبدو لى جافا غليظا ، كأن الجوع الأليم يسكن كل بيت .

مفيستوفيليس : أرجوك ! لاتنفر من كل مايصادف الطالب هنا . ولكن قل لى أولا أين ستسكن ؟ هذه مسألة رئيسية .

الطالب : كم أتمنى أن تأخذ بيدى وتقودنى ، فاننى حمل غرير حقا . أريد الخير كله معا ، وأرجو أن أبعد الشر كله عن بدنى ، والحرية واللهو . أريد أن أدرس عميقا حتى يفيض العلم ويسيل على رأسى وأذنى . أى سيدى ، ساعدنى على ألا تفشل روحى فى بلوغ الخير أبدا !

---

(١) كلمة مفيستوفيليس التى انتشرت منذ الكتب الشعبية بل قبلها غير معروفة الأصل على وجه القطع . وآخر ما وصل اليه البحث أنها تتكون من كلمتين عبريتين واحدة تعنى المتلف والثانية تعنى الكاذب . ومفيستوفيليس ليس هو الشيطان الاكبر بل هو واحد من الشياطين الذين يخضعون لكبير لهم هو أمير الشياطين .

مفيستو : (يهوش) : ليس عندك مسكن ؟ كما قلت .

الطالب : لم اسأل عن ذلك حتى الآن ، ويحى ! الفندق الذى أنزل به يحسن اطعامى ، وبه بنت رقيقة تقوم على شأنه .

مفيستو : أعوذ بالله ، ان هذا ليقودك الى بعيد ! آه من القهوة والبليياردو ! ويح اللعب ! وآه من البنات ، ومن كثرة نهمهن! فلا تضع الفرصة ! واعلم اننا نحب حبا جما أن يأتى الينا الطلاب من قريب ومن بعيد مرة فى الاسبوع على الأقل ، وأن يرتموا تحت نعالنا ، فاذا ما أراد واحد منهم أن يرتوى من لعابنا ، أجلسناه الى يميننا !

الطالب : أحس فزعا شديدا يعلو وجهى !

مفيستو : ليس فى هذا مايضر المقصد الحميد ! ولنتناول أولا موضوع المسكن . لست أعرف لك فى هذا المكان شيئا أفضل من الذهاب الى السيدة شبريتسبيرلاين فى الغد ، فانها تعرف كيف تحسن القيام على شئون الطلاب ، وبيتها يغص من أعلى الى أسفل بالطلاب ، وهى تفهم عملها على ماينبغى . حقيقة أن سفينة نوح أنظف من بيتها ، ولكن العادة جرت على أن يكون بيتها هكذا . وستدفع الأجر الذى دفعه الآخرون قبلك ، أولئك الذين كتبوا أسماءهم على البيت القذر .

الطالب : أحس ضيقا يطبق على صدرى من نواحيه كلها ، كأنى فى قاعة الدراسة العويصة .

مفيستو : وهكذا نكون قد فرغنا من مسألة السكن ، ولننتقل الى امكانية الحصول على طعام بسعر مقبول .

الطالب : أظن أن هذه الأمور كلها ستسهل على ، مادمت أقصد أول ما أقصد الى توسيع فكرى .

مفيستو : ياحبيبى ، سأغفر لك هذا الرد ، فأنت لاتعرف روح المعاهد العلمية ! عليك أن تنسى مائدة الطعام التى تعودت عليها

عند أمك ، وأن تعيش على الماء القراح ، والزبدة الرديئة ، بدلا من البيرة المصنوعة من غرس حشيشة الدينار ، والخضار الطرى ، سيكون علفك فى هذا البيت من نبات الأنجرة (١) الحلو ، تأكله حامدا شاكرا ، وهو يحدث اسهالا مثل زبل الأوز ، وان لم يزده هذا لزوجة ، وهم يكثرون من تقديم لحوم العجول والخراف ، كثرة تذكر بالنجوم فى قبة الرب السماوية . وعندما تدفع ، يضاف الى حسابك ماأتلفه الأشقياء قبلك . فعليك أن تحسن القيام على كيس نقودك ، وعليك خاصة الا تعير صديقا شيئا ، وأن تدفع بانتظام واخلاص ماعليك لصاحب المسكن والخياط والاستاذ .

الطالب : أيها السيد القدير ، ستترتب هذه الامور ، ولكنى أرجوك أن توجهنى ، فحقل الحكمة أمامى مفتوح ، وكم كنت أود أن أندفع اليه اندفاعا ، لو لم أر فى قلبه المزركش الملوى ، وعلى جوانبه الأجرد والأعجف ، وتتراءى لحواسى على البعد واحة بواد نضير مليئة بالينابيع الصافية .

مفيستو : لكن قل لى أولا أية كلية تختار ؟

الطالب : أريد أن أصبح من رجال الطب ، ولكنى أتمنى أن أتعلم قدر مايستوعب عقلى علما يحيط بأنحاء الارض كلها ، وبالسماء كلها .

مفيستو : انك لعلى الطريق السوى : ولكن لاينبغى أن تبعثر طاقاتك ، ولهذا أنصحك ياصديقى العزيز ، بالانتساب الى فصل الدراسة المنطقية الاولية ، ففيها يروض عقلك ، ويزج فى أحذية أسبانية طويلة الرقبة محكمة الأربطة ، حتى يسير

---

(١) نبات الأنجرة هو مايسمى أيضا «فساكلاب» . ومفيستو يجتهد فى تنفير الطالب المستجد .

باتزان أكثر فى درب الأفكار ، ولايتبع السبل ويضل مع ومضات الضلال تارة فى اتجاه العرض وتارة فى اتجاه الطول ستتعلم فى أيام كثيرة ، أن ماكنت تفعله تلقائيا دفعة واحدة كالأكل والشرب . والعد واحد ، اثنان، ثلاثة . يتصل بذلك اتصال الاهمية ويدخل فى ميدانه . فان آلة الأفكار تشبه براعة النساج ، حيث يحرك بضربة واحدة من قدمه ألفا من الخيوط ، ويطلق المكوكات ذات اليمين وذات اليسار ، فتنساب الخيوط منها دون أن يدركها البصر ! ضربة واحدة تحدث ألف عقدة ! سيدخل عليك فى الفصل فيلسوف ويبرهن لك أن الامر من الأمور لابد أن يكون على نحو بعينه : أولا هكذا ، وثانيا هكذا ، وبالتالى يكون ثالثا ورابعا حتما هكذا . فاذا لم يكن هناك أولا وثانيا فانه يستحيل أن يكون هناك ثالثا ورابعا . هذا هو مايلهج تلاميذ البقاع كلها بثنائه ، دون أن يكون من بينهم من صار نساجا ! وعلى من يريد أن يتعلم شيئا حيا وأن يصفه ، أن يبدأ أولا بتجريده من روحه ، فاذا به يمسك بالأجزاء فى يده ، ينقصها للأسف رباط الروح . وعلم الكيمياء يسمى هذا معالجة الطبيعة ، وانه ليحدث فى ذاته فجوة كأنها الحمار ، دون أن يعلم كيف أحدثها .

الطالب : لا أجيد فهمك فى هذه النقطة !

مفيستو : ستتحسن فى المستقبل ، عندما تتعلم استنتاج كل شيء ، وتبويبه أحكم تبويب .

الطالب : أحس بنفسى فى كل هذا غبيا ، وكأنى بطارة الطاحونة تدور فى رأسى .

مفيستو : وبعد ذلك ، تكرس نفسك قبل كل شيء آخر ، للميتافيزيقا، لترى أنك تحيط فى عمق بما لايدخل فى مخ الانسان ، ولتجد كلمة رائعة فى خدمتك ، تطلق على مايمكن وعلى ما لا يمكن

آن يدخل فى المخ . وعليك أولا طوال نصف السنة الاولى ان تأخذ نفسك بخير نظام ، فتدرس خمس ساعات كل يوم ، وتدخل الفصل عندما تدق الاجراس ، وتعد نفسك فى البيت اعدادا حسنا ، وتحفظ المواد حفظا جيدا ، لتتبين بعد ذلك انك لاتقول الا ما بالكتاب ! وعليك أن تجيد الكتابة وتدقق فيها كما لو كان الروح القدس هو الذى يمليك .

الطالب : أعذرنى فقد أثقلت عليك بأسئلة كثيرة ، ولكنى مضطر للاثقال عليك بالمزيد . هلا قلت لى فى الطب كلمة قوية موجزة مفيدة . ثلاث سنوات مدة قصيرة ، والميدان واسع جدا ، والله . فلو أوتى الانسان توجيها فى أول الطريق ، أمكنه أن يتحسس باقيه .

مفيستو (لنفسه) : لقد تعبت من تكلف نبرة الأستاذ ، وأريد أن أؤدى دور الشيطان مرة ثانية . (بصوت عال) . روح الطب يسهل عليك الاحاطة بها . عليك أن تتعمق فى دراسة العالم الكبير ، والعالم الصغير (١) لتنتهى فى النهاية الى ترك الأمور تسير كما يحب الله . ولاجدوى فى أن تحيط بالامر من نواحيه على نحو علمى ، فكل انسان لايتعلم الا مايستطيع أن يتعلم . والرجل الذكى هو من يغتنم الفرصة . وأنت شاب قوى البنيان ، ولن تعوزك الجرأة ، واذا وثقت فى نفسك ، وثق فيك الآخرون . تعلم بصفة خاصة ، كيف تسوس النساء ، فهن يتوجعن ويتأوهن ألف مرة ، ولا علاج لهن الا من نقطة واحدة . فاذا تصنعت الامانة نوعا ما أمامهن ، كسبتهن . عليك بلقب يجعلهن يضعن فيك ثقتهن ،

---

(١) أى الكون والانسان ، الماكروكوسموس والميكروكوسموس . وقد كشف البحث الدقيق صلة وثيقة بين حديث جوته عن العلوم المختلفة ودراساته لها بجامعة لايبتسج خاصة .

ويعتقدن أن فنك يفوق كل الفنون ، وليكن ترحيبك بهن ، لمس تلك المواضع كلها ، التى لايصل اليها آخر الا بعـد سنين ! تعـلم كيف تحسن جس النبض الرفيـق ، وكيف تمتلكهن بنظرات نارية حارقة ، وكيف تلمسهن حول الأرداف الرشيقة العارية ، لترى مدى احكام أربطة ملابسهن .

الطالب : هذا أفضل من الفلسفة .

مفيستو : ياصديقى العزيز ، النظرية شيء معتم ، وشجرة الحيـاة الذهبية شيء أخضر وضاح .

الطالب : أقسم لك أننى أحس كأنى فى حلم . فهل لى أن أثقل عليك مرة أخرى بزيارة ، لأسمع منك أساس حكمتك ؟

مفيستو : سيكون لك ذلك عن طيب خاطر مادام فى استطاعتى .

الطالب : لايمكن أن أذهب الآن هكذا ، لابد أن أقدم اليك دفترى ، راجيا أن تتكرم على بخطك .

مفيستو : على الرحب والسعة . (يكتب ويعيد الدفتر) .

الطالب (يقرأ) : انكم اذا علمتم ما الخير وما الشر أصبحتم مثـل الرب (١) . (يقفل الدفتر شـاكرا مبجـلا مسـتأذنا فى الانصراف) .

مفيستو : ماعليك الا أن تتبع الحكمة القديمـة لخالتى الحيـة ، فسيتولاك الخوف مرة رغم مشابهتك الرب .

* * *

---

(١) العبارة التى قالتها الحية لحواء لتغريهـا على الأكل من الشجرة ، فى رواية التوراة .

# حانة أورباخ فى لايبتسج
# ( خلان صفا يشربون )

فروش : لايريد أحد أن يشرب ، ليس فيكم من يريد أن يضحك !
سأعلمكم كيف تحركون وجوهكم ! ما أشبهكم اليوم بالحطب المبتل ، وكنتم من قبل تتأججون نارا .

براندر : أنت السبب ، فلست تفعل شيئا ، لا مما يأتيه الاغبياء ، ولا مما يأتيه الخنازير !

فروش (يصب فوق رأس صاحبه كأس خمر) : هذا مايأتيه أولئك وهؤلاء !

براندر : ياحمار ! ياخنزير !

فروش : لابد أن يكون الانسان حمارا وخنزيرا معكم !

زيبل : ياأيها الشياطين ! اهدأوا ! وغنوا ، عليكم الدور . واشربوا وهللوا ! هيا ! هه ! هيا !

التن : آتونا قطنا نسد به آذاننا ! انه بصياحه ينسف آذاننا !

زيبل : هل هذا ذنبى اذا كانت القبة منخفضة انخفاضا لعينا وكانت ترجع الصوت ! غن !

فروش : آه . تالالا ! تالالا ! تالالا ! دى ! مضبوط ! ثم ماذا ؟
الدولة الرومانية المقدسة الحبيبة
كيف بها لاتزال للآن قائمة

براندر : أف ! أغنية قبيحة ! أغنية سياسية ، أغنية حزينة . احمدوا الله على أن أمر الدولة الرومانية المقدسة لايعنيكم فى شىء .
نريد أن ننتخب «بابا» رجلا ! (1)

---

(1) نكتة معناها نريد أن نتأكد من أن الحاضرين رجال ليس بهم امرأة ، حتى اذا جرى انتخاب لم ترتق عرش البابوية مرة أخرى امرأة كيوهانة . وهى نكتة خارجة .

فروش : هيا انطلقى ياسيدة بلبلة
وسلمى على حبيبتى ألف سلام .

زيبل : يالمصيبة ! تسلم على حبيبتى ! ليتنى أرسل اليها كبيبة مصنوعة من الصراصير ومحشوة بأوراق بلوط من جبال بلوكسبرج يحملها اليها أرنب مسلوخ ومعها برسيه ، لاتحية تحملها البلبلة ! ألم تلق بى ، أنا بشاربى المفتول وبما بى وبما على ، وراء الباب كما تلقى القشة المستهلكة ، وذلك من أجل ـ أعوذ بالله !! ليس لها من سلام عندى الا تحطيم شبابيكها ! (١)

فروش : (يقرع الآنية على المنضدة) : سكوت الآن ! اليكم يارفاقى نشيد جديد ، أو أن شئتم نشيد قديم (٢) . انتبهوا وغنوا القرار معى . هيا ـ
كانت فارة فى حجر بقبو (٣)
تعيش على السمن والزبد فقط
فتكون لها من كثرة الاكل كيس ظريف
مثل الـــ (٤)

---

(١) أسماء الخلان مأخوذة من لغة الطلاب . فروش : طالب مبتدىء . براندر : طالب فى الفصل الدراسى الثانى . زيبل : طالب فى الفصول الدراسية العالية . والأصل اللغوى يردها الى دائرة الخمر وشاربيه والمسرفين فى شربه .

(٢) صياغة جديدة لنشيد شعبى يرجع الى القرن السادس عشر .

(٣) القبو بدروم تختزن فيه المأكولات والمشروبات .

(٤) فى الصياغة التالية اكمل جوته : مثل الدكتور لوتر وهو المصلح الدينى المعروف ومنشىء المذهب البروتستانتى .

فوضعت لها الطاهية سما

فضاقت عليها الدنيا

كما لو كان فى جسمها حب .

كورس (مهللا) : كما لو كان فى جسمها حب .

فروش : فلفت ودارت وانطلقت الى الخارج

وشربت من مياه البرك القذرة كلها

وانهالت على البيت نهشا وخدشا

فلم يجد هياجها نفعا .

فقفزت قفزات مذعورة ،

ولم تلبث المسكينة أن ضاقت ذرعا

كما لو كان فى جسمها حب .

كورس : كما لو كان فى جسمها حب .

فروش : وراحت من خوفها ، فى وضح النهار ،

الى المطبخ مسرعة راكضة ،

فوقعت على جانب الفرن واختلجت ثم تمددت

وتنهدت على نحو يثير الشفقة .

فضحكت تلك التى وضعت لها السم قائلة :

انها تلفظ أنفاسها الأخيرة

كما لو كان فى جسمها حب .

كورس : كما لو كان فى جسمها حب .

زيبل : من يضع كمية كافية من سم الفيران لهذه الطاهية فى حسائها!

أنا لست شفوقا بطبعى ، ولكن فأرة من هذا النوع جديرة بأن تلين الحجر .

براندر : حتى الفيران . ليتنى كنت أرى كرش هذه الفارة وهو ينفث روحه عند الفرن .

***

( فاوست . مفيستوفيليس )

مفيستو : انظر اليهم ، كيف يمرحون هنا ! ان أعجبك هذا آتيتك كل ليلة بجماعة من هذا النوع .

فاوست : مساء الخير ياسادة .

الجميع : شكرا عظيما .

زيبل : من هذا الحاوى ؟

براندر : اسكت ! انهما شخصان عظيمان متخفيان وفى وجههما شىء من الشر وعدم الرضا .

زيبل : ها ! بل هما على أكثر تقدير اثنان من الممثلين .

مفيستو : ( بصوت منخفض ) ارايت ! انهم لا يتوقعون الشيطان مهما كان قريبا منهم .

فروش : سأحتال عليهما لأعرف من أين يأتيان . ــ هل كانت الطريق من ريباخ (١) الى هنا صعبة ، فخيم الليل عليكما اذ تسافران .

---

(١) فى النص حرفيا : سأستخرج الدودة من أنفيهما ، يعنى سأعرف سرهما بالحيلة . أما ريباخ فمدينة بين لايبتسج وناومبورج ، مشهورة بشخصية «هانس» العبيط . ومن هنا تتضح القيمة التهكمية لاجابة فروش بأنه من جنس عريق .. الخ ، ولرد مفيستو عليه أنه لابد من أقاربه أى بأنه عبيط مثله . (المترجم) .

فاوست : ثم نلج هذه الطريق .

فروش : كنت أقصد ، هل تناولتما طعام الغداء عند هانس المشهورة ؟

فاوست : لا أعرفه .

( الآخرون يضحكون )

فروش : انه من جنس عريق ، وله عائلة كبيرة !

مفيستو : وأنت من أبناء عمومته على مايبدو !

براندر (الى فروش بصوت خفيض) : كفى ! انه يفهم الموضوع .

فروش : الحالة فظيعة عند فورتسن (١) ، أحيانا يضطر الانسان الى الانتظار مدة طويلة حتى تأتى المعدية .

فاوست : هكذا !

زيبل (بصوت خفيض) : يبدو عليهما أنهما يأتيان من الدولة . لنتمهل حتى يألفانا أولا . ـ هل تحبان جرعة تحـــرك الفؤاد ؟ ـ تعاليا .

مفيستو : هيا ! ( يتقارعون الكئوس ويشربون )

فروش : نريد الآن أغنية لطيفة ياسادة . وهذا ابريق لقاء الاغنية . اتفقنا .

فاوست : ليس لى صوت غناء .

مفيستو : سأغنى أنا أغنية لى، وأغنيتين لصاحبى ، ثم مئات ان أردتم فقد أتينا من أسبانيا حيث يتغنى الناس بأغان عددها عـدد نجوم السماء .

---

(١) مدينـــة شرق لايبتسج ، على نهر المولده . وكلام فروش هنا محاولة أخرى لمعرفة المكان الذى أتى منه فاوست وصاحبه . ( المترجم ) .

براندر : لا أميل الى هذا النوع ، بل أنا أكره هذا الضجيج ، اللهم الا اذا كنت سكران ، فاستغرقت فى نوم عميق ، ولم أحس حتى بالدنيا اذا فنت . - وقد يصلح هذا الضجيج لصغار البنات اللاتى لايستطعن نوما ، ويقفن بالنافذة لتنسم الهواء الرطب فى ضوء القمر .

مفيستو : يحكى أن ملكا من الملوك
كان لديه برغوث كبير .

زيبل : سكوت ! شىء جميل نادر ! هواية حسنة .

فروش : أعد !

مفيستو : يحكى أن ملكا من الملوك
كان لديه برغوث كبير
وكان يحبه حبا غير قليل
كأنما كان ابنه ،
ونادى الملك خياطه
فأتى الخياط ، فقال له :
قس للشاب ثيابا
وقس له سراويل .

زيبل : قياسا مضبوطا ! مضبوطا ! (ينفجرون ضاحكين) حتى لاتكون بالملابس ثنايا !

مفيستو : فى القطيفة والحرير
وضعوه
وخيطت له شرائط على الثوب
ووضع له عليه كذلك صليب .

ثم عين للتو وزيرا
واتخذ نجمة عظيمة ،
وأصبح اخوته
سادة عظاما فى البلاط .
أما سادة البلاط وسيداته
فقد تعذبوا عذابا شديدا
( وأما الملكة والوصيفة
فقد عانتا من الوخز والقرص )
ولم يكن لهم أن يقتلوه ،
أو أن يطردوه عنهم ،
أما نحن فنقتل ونخنق
على الفور اذا ماوخزنا أحد .

كورس ( مهللا) : أما نحن فنقتل ونخنق
على الفور اذا ما وخزنا أحد .

الجميع (أصواتهم متداخلة) : حسن ! حسن ! جميل رائع ! اغنية أخرى ! اليك أباريق أخرى ، نريد مزيدا من الأغانى !

فاوست : سادتى ! الخمر هنا حامضة ! حامضة كحال أنواع الخمور جميعا فى لايبتسج ! ولكنى أعتقد أنكم ستسمحون بأن نصب لكم خمرا من دن آخر .

زيبل : هل لديك مستودع خاص للخمور ؟ أم هل تتجر فى الخمر ؟ أم هل أنت من أشرار الدولة ؟

ألتن : انتظر قليلا . (ينهض) لقد أخذت عينة ، ساجربها لأرى هل

استمر فى الشرب (يغمض عينيه ويقف برهة) هـه . هـه . راسى تترنح .

زيبل : هه ! زجاجة ! سأتحمل المسئولية أمام الله وأمام امرأتك ! هات نبيذك .

فاوست : آتونى بمثقاب .

فروش : لصاحب الحان سلة صغيرة بها أدوات فى الركن هناك .

فاوست ( يتناول المثقاب ) : حسن . أى نبيذ تريد ؟

فروش : هه !

فاوست : اية كأس تروم ؟ وأنا آتيك بها .

فروش : هه ! هه ! أريد كأسا من خمر صافية ، من النيرنشستاينر الأصلى .

فاوست : حسن ( يثقب المنضدة ناحية فروش ) : آتونى بشمع .

آلتن : هذه شمعة .

فاوست : هكذا ! (يسد الثقب) اليك الكأس ! وأنت ؟

زيبل : خمر موسكات ! والحق اننى لا أشرب الخمر الاسبانية ، ولكنى أريد أن أرى حدود ماتفعل .

فاوست (يثقب ويسد) : وماذا تحب أنت ؟

آلتن : نبيذا أحمر ! فرنسيا ! ـ وأنا لا أحب الفرنسيين وان كنت أكن لخمرهم احتراما كبيرا .

فاوست (يثقب ثم يسد) : وماذا تريد أنت ؟

براندر : هل تستهزىء بنا ؟

فاوست : قل لى بسرعة اسم نبيذ !

براندر : توكاى اذن . ــ هل يسيل أيضا من المائدة .

فاوست : اسكت أيها الشاب ! ــ لقد رأيت . أمسكوا جميعا كئوسكم وضعوها الى أسفل ، ثم ليجذب كل واحد منكم سدادة الشمع ، ولاتقعن من أحد منكم قطرة على الأرض ، والا حدثت مصيبة .

ألتن : أحس بالرعب ! ان بهذا الرجل الشيطان !

فاوست : اجذبوا السدادات . (يجذبون السدادات ، فينهمر فى كأس كل منهم نبيذه المفضل)

فاوست : سدوا ! والآن ذوقوا !

زيبل : عظيم ! عظيم جدا !

جميعا : عظيم . رائع . ــ مرحبا بالضيف . (يشربون مرة ثانية) .

مفيستو : لقد سكروا !

فاوست : لنذهب !

مفيستو : بل ننتظر لحظة !

الجميع (يغنون) : لقد أخذتنا نشوة همجية
كخمسمائة من اناث الخنازير .

(يشربون مرة أخرى . السدادة تسقط من يد زيبل ، فينساب الخمر وينهمر على البلاط ويتحول الى لهب يرتفع ويلفح زيبل)

زيبل : جهنم بشيطانها !

براندر : انه سحر ! سحر !

فاوست : لقد حذرتكم ! (يسد الثقب وينطق بكلمات فينطفىء اللهب).

زيبل : ياللعجب ! ـ هل تظن أن لك أن تدخل فى جماعة كريمة شريفة وتمارس سحرك الشيطانى ؟

فاوست : اخرس ياحلوف !

زيبل : أنا حلوف ! ياعصا المقشة ! يااخوان ! هيا بنا نقتله ! هيا بنا ناتى عليه . (يستلون سكاكينهم) الساحر مهدر الدم . دمه حلال حسب قوانين الدولة . (يهمون بالانقضاض على فاوست ، فاذا بهم يقفون فجاة وقد تملكتهم دهشة (١) بهيجة وراحوا ينظرون بعضهم الى بعض) .

زيبل : ماذا أرى ؟ انها جبال ذات كروم !

براندر : عنب فى هذا الوقت من العام ؟!

التن : ما أنضجه ! ما أجمله !

فروش : سآخذ هذا العنقود ، انه أكثر العناقيد جمالا . (كل يمد يده ليمسك ، فيمسك كل صاحبه من أنفه ، ويرفع كل سكينه) .

فاوست : كفى . اذهبوا وتخلصوا من سكركم .
(فاوست ومفيستو يخرجان . يفيق الآخرون ويتفرقون صارخين)

زيبل : أنفى ! أكان هذا أنفك ؟ أين عناقيد العنب ؟ أين هو ؟

براندر : هرب ! لقد كان هو الشيطان نفسه !

فروش : رأيته يركب (٢) دنا وينصرف به .

---

(١) تغيرت حالهم نتيجة سحره ، وخيل اليهم انهم يرون عناقيد العنب .

(٢) ركب الدن كما يركب الحصان وتحرك به كما تقول الاسطورة .

الن : رأيته ؟! اذن فليست ساحة السوق آمنة . ـ كيف نعود الى بيوتنا الآن ؟

براندر : زيبل يتقدمنا ؟

زيبل : لست مجنونا !

فروش : تعالوا نوقظ الخفر عند دار البلدية ، وسيقومون بالواجب ان أعطيناهم بقشيشا ! هيا !

آلتن : لا تتخيل هذا ! لقد جف كأنه خشب !

زيبل : هل لايزال النبيذ ينساب ؟ (يتفحص السدادات)

آلتن : لاتتخيل هذا ! لقد جف كأنه خشب !

فروش : هيا يا رفاق ! هيا بنا ننصرف !

(الجميع يخرجون)

***

## طريق زراعية

(على الطريق صليب . الى اليمين قصر عتيق على ربوة . على بعد كوخ صغير من أكواخ الفلاحين)

فاوست : ماذا بك يا مفيستو ؟ هل انت على عجل ؟ ومالك تقفل عينيك أمام الصليب ؟

مفيستو : أنا أعرف أنها وسوسة ، ولكن الصليب على أية حال شيء أمقته .

***

## الطريق

(فاوست . مارجريته عابرة)

فاوست : ياآنستي الجميلة ، هل لي أن أتجرأ فاقـــدم لك ذراعي لمرافقتك ؟

مارجريته : لا أنا آنسة ، ولا أنا جميلة ! (١) ويمكنني أن أذهب الى البيت بلا مرافقة (٢) . (تفلت منه وتنصرف) .

فاوست : تلك صبية رائعة الجمال ! لقد أشعلت فى نفسى شيئا ! وانها لعلى خلق وفضيلة ، ومكر أيضا . لن أنسى ماحييت حمرة شفتيها ، ولا نور وجنتيها . لقد ارتسمت عميقة فى قلبى طريقتها فى غض الطرف ! وسرعة بديهتها ! ذلك شىء يخلب اللب .

(مفيستو يظهر)

فاوست : اسمع ! عليك أن تأتينى بالبنت !

مفيستو : أية بنت ؟

فاوست : تلك التى مرت على لتوى .

مفيستو : آه تلك ! كانت عائدة من عند القسيس بعد أن برأها من ذنوبها كلها . وقد تسللت الى كرسى الاعتراف وسمعت ، فاذا هى شىء برىء جدا ، لم يكن لديها مايستدعى الاعتراف! ليس لى سلطان على هذه (٣) .

فاوست . ولكنها تجاوزت الرابعة عشرة .

---

(١) تعنى أنها ليست «مدموازيل» وليست «هانم» ، بل بنت فلاحة بسيطة . (المترجم)

(٢) يعرض فاوست عليها أن يرافقها الى باب بيتها كما تقضى قواعد الفروسية .

(٣) مفيستو يريد بهتاف «آه تلك !» أن يقول أن هذه البنت لاتمثل الاغراء والفتنة والغواية ، ويشير اليها بكلمة «الشىء» كأنما يستكثر عليها كلمة « بنت » ، ويؤكد انه لا يستطيع أن يؤثر عليها لطهرها .

مفيستو : انك مثل هانس ليدرليش(١) ، الذى يشتهى كل زهرة لطيفة لنفسه ، ويتصور أنه ليس هناك شرف أو حظوة الا كزهرة يستطيع أن يقطفها ! وهذا لا يمكن دائما أبدا !

فاوست : يا سيدى الاستاذ العلامة لوبيسان (٢) ! لا تحدثنى عن القانون ودعنى وشانى • انى اقول لك باختصار انه اذا لم يكن الدم الحلو الشاب هذه الليلة بين ذراعى ، فسيكون فراقنا عند منتصف الليل .

مفيستو : لابد أن تفكر فيما يمكن وفيما لايمكن ! اعطنى على الأقل اسبوعين ، لأتحسس الفرصة .

فاوست : لو أوتيت أسبوعا فقط من الهدوء ، لما احتجت الى شيطان ليغوى مثل هذه المخلوقة من أجلى .

مفيستو : انك تتكلم بطريقة توشك أن تشبه طريقة الفرنسيين . أرجوك ألا تغضب ، فماذا يفيد الغضب فى المتعة ؟ ولن تكون المتعة عظيمة الا اذا سبقها طلوع ونزول ولف ودوران ولت وعجن فى العروسة الصغيرة بكثير من الكلام الفارغ واللآن ، على نحو ماتحكى بعض القصص الايطالية (٣) .

فاوست : شهيتى مفتوحة بلا تمهيد !

مفيستو : دعنى الآن أقول لك بلا مزاح أن أمر البنت الجميلة لن ينقضى بسرعة أبدا ، لن يجدى الاندفاع كالعاصفة نفعا ، وعلينا أن نرضى بالحيلة .

---

(١) رمز على من يطلب دون أن يفكر ، وعلى الشخص التائه المضطرب . (المترجم)

(٢) لوبيسان = الجدير بالتقريظ • يقصد به أكبر علامة للتهكم • (المترجم)

(٣) مثل قصص جوفانى بوكاتشو . ( المترجم )

فاوست : ائتنى بشيء من كنز هذا الملاك ، أو خذنى الى مخدعها ، أو آتني بشال من صدرها ، أو برباط جوربها حتى أقدمه لحبى الذى تأجج .

مفيستو : حتى ترى أننى أريد أن أكون فى خدمة ورهن اشارة ما بك من ألم ، تعال ، لا ينبغى أن نضيع لحظة ، تعال معى فانى أريد أن آخذك اليوم الى حجرتها .

فاوست : فأراها ؟ وأنالها ؟

مفيستو : لا ! ستكون عند جارتها . وستستطيع بمفردك أن تتمتع بأمل متع قادمة وأن تشبع فى جو رائحتها العبقة .

فاوست : أتستطيع الذهاب الى هناك الآن ؟

مفيستو : مازال الوقت مبكرا ؟

فاوست : فاحضر لى هدية أقدمها اليها . (يخرج)

مفيستو : انه يتصرف كما لو كان من أبناء الأمراء . لو كان لدى كبير الشياطين (١) اثنا عشر أميرا من هذا الصنف ، لقدموا اليه الكثير، فهو يحصل على نصيبه من الصفقة فى النهاية .

( يخرج )

***

## مســـــاء

( حجرة صغيرة منظمة )

مارجريته : (تضفر شعرها وتلف الضفائر حول رأسها) . يستحق جائزة متى من يخبرنى خبر الرجل الذى رأيته اليوم . كان شكله وجيها محترما ، وكان يبدو واحدا من أبناء البيوتات الكريمة

(١) لوسيفر ــ Luzifer

ان صح ماقراته على جبينه . ولابد انه كذلك ، والا لما تجرأ على نحو ماتجرأ . (تخرج) .

( مفيستو . فاوست )

مفيستو : ادخل ، ادخل بهدوء .

فاوست (بعد شيء من الصمت) : أرجوك دعنى وحدى .

مفيستو ( يدور ببصره فى المكان ) : لا تنظم كل بنت حجرتها هكذا ! (يخرج) .

فاوست (يتطلع حواليه) : مرحبا بك ياضوء الشفق الحلو ، يامن تهيم عبر المكان المقدس . وأنت ياعذاب الحب الحلو ، يامن تعيش على طل الأمل هالكا ، أمسك قلبى ما اعجب هذا الشعور بالسكون وبالنظام وبالرضا ، هذا الذى يتنسم حوالى . يالثراء فى هذا الفقر ! يالنعيم فى هذا السجن ! (يرمى فى الكرسى الجلد الوثير عند السرير) . آه ، ضمنى اليك يامن ضممت من قبل بين ذراعيك المفتوحتين فى فرح او ألم الآباء والأجداد ! كم تعلق بعرش الآباء هـذا من جوانبه المختلفة حشد من الاطفال ! وربما وقفت حبيبتى هنا طفلة بوجنتين ممتلئتين شاكرة للمسيح المقدس ، تطبع قبلة تقية على يد جدها العجفاء ! أى فتاتى ! اننى أحس روحك تطن حوالى مفعمة بالثراء والنظام ! وماأشبه روحك بالأم اذ تنبهك كل يوم الى مد المفرش على المنضدة بنظام ، والى الالتفات حتى الى قرقعة الرمل تحت قدميك . آه أيتها اليد الحبيبة الربانية ، ان الكوخ ليصبح بك فردوسا ! وهنا! (يرفع ستارة من ستائر السرير) ما هذا الفزع الذى يتملكنى عند كل متعة ! أريد ان أظل هنا ساعات ! أيتهـا الطبيعة ! لقد كونت هنا فى أحلام لطيفة الملاك المتجسم . هنا كان الطفل

يرقد وقد امتلأ صدره الرقيق بحياة دافئة . وهنا تحرك بقدسية وصفاء وتشكل بشكل الآلهة . وأنت : ماذا أتى بك الى هنا ؟ ماأعمق العاطفة التى تتحرك بها نفسى : ماذا تريد هنا؟ لم يثقل عليك قلبك بأحزانه ؟ يافاوست! يا أيها المسكين ، لم أعد أعرفك ! هل يحيط بى هنا عبير ساحر ؟ لقد كنت مندفعا الى المتعة ، فاذا بى أحس نفسى الآن اذوب فى حلم غرام . هل نحن لعبة يحركها كل ضغط يعترى الهواء؟ هب أنها دخلت عليك فى هذه اللحظة ، فكيف تكفر عن جرمك ؟! سيصغر هانس العظيم (1) وسيرتمى الى قدميها وقد صهره الندم .

مفيستو : هيا بسرعة انى أراها هناك قادمة .

فاوست : تعال ! تعال ! ولن أعود أبدا !

مفيستو : هذا صندوق ثقيل أخذته من حيث أخذته ! ضعه فى الدولاب الآن ، وأقسم لك أن عقلها سيضيع ، فان بداخله أشياء ، ينال المرء بها أميرة . ولكن البنت بنت ، واللعب لعب .

فاوست : لست أعرف هل ينبغى على ؟

مفيستو : انك تكثر السؤال . أم تريد أن تحتفظ بالكنز ؟ اذن فدعنى أنصح حرصك بأن يوفر علينا الوقت الجميل ويعفينى من الاسترسال فى بذل الجهود ! لا أود أن أصدق أنك بخيل ! لقد أصبحت من فرط التفكير أهرش رأسى وأحك يداى .. (يضع الصندوق فى الدولاب ويقفل القفل) والآن هيا بنا نسرع ـ حتى أميل البنت الصغيرة الحلوة الى مايريد قلبك. انك تنظر الى الداخل ، كأنك تستعد للدخول فى قاعة المحاضرات ، أو كان الفيزيقا والميتافيزيقا يقفان أمامك بلحمهما ودمهما . ـ هيا ـ ( يخرجان ) .

---

(1) الذى يدعى العظمة . (المترجم)

مارجريته (ومعها مصباح) : الجو هنا حار خانق (تفتح النافذة) وليس
الجو فى الخارج فى مثل حرارته بالداخل . أحس شيئا ،
لا أعلم ماذا ، ليت أمى تأتى الى البيت الآن ، فان رعدة
تسرى فى جسمى كله ! انى امرأة حمقاء خوافة !
(تشرع فى الغناء وهى تبدل ملابسها)

يحكى أن ملكا كان فى توله (1)
وانه كان يمتلك قدحا من ذهب
تلقاه من حبيبته
وهى فى فراش المـوت .

وكان القدح حبيبا الى نفسه
وكان يشرب منه فى كل وليمة .
وكانت عيناه تغرورقان بالدموع
كلما شرب منه .

فلما حضرته الوفاة
أحصى مدنه ودوله
وأعطاها كلها لورثتـه
الا القدح لم يورثـه .

وكان يجلس على المائدة الملكية
وحوله الفرسان من كل ناحية
فى قاعة الآباء العظام
هناك بالقصر المشرف على البحر .
هنالك وقف الشارب العجـوز

(1) توله ـ جزيرة خرافية فى الشمال ، لعلها ايسـلاند .
( المترجم )

وشرب آخر جمرة لحياته
وقذف القدح المقـدس
الى الموج الممتـد .

ونظر اليه يهوى ثم يغرق .
ثم غاص الى عمق البحر
فغاصت عينـاه
ولم يشرب بعد قطرة أبـدا .

(تفتح الدولاب لتضع ملابسها ، فترى صندوق الحلى) كيف أتى هذا الصندوق الجميل الى هنا ؟ لقد اقفلت الدولاب بدون أدنى شك . ياترى ماذا به ؟ لعل أحدا أتى به الى أمى كرهن ، واستلف عليه مالا ؟ هنا مفتاح صغير معلق الى شريط به ــ فلأفتح الصندوق . ما هذا كله ؟ رباه ! لم أر شيئا كهذا فى حياتى ! انها حلى ! تليق لسيدة كريمة فى أرفع عيد ! كيف يبدو العقد فى جيدى ؟ ياترى لمن هـذه الأشياء الرائعة ؟ (تتحلى بالحلى وتقف أمام المرآة) لو كان هذا القرط لى ؟ ان شكل الواحدة منا يتغير على الفور اذ تتحلى به . ولكن مافائدة الجمال لك ، أيها الدم الفتى؟ (1) كل هذا طيب وجميل ، ولكن مالنا به ! اننا نستحسـنك أيتها الحلى استحسانا نصفه الاشفاق . الكل يتزاحم نحو الذهب ، الكل معلق بالذهب . يالنا نحن المساكين !

***

## طريق ذات أشجار

(فاوست مشغول البال يروح ويجىء . مفيستوفيليس يتحدث اليه )

---

(1) تعبير شعبى يعنى الانسان أو نحو ذلك .

مفيستو : أقسم بالحب المنكر ! وبالعنصر الجهنمى ! (١) انى أريد أن أعرف ان كان هناك أنكى من هذا الذى حدث حتى أستطيع أن أنزل به جام لعناتى !

فاوست : ماذا بك ؟ ماذا يثيرك الى هـذه الدرجة ؟ لم أر فى حيـاتى وجها كوجهك هكذا .

مفيستو : لو لم أكن شيطانا ، لوددت أن أسلم نفسى للشيطان لتوى، وانتهى .

فاوست : هل تغير شىء فى مخك وجننت ؟ ان الغضب والصخب يليقان بك تماما .

مفيستو : تصور أن الحلى التى أحضرتها لمارجريته ، قد خطفها قسيس! لو كان للمرء فى جسمه دم الملائكة ، لتحول الى واحدة من اناث السمك ! عندما اطلعت الأم على الصندوق بدأ الرعب يتملكها سرا .وان لهاالقدرة على الشم ! فهى تكثر الشمشمة فى كتاب الصلوات ، واذا شمت اى قطعة من متاع عرفت اذا كانت ربانية أو دنيوية ! وهكذا أحست حيال الحلى أوضح الاحساس انها ليست كثيرة البركة . وصاحت : (( يابنتى، المال الحرام يفسد الروح ، ويلتهم الدم . فاذا قدمناه الى أم الرب ، نلنا المنة فى الجنة ! )) فلوت مارجريته الصفرة فاها ، وقالت فى نفسها : حصان يأتيك هدية .(٢) ولا يمكن بالحق أن يكون من أتى بهذه الهدية الجميلة من الكافرين . واستدعت الأم قسيسا ، ماكاد يسمع النكتة ، حتى أخذه المنظر ، وقال : ((تفكير مسيحى عظيم ، تفكيرك هذا . وحق

---

(١) يعنى قسم مفيستو أنه يعتقد أنه لايوجد ما هـو أفظع من ((الحب المنكر الجحود)) ولا من ((العنصر الجهنمى)) .

(٢) مثل ألمانى سائر يعنى أنه لايليق بالمرء اذا تلقى حصانا هدية أن يبحث هل هو معيب أو غير معيب ، صغير السن أو كبيرها .

على من يقهر نفسه أن ينال . وان للكنيسة لبطن متينة ، ابتلعت بلادا ، ولم تتخم قط . الكنيسة وحدها يا عزيزتاى، هى التى تستطيع أن تهضم المال الحرام» .

فاوست : هذا شيء مألوف ، يستطيعه اليهود والملوك أيضا .

مفيستو : فتناول دبوسا وعقدا وخاتما بكل بساطة كأنما يتناول قدلما من عيش الغراب ، ولم يزد شكره ولم ينقص عن الشكر الذى قد يقوله اذا تلقى سلة من البندق ، ووعدهما حسنات السماء كلها ، فامتلأت روحهما بالتقوى .

فاوست : ومرجريته ؟

مفيستو : تجلس قلقة ، لاتعلم ماتريد ولا ماينبغى عليها ، وتفكر فى الحلى آناء الليل وأطراف النهار ، وتفكر أكثر فيمن أتاها بها .

فاوست : حزن الحبيبة يؤسفنى ! آتها بحلى أخرى ! ولم تكن الحلى القديمة كثيرة !

مفيستو : آه نعم ، كل شيء فى نظر سيادتك لعب كلعب الصغار .

فاوست : واجتهد كما قلت لك ، وتعلق بالجارة . لا تكن شيطانا ثقيل الظل كالعصيدة ، وهات حليا جديدة .

مفيستو : نعم ياصاحب السعادة ، سأفعل عن طيب خاطر .

( فاوست يخرج )

مفيستو : مثل هذا الأحمق الولهان جدير بأن يفتت الشمس والقمر والنجوم جميعا وينثرها فى الهواء تسلية لحبيبته .

( يخرج )

***

## بيت الجـــارة

مارته : عفا الله عن زوجى الحبيب ، لم يفعل بى الخير ، راح هكذا يضرب فى الارض ، وتركنى فى الفراش وحدى . لو كان هنا

لما اغضبته ، ولاحببته والله يعلم ، من كل قلبى .
( تبكى ) ربما مات ! ـ يا لمصيبتى !

... ... ... ...

... ... ... ...

لو كان عندى على الأقل شهادة وفاة . (1))

مارجريته (تدخل) : ياسيدة مارته .

مارته : ماذا دهاك يا جريتشن (2) ؟

مارجريته : نكاد ركبتاى أن تصطكا ، لقد وجدت صندوقا آخر ، مصنوعا من الأبنوس ، فى دولابى ، وبداخله أشياء أكثر عظمة وثراء من سابقه .

مارته : فلا ينبغى أن تقولى لأمك عنه ، والا أخذته على الفور الى الاعتراف .

مارجريته : انظرى هذا ! انظرى !

مارته (تزينها) : أينها المخلوقة السعيدة .

مارجريته : لن أستطيع للأسف أن أظهر به أمام الناس فى الحارة والكنيسة .

مارته : أكثرى من الحضور الى ، وتزينى بالحلى سرا عندى ، وتمشى ساعة أمام المرآة ، فان لنا فى ذلك متعة . ثم اذا أتت مناسبة ، أو حل عيد ، تدرجى فى اظهارها شيئا فشيئا ، تزينى أول مرة بعقد ، ومرة ثانية انظمى لؤلؤة فى أذنك ! وهكذا ، ولن تلحظ أمك شيئا ، ويمكنك أن تدعى أمامها

(1) تعنى : لأمكنها أن تتزوج باعتبارها أرملة . ( المترجم )

(2) صيغة التدليل من « مارجريته » . ( المترجم ) .

بأى ادعاء .

(دق على الباب)

مارجريته : آه رباه ! هل هذه أمى ؟

مارته (تطل من خلال الستارة) : انه رجل غريب ! ـ ادخل !
(مفيستوفيليس يدخل)

مكيستو : اننى ادخل هكذا واسمح لنفسى بهذه الحرية ، فلابـد أن أرجو السيدتين عفوا !

(يتأخر خطوة بانحناءة احترام أمام مارجريته) أردت أن أسأل عن السيدة مارته شفيرتلاين (١) .

مارته : أنا ! ماذا يريد السيد !

مفيستو (اليها بصوت خفيض) : لقد عرفتك ، ويكفى هذا هذه المرة . فلديك هذه الآنسة الكريمة القدر تزورك ، أرجو أن تغفرى لى الحرية التى سمحت لنفسى بها . وسأعود عصرا .

مارته (بصوت عال) : تصورى يابنيتى هذا الشىء العجيب . ان السيد يظن أنك آنسة من علية القوم .

مارجريته : ما انا الا من دم فتى فقير ! رباه ، ان السـيد لشديد الطيبة ، مسرف فيها . ليست هذه الحلى والجواهر لى .

مفيستو : ليست الحلى وحدها هى التى أثرت فى . ولكن كيـانك ، ونظرتك الحادة . ما أسعدنى بأن يكون لى أن أبقى .

مارته : بأى خبر تأتى ؟ لقد زاد فضولى .

مفيستو : وددت لو استطعت أن آتيك بخبر سار ! وأرجو ألا تجعلينى،

---

(١) شفير تلاين اسم علم ، ولكن معناه ـ سيف صغير .

لهذا ، أندم على بلاغى . لقد مات زوجك . وهو يبعث اليك بالتحية ! (١)

مارته : مات ! مات القلب الوفى ! ويلاه ! مات زوجى ، لقد هلكت !

مارجريته : لاتيأسى أيتها السيدة الحبيبة !

مفيستو : اسمعى القصة المحزنة .

مارجريته : لست أحب يومى هذا ، فان فقدان العزيز يحزن حزنا مميتا !

مفيستو : ان مع الفرح ترح ، ومع الترح فرح .

مارته : قص على خبر نهاية حياته !

مفيستو : انه مدفون فى «بادوا» عند القديس انطونيوس فى مكان مقدس مبارك ، وسد فيه فراشا باردا أبدا !

مارته : ألم تأتنى بغير ذلك ؟

مفيستو : بلى ، برجاء عظيم ثقيل : أن تكلفى القس بأن يقرأ على روحه ثلاثمائة صلاة ! وبهذا أكون قد أفرغت جعبتى !

مارته : ماذا ؟ ألم يحملك ميدالية ؟ أو حلية ؟ يحتفظ به كل عامل فى قاع رحله للذكرى ، ويفضل الجوع والسؤال على التفريط فيه .

مفيستو : يا مدام (٢) ، هذا شىء يحزننى ، ولكنه لم يبعثر ماله ، صدقينى . وقد ندم على ذنوبه ندما شديدا ، وندم على تعاسته ندما اكثر شدة !

---

(١) نكتة شيطانية ! كأن مفيستو أراد أن يخفف وقع الخبر الأليم ، فأضاف أن الزوج يبعث بالتحية رغم أنه مات !

(٢) مفيستو يصطنع لغة أرستقراطية للتأثير على مارته . ( المترجم )

مارجريته : آه ، ماأتعس البشر ! سأصلى قداسا أو أكثر من أجله !

مفيستو : ولك أن تتزوجى حالا ، فأنت صبية لطيفة (١) .

مارجريته : آه لا ، هذا لايليق الآن .

مفيستو : ان لم تتخذ رجلا ، فلتتخذ الآن حبيبا ! فانها نعمة من أعظم النعم السماوية أن يكون بذراع المرأة شيء ظريف كهذا الذى يسمى حبيبا .

مارجريته : ليست هذه عادة البلاد !

مفيستو : عادة أو غيرها ! هذا شيء يحدث .

مارته : قص على القصة .

مفيستو : كنت واقفا عند فراش موته ، فراش أحسن قليلا من المزبلة، قش متعفن أو ما يوشك أن يكون كذلك ، ولكنه مات على المسيحية ، وتبين أنه نال أكثر مما يستحق ، وصاح قائلا : ((كم ينبغى على أن أكره نفسى أعمق الكره على تركى حرفتى ، وهجرى زوجتى ! آه ان الذكرى لتقتلنى ! ليتها تعفو عنى على الأقل فى هذه الحياة !))

مارته (باكية) : الرجل الطيب ، لقد عفوت عنه وسامحته .

مفيستو : ((ولكن الله يعلم أنها كانت أكثر ذنبا منى))

مارته : كذب ! ماباله يكذب وهو على شفا الموت !

مفيستو : لاشك أنه كان يهذى وهو فى النزع الاخير ، وان كنت لاأفهم فى هذه الامور الا فهم أنصاف العارفين أو أقل .. قال : (( لم يكن لدى وقت حتى للتثاؤب ، أشتغل أولا لتخلف أولادا ، وأشتغل ثانيا لتنال خبزا ، خبزا بأوسع معنى

---

(١) الكلام موجه الى مارته !

للكلمة . ولم تتح لى حتى مجرد فرصة ازدراد نصيبي منه في هدوء !»

مارته : هل نسي كل اخلاصي ، وكل حبي ، وتعبي بالليل وبالنهار ؟

مفيستو : لا لقد فكر في كل هذا تفكيرا مخلصا جدا . وقال لي : «عندما أبحرت من مالطة كنت أصلي بحرارة من أجل زوجتي وأبنائي وحنت السماء ، فأمسكت سفينتنا بسفينة تركية كانت تنقل كنزا من كنوز السلطان العظيم ، ونالت شجاعتنا مكافأتها ، وأخذت أنا كما ينبغي نصيبا عادلا من الغنيمة» .

مارته : كيف هذا ؟ أين هذا ؟ لعله أخفاه ؟

مفيستو : من يعلم الى أين نثرته الرياح ! فقد تعلقت به آنسة جميلة في نابلي عندما كان يتنزه بأرجائها ، ومنحته الكثير من الحب والاخلاص ، فظل يحس وطأته حتى نهايته المباركة ! (١) .

مارته : الوغد ! سارق عياله ! ألم يعق حياته الفاضحة البؤس كله والسؤال ؟!

مفيستو : هكذا ! لقد مات وانتهى ، ولا مجال لهذا ! ولو كنت أنا الآن في مكانك ، لحزنت عليه عاما كما يقضي العرف ، ولبحثت في هذه الأثناء عن كنز آخر (٢) .

مارته : رباه ! لن أجد في هذه الدنيا انسانا كزوجي الأول بسهولة !

---

(١) يعني أصابته بمصيبة أو علة تسببت في موته أو ظلت تأتي عليه قليلا قليلا حتى مات . وواضح أن مفيستو يصطنع أسلوب التهكم ، ويرى بعض الشراح ان جوته يعني علة بعينها . هي «داء نابلي» ، من الامراض التناسلية . (المترجم)

(٢) حبيب آخر .

لايمكن أن يوجد فى الدنيا انسان بسيط ذو قلب مثله . لم يكن يصبيه الا تعلقه المفرط بالسياحة فى البلاد ، وبنساء الغير ، والخمر والقمار اللعين فقط .

مفيستو : هه ، هذه اشياء يمكن قبولها ، اذا كان يسمح لك من جانبه بما يناظرها ! وأنا أقسم لك ، أننى على هذا الشرط مستعد لخطبتك !

مارته : السيد يحب المزاح !

مفيستو (لنفسه) : على الآن أن أنصرف ، فانها امرأة جديرة بأن تسحب الشيطان نفسه من لسانه !
(الى جريتشن) وكيف حال قلبك ؟

مارجريته : ماذا يعنى السيد بهذا ؟

مفيستو (لنفسه) : أيتها الصغيرة الطيبة البريئة ! (بصوت عال) وداعا يا سيدتى ، وداعا يا آنسة .

مارته : لكن قل لى بسرعة قبل أن تنصرف ! أود أن احصل على شهادة تبين أين وكيف ومتى مات حبيبى وأين دفن . فأنا دائما أحب النظام ، وأود أن أرى نعيه فى الاعلانات الرسمية الاسبوعية .

مفيستو : نعم ، أيتها السيدة الطيبة ، ستثبت الحقيقة بشهادة من فم شاهدين . ومعى زميل لطيف جدا ، سأجعله يقف بالشهادة من أجلك امام القاضى . سآتيك به .

مارته : أرجوك أن تفعل .

مفيستو : وستكون الصبية حاضرة أيضا ! فانه رجل طيب ، سافر الى بلاد كثيرة ، يحسن التأدب مع الآنسات الكريمات .

مارجريته : سيحمر وجهى خجلا أمام رجل كهذا .

مفيستو : ولا أمام أى ملك من ملوك الارض .

مارته : سننتظر السيد مساء اليوم خلف الدار فى حديقتى . (يخرجون جميعا)

***

## فاوست • مفيستوفيليس

فاوست : كيف الأحوال ؟ هل هناك تقدم ؟ هل من نجاح ؟

مفيستو : حسن ! اننى أراك فى نار الشوق . ستكون جريتشن لك بعد قليل . ستراها مساء اليوم عند الجارة مارته ، وهى امرأة توشك أن تكون قد انتقيت لتصبح قوادة ولتقوم بأعمال الغجر .

فاوست : ما أحبها الى نفسى !

مفيستو : ولكن الأمر لن يتم بلا مقابل ! خدمة لقاء خدمة ! سنؤدى شهادة مؤكدة بأن اشلاء زوجها مدفونة فى بادوا بمكان مقدس .

فاوست : يالذكائك ! سيكون علينا اذن أن نرحل الى هناك !

مفيستو : هذه هى السذاجة المقدسة ! بل لهذا لن تفعل ! ستشهد دون علم ..

فاوست : اذا لم يكن لديك خير من هذا ، فقد فشلت خطتك .

مفيستو : مالك أصبحت قديسا ؟! هل هذه هى المرة الاولى التى شهد فيها كذبا ؟ ألم تجتهد جهدا كبيرا فى تعريف الله والعالم ومايختلج به ، والانسان ومايعتمل فى رأسه وقلبه ؟ فهل كنت تعلم عن هذه الامور فى فكرك وصدرك أكثر مما تعلم عن موت السيد شفيرتلاين ؟

فاوست : أنت كذاب سفساط ، وستبقى كذلك !

مفيستو : لو كنت تعلم علما أعمق قليلا من علمك الآن لرأيت طرفا مما أرى . ألن تذهب غدا بكل شرف الى جريتشن المسكينة فتغرر بها ؟ وتقسم لها مع ذلك أنك تحبها من قلبك كل الحب ؟

فاوست : من كل قلبى حقا .

مفيستو : هذا شيء طيب . ثم ننتقل الى الحـــديث عن الوفاء أبدا والغرام الخالد . أما الدافع الأوحد الأقوى ـ هل يأتى هو أيضا من القلب ؟

فاوست : دع هذا ! سيكون حقا ! فاننى عندما أحس ، أبحث لاحساسى ولما يضطرب فى بعد ، عن أسماء ، فلا يجدى بحثى نفعا ، ولايصل الى أســماء ، فأهيم فى العالم بحـواسى كلهـا ، وأمسك أسمى الكلمات جميعا ، وأسمى النار التى احترق بها : لا نهائية ، أبديه ، خالدة ، فهـل هـذا عبث كذب شيطانى ؟

مفيستو : أنا رغم ذلك على حق .

فاوست : اسمع كلامى ، وانتبه اليه أرجوك ، وترفق بصدرى . من أراد أن يثبت أنه على حق ، ولم يكن له الا لسان طويل ، بلغ مراده بلاشك . تعال ، لقد تعبت من الثرثرة . فأنت على حق ، لاننى مضطر .

***

## حديقـــة

(مارجريته تتأبط ذراع فاوست. مارته مع مفيستو فيليس. يتنزهون جيئة وذهابا)

مارجريته : اننى أحس أن السيد يترفق بى ، ويتنزل الى مستواى، حتى أنى لأخجل من ذلك . والرحالة معتاد على التســامح

من قبيل الطيبة والمجاملة ، ولكنى اوقن ان رجلا له خبرتك لايجد متعة فى حديثى الفقير .

فاوست : نظرة منك ، كلمة منك تمتعنى أكثر مما تمتعنى حكمة الدنيا كلها . (يقبل يدها)

مارجريته : لا تشق على نفسك . كيف يمكن أن تقبل هذه اليد القذرة الغليظة ؟ فما أكثر ماكددت واجتهدت ، لأن أمى تحب الدقة والاتقان اشد الحب (يعبران)

مارته : وانت ياسيدى لاتفتأ تسافر ؟

مفيستو : آه المهنة والواجب يدفعاننا الى ذلك دفعا . ورب مكان لم يتركه الانسان الا بأشد ألم ، ولم يكن له أن يبقى فيه مجرد بقاء .

مارته : فى سنوات العنفوان يصح أن يضرب المرء ماشاء فى الارض . ثم مايلبث الوقت الشديد أن يأتى ، وليس هناك رجل أحب أن يسير الى القبر وحيدا بلا زوج ، كأنما قطع من شجر .

مفيستو : اننى أنظر الى هذا الوقت من بعيد وافزع اذ أراه يقترب منى .

مارته : لهذا تدبر فى الوقت المناسب ، أيها السيد المحترم . (يعبران)

مارجريته : نعم ، البعيد عن العين ، بعيد عن القلب . انك لعلى أدب عظيم ، وان لك لأصدقاء كثار ، لهم من الفهم أكثر وأعمق مما لى .

فاوست : ما أرفعك ! صدقينى ان مايسمونه فهما ليس فى الحقيقة الا غباء وعنادا وغرورا (١) .

---

(١) المشكلة الفاوستية .

مارجريته : كيف ؟

فاوست : ما بال البساطة ، والبراءة لا تعرف ذاتها وقدرها . وإن التواضع والذلة اسمى نعم الطبيعة الحبيبة العادلة .

مارجريته : اذا فكرت فى لحظة واحدة ، كان على أن أفكر فيك زمنا .

فاوست : هل كثيرا ما تكونيين وحدك ؟

مارجريته : نعم . فان بيتنا محدود ، وان احتاج الى العناية رغم ذلك . وليس عندنا خادم ، وعلى أن أطبخ ، وأكنس ، وأغزل ، وأحيك ، وأجرى بكرة وأصيلا . وأمى دقيقة تحب الاتقان فى كل الأمور حبا شديدا . وليس عليها أن تشتد فى التضييق على نفسها بمعنى الكلمة ، فعى مقدورنا أن نضرب بسهم أبعد من غيرنا ، لأن أبى أورثنا ملكا لا بأس به : بيتنا وحديقة بالضاحية . وأنا اعيش الآن أياما هادئة رضية ، فأخى جندى فى الحرب ، واختى الصغيرة ماتت ، وكنت أتعب من أجلها أشد التعب وأحبه ، ولكنى مستعدة لتحمل المشقة عن طيب خاطرى مرة أخرى لأن البنت كانت عزيزة على جدا .

فاوست : لو كانت تشبهك ، فلا بد أنها كانت ملاكا !

مارجريته : ربيتها وكانت تحبنى من قلبها . فقد ولدت بعد موت أبى ، وكانت أمى فى عداد الموتى ، راقدة فى الفراش حائرة يائسة ، ولم تستعد قواها الا ببطء ، شيئا فشيئا . ولم يكن فى استطاعتها أن تفكر مجرد التفكير فى ارضاع الوليدة الصغيرة المسكينة بنفسها . فتوليت أمرها انا وحدى ، وأرضعتها ماء ولبنا ، فاصبحت ابنتى على ذراعى ، وكبرت فى حجرى وأصبحت لطيفة نشيطة .

فاوست : لقد عرفت بلا شك أصفى سعادة .

مارجريته : وعرفت بلا شك أيضا ساعات من الشقة . فقد كان مهد الصغيرة بالليل بجانب سريرى ، وكانت لاتتحرك أقل حركة ، الا استيقظت لها . تارة لأرضعها ، وتارة لأضمها الى، وتارة أخرى لأنهض من سريرى وأهدهدها فى الحجرة جيئة وذهابا ان لم تخلد الى السكينة . ثم كنت أنهض فىالصباح المبكر لطست الغسيل ، ولأسعى الى السوق ، ولأقوم على تدبير المنزل ، وهكذا دواليك . انك ترى ياسيدى ، أن الأمور لا تسير دائما على نحو مفرح ، ولكن هكذا يكون للاكل والراحة طعم .

( يعبران )

مارته : كنت أقول ياسيدى ، ألم تجد شيئا ؟ ألم يرتبط قلبك بأحد فى مكان ما ؟

مفيستو : المثل يقول البيت الخاص والمرأة الصالحة ذهب ولؤلؤ .

مارته : قصدت أن أسألك : ألم تحس رغبة أبدا .

مفيستو : لقد لقينى الناس فى كل مكان بادب جم .

مارته : أردت أن أقول : ألم يعرف قلبك الجد قط ؟

مفيستو : لاينبغى أن يسمح الانسان لنفسه بالهزل مع النساء .

مارته : آه ، انك لاتفهمنى !

مفيستو : هذا يحزننى جدا ، ولكنى أفهم - انك طيبة جدا . (يعبران)

فاوست : هل عرفتنى لاول وهلة ، ياملاكى الصغير ، عندما دخلت الحديقة ؟

مارجريته : ألم تر أنى غضضت الطرف ؟

فاوست : هل تغفرين لى الحرية التى سمحت لنفسى بها ؟ أعنى ماتبجحت فسمحت لنفسى بقوله لك مؤخرا وانت خارجة من الكنيسة ؟

مارجريته : لقد أصابنى الذهول ، فلم يحدث أى شىء من هذا من قبل قط ، ولم يكن لأحد أن يقول عنك سوءا . وفكرت : آه هل رأى فى سلوكك ، شيئا جريئا ، فتملكته الرغبة فى أن يقترب منك أنت بالذات ؟ هل أعترف لك بسرى ؟ لا أعـرف ماذا اعتمل هنا – فى قلبى من ميل اليك على الفور ! ولكنى أعرف يقينا أننى غضبت من نفسى غضبا شديدا ، لاننى لم استطع أن أغلظ معك أكثر مما فعلت .

فاوست : أيتها الحبيبة الحلوة .

مارجريته : النهاية !!
(تقطف زهرة وتقطع أوراقها ورقة ورقة)

فاوست : ماذا تصنعين ؟ باقة ؟

مارجريته : بل هى لعبة ولا أكثر .

فاوست : كيف ؟

مارجريته : دعنى ، انك تسخر منى .
(تنزع الأوراق وهى تتمتم)

فاوست : بم تتمتمين ؟

مارجريته (بصوت متوسط الارتفاع) : يحبنى – لا يحبنى –

فاوست : ياوجه السماء الحلو .

مارجريته (تستأنف) : يحبنى – لا – يحبنى – لا (وهى تقطع الورقة الأخيرة وقد تملكها فرح عظيم) يحبنى .

فاوست : نعم ياصغيرتى ! لتكن كلمة الزهر لفظ الآلهة : انه يحبك ! أتفهمين معنى هذا : انه يحبك . (يمسك بيديها)

مارجريته : أحس قشعريرة تسرى فى بدنى .

فاوست : لا تفزعنى ! ودعى هذه النظرة من عينى ، وهذه الضغطة من يدى ، تقول لك مالا سبيل الى قوله : الاستسلام التام والاحساس بنعيم لابد أن يكون خالدا ! خالدا ! ـ لوكانت له نهاية ، لكانت يأسا . ـ فليكن بلا نهاية ، خالدا ، ليكن بلا نهاية .

مارجريته (تطبق على يديه ، ثم تفلت وتجرى . فيظل واقفا مشغول البال لحظة يتبعها بعدها)

مارته : بدأ الليل يغشانا .

مفيستو : ونريد أن ننصرف .

مارته : كم وددت أن أدعوكما للبقاء فترة أطول ، ولكن المكان هنا مكان سوء ، كأن الناس به لا عمل لهم ولا شغل ، الا اقتفاء وقع أقدام الجيران وخطاهم ، فما نلبث أن نصبح مضغة فى أفواههم كما تعلم . أين صغيرانا ؟

مفيستو : طارا فى هذا الطريق كالفراش النشيط !

مارته : يبدو أنه على هواها .

مفيستو : وأنها على هواه ! هذه حال الدنيا !

***

## بيت صغير بحديقة

مارجريته ( تندفع وقلبها يدق الى الحديقة وتختفى وراء باب ، وهى تضع بنانها على شفتيها ، وتنظر من شق الباب) : هاهوذا يقبل .

فاوست : آه لك يا شقية ، هكذا تعبثين بى ! ولكنى أمسكتك ! (يقبلها)

مارجريته (تمسك به وترد اليه القبلة بمثلها) : ياخير الرجال ، طالما أحببتك .

مفيستو ( يقرع الباب )

فاوست (يدق الأرض برجليه) : من بالباب ؟

مفيستو : صديق ..

فاوست : حيوان !

مفيستو : حل وقت الفراق .

مارته : تأخر الوقت ياسيدى .

فاوست : ألا أرافقكما ؟

مارجريته : لو انك فعلت ، فان أمى .... وداعا .

فاوست : أينبغى على أن أنصرف ؟ وداعا !

مارته : بالسلامة !

مارجريته : الى لقاء قريب .

( فاوست ومفيستو يخرجان)

مارجريته : رباه ! ان رجلا كهذا يعلم كل شىء ، كل شىء ، وأنا أقف أمامه خجلة ، أقول نعم ، ردا على كل مايعرض من أمور، فلست الا صبية مسكينة أمية ، ولست أفهم ما الذى يجده فى . ( تخرج )

***

## حجرة جريتشن

مارجريته : ( وحدها ، جالسة الى عجلة الغزل ) :

ضاعت راحتى

واثاقل قلبى

ولن أستردها أبدا
أبدا ، أبدا .

حيث لايكون معى ،
يكون قبرى ،
وتكون الدنيا كلهـا
فى نظرى مريرة .

رأسى المسكين
اضطرب منى
وعقلى المسكين
تـاه منى .

ضاعت راحتى
واثاقل قلبى
ولن أستردها أبدا
أبدا ، أبـدا .

من أجله وحده أنظر
من الشباك
من أجله وحده اخرج
من البيت .

مشيته الرفيعة
هيئته الكريمة
ابتسامة فمـه

قوة عينيه

وكلامـه
المنساب سـحرا
وضغطة يده
آه وقبلته .

ضاعت راحتى

واثاقل قلبى

ولن أستردها أبدا

أبـدا ، أبـــدا .

حضنى ، رباه !
يهفو اليــه ،
آه ، ليتنى يكون لى أن أمسكه
وأن أضمه

وأقبــله

كما أريــد

ولو كان فى قبلاته

هــــلاكى

***

## حديقة مارتة

( مارجريته . فاوست )

جريتشن : قل لى ياهاينريش !

فاوست : ماذا ؟

جريتشن : ماذا بينك وبين الدين ؟ انك رجل طيب القلب ، ولكنى اظن انك لاتعمل له حسابا كبيرا ؟

فاوست : دعى هذا ياصغيرتى ، انك تشعرين أننى طيب معك . واننى لاعطى لمن أحبها جسمي ودمى ، وانى لا أنوى ان أسلبها احساسها ودينها (١) .

مارجريته : ليس هذا من الصواب ، لابد أن يؤمن المرء به .

فاوست : لابد ؟

جريتشن : ليتنى أوتيت شيئا من سلطان عليك ! انك لاتقدس الاسرار المقدسة (٢) .

فاوست : أقدسها .

جريتشن : ولكن دون حاجة . كم مضى على آخر مرة ذهبت فيها الى الكنيسة للمناولة ؟ أتؤمن بالله ؟

فاوست : يا صغيرتى ، من له أن يقول انه يؤمن بالله ؟! لك آن تسالى القساوسة والحكماء ما شئت ، ولن تلوح اجابتهم الا سخرية بالسائل .

جريتشن : اذن فانت لاتؤمن .

فاوست : لا تسيئى الى ياحلوة المحيا . من هذا الذى له أن يسميه ؟ من هذا الذى له ان يشهد : أنا اؤمن به ؟ ثم من له أن

---

(١) فى النص « كنيستها » ، ولكنى أعتقد أن المقصود هو ما اصطلحنا على تسميته « دين » . ( المترجم )

(٢) عند الكاثوليك سبعة أهمها التعميد والاعتراف والزواج والرسم والتزييت .

يحس ويسمح لنفسه ، بالقول بانه لايؤمن به ؟ (١) هو الله الشامل ، الحافظ . ألا يشملك ويحفظك أنت وأنا وهو ذاته؟ ألا تقبو السماء فوقنا ، وتمتد الارض ثابتة تحتنا ، وتعلو أنجم أبدية هنا وهناك وترتفع ؟ ألا أنظر اليك وعيني في عينيك ؟ الا يندفع كل شيء الى رأسك وقلبك ، ويختلج في سر أبدى مستورا منظورا بجانبك ، فاغمرى به قلبك قدر سعته ، فاذا سعدت كل السعادة في احساسك ، فسمه كما تشائين ، سمه سعادة ! قلبا ! حبا ! ربا ! فليس لدى له اسم . الاحساس كل شيء ، والاسم رنين أو دخان يخيم حول نار السماء .

جريتشن : هذا كله جميل وخير . وكتاب التعليم الديني يقوله تقريبا ، ولكن بكلام مختلف قليلا ..

فاوست : بل تقوله كل القلوب في كل البقاع تحت ضياء السماء ، كل بلغته ، فلم لا أقوله بلغتي ؟

جريتشن : اذا ماسمعه المرء منك هكذا ، أوشك أن يبدو له مقبولا ، ولكنه مع ذلك ملتو ، لانك لست على المسيحية .

فاوست : أيتها الصغيرة الحبيبة .

جريتشن : لطالما أحسست بالألم لرؤيتك مع رفيق .

فاوست : كيف هذا ؟

---

(١) يقصد فاوست أن الانسان يحس بالله في قلبه احساسا لا حدود له ولا يمكن أن يجد من الكلمات ما يصور به هذا الاحساس أو يسميه ، ومن الخطل أن يسمى الانسان باسم مالا يمكن تسميته . لهذا يشبه فاوست الاسم برنين أو دخان أى بأشياء لا جوهر لها .

جريتشن : هذا الانسان الذى يرافقك يثير فى أعماق نفسى مقتا ، ولم يحدث فى حياتى قط أن وخزنى شيء وخزة فى قلبى ، كما يخزنى وجه هذا الانسان .

فاوست : أيتها العروسة الحبيبة ، لاتخافيه .

جريتشن : ان وجوده يثير دمى ، وأنا طيبة مع الناس جميعا ، ولكنى بقدر ما أشتاق اليك ، بقدر ما أحس بالفزع الدفين من هذا الرجل . بل اننى أعتبره وغدا ، وليسامحنى الله ان كنت ظلمته .

فاوست : انه شخص عجيب ، وهناك من صنفه كثيرون .

جريتشن : لا أحب أن أعيش مع مثيل له ، انه عندما يطل من الباب، ينظر منه ساخرا سخرية يخالطها العبوس ، ويجد الناظر اليه أنه لايألف شيئا ، وأن على جبينه مايدله على انه لا يستطيع أن يحب كائنا من كان . انني أحس فى ذراعك انني مرتاحة ، طليقة ، مندمجة دافئة الى أقصى درجة ، فاذا حضر ، عقد وجوده قلبى عقدا .

فاوست : أيها الملاك المفعم بصادق الحدس !

جريتشن : انه يملك على نفسى ، مايدخل علينا ، حتى أظن انني لم أعد أحبك . ومايكون هنا ، حتى أحس انني لا أستطيع صلاة أبدا . وان ذلك لينفذ فى فؤادى كالأنياب المفترسه. ولابد انك تحس الاحساس نفسه ياهاينريش (1) .

---

(1) اسم فاوست فى الأسطورة يوهان أو يوهانس ، غيره جوته الى هاينريش ربما لان اسمه هو يوهان ! انما الاسم «فاوست» فيعنى : قبضة يد .

فاوست : ليس مابك الا نفور .

جريتشن : لابد أن أذهب الآن .

فاوست : آه ، ألا أستطيع مرة أن أتعلق هادئا بصدرك سويعة ، فيحث الصدر الصدر ، والروح الروح ؟!

جريتشن : آه ! لو كنت أنام بمفردى ، لتركت لك المزلاج الليلة عن طيب خاطر مفتوحا . ولكن أمى لاتنام نوما عميقا ، ولو فاجأتنا ، مت من فورى !

فاوست : لا ياملاكى ، ليست هذه مشكلة عويصة . اليك هذه القنينة الصغيرة ، ضعى منها ثلاث قطرات فقط فى شرابها ، فانها تستغرق فى نوم عميق .

جريتشن : ليس هناك مالا أفعله من أجلك . وأرجو ألا يكون فى ذلك ما يضر بها .

فاوست : لو كان كذلك ، لما نصحتك به ، يا حبيبتى .

جريتشن : اننى عندما أنظر اليك ، ياخير الرجال ، لاأعرف ماذا يدفعنى للتصرف وفق مشيئتك ، ولقد فعلت من أجلك الكثير ، حتى يوشك ألا يبقى شىء أفعله من أجلك . ( تخرج )

( مفيستوفيليس يدخل )

مفيستو : لقد انصرفت الساذجة .

فاوست : هل عدت الى التجسس ؟

مفيستو : نعم انصت الى كل شىء جملة وتفصيلا . لقد عقد لك ياسيدى الدكتور امتحان فى الدين ، أرجو أن يكون قد وافق مزاجك . وان البنات لتهتم أشد الاهتمام بمعرفة

ما اذا كان الرجل تقيا بسيطا على نحو ماجرت به العادات القديمة ، وتعتقد أنه اذا أطاع فى هذه الامور ، اطاعهن أيضا واتبعهن .

فاوست : انك أيها البشع لاتفهم أن روح هذا الملاك الحبيب ، المفعمة بايمانها وبايمانها وحدها ، السعيدة به دون غيره ، تتعذب اذ ترى من تحب يقف على شفا الهاوية .

مفيستو : ياطالب المرأة ، يامن تسمو على الحس وتلزم الحس فى آن واحد ! اهكذا تسوقك بنت صغيرة من انفك .

فاوست : يامسخة من القذارة والنار !

مفيستو : وهى تفهم فى الفراســة قدر فهم الأســاتذة المتبحرون ، عندما أكون موجودا تحس لا أعرف بماذا ! وقناعى هــذا ينبئها بالمختبىء ، وتحس بأننى يقينا من الجن ، بل باننى ربما كنت شيطانا . واليوم بالليل ـ ؟

فاوست : وماشأنك بهذا ؟

مفيستو : لى فيه متعة !

***

## عند السبيل

( جريتشن وليزشن بجرتيهما )

ليزشن : ألم يأتك نبأ بربلشن ؟

جريتشن : لم أسمع عنها كلمة واحدة ، فانى لا أختلط بالناس الا قليلا جدا .

ليزشن : حقا ، لقد قالت لىزيبيلله ذلك اليوم . لقد انتهى ببربلشن

الأمر الى السقوط . وتلك مغبة اصطناع طباع علية القوم .

جريتشن : ماذا تعنين ؟

ليزشن : لقـــد فاحت الرائحــة . انها اذ تاكل واذ تشرب بطعم اثنين .

جريتشن : آه !

ليزشن : الى هذه النهاية صـــار أمرها ! لطالما تعلقت بالرجل الذى تعرفين ، بدأت بنزهة بالقرية ، وانتقلت الى لقـــاء بالمرقص ، وكانت فى كل مكان تريد أن تبرز وأن تبز غيرها. ودللها هو بالفطائر والنبيذ ، وتصورت هى أن جمالها هذا شىء . ولم تكن تتمســك بالشرف ، فتخجل من قبـول هداياه . وأتت لمسة فقبلة ، حتى فقدت زهرتها .

جريتشن : المسكينة !

ليزشن : لست آسفة لها قط ! عندما كانت الواحدة منا منهمكة فى الغزل ، لاتسمح لها أمها بأن تنزل بالليل ، كانت هى تقف حلوة مع خليلها . وكانت اذا جلست معه على افريز الباب، أو سارت معه فى الطريق المظلم ، وجدت الساعة من الزمن وقتا قصيرا . فقد حق عليها الآن أن تصبر ذليلة وأن ترتدى قميص الخاطئات وتقف بباب الكنيسة فتكفر عن خطيئتهـا تكفيرا .

جريتشن : ولكنه سيتزوجها بلاشك .

ليزشن : لعلك تظنينه معتوها . انه شاب لعوب له فى أماكن أخـرى هواء يكفيه ان أراد أن يتنفس . ثم انه قد هرب .

جريتشن : ليس هذا جميلا منه .

ليزشن : ولو أمسكوا به ، لما حل بها الا السوء ، ولنتزع الأولاد من جبينها تاج الأزاهير ، ولنثرنا نحن البنات أمام بابها فتات الهشيم (١) .

جريتشن (وهي تنصرف) : مابالى ، كنت أجرؤ على التبكيت شجاعة، اذا ماارتكبت بنت مسكينة منكرا ، وكنت لا أجد للساني مايكفيه من الكلام قدحا في خطايا الأخريات . كانت حللهن تلوح لى سوداء ، وكنت أزيدها ســــوادا ، فلا أرضى بسوادها مهما زاد . وكنت أبارك نفسى ، وأترفع بذاتى ، ولست الآن الا خاطئة آثمة ـ ولكن مادفعنى للاثم ، رباه ، كان مفعما بالخير ، فياضا بالحب .

***

## عند السور

في تجويف بالسور تمثال دينى يمثل الأم الحزينة
أمامه أصص الزهر (٢)

جريتشن : (منحنية ، تهز الأصص في النبع القريب وتشطفها (٣)

---

(١) فضحها الصبية في الطرقات ، وفضحتها البنــات كذلك . تاج الأزاهير رمز العذرية وكذلك أوراق الزهور . أما فتات التبن والهشيم فهى رمز العار .

(٢) المكان المقصود هو طريق بين البيوت وســـور المدينــة ، وقد وضع في تجويف به تمثال الأم الحزينة ، وهى مريم أم المسيح ثكلى ، ليتعزى به مر يجرحون أثناء القتال ، ويقوم أهل التقى أو الحاجة بالعناية بالزهور التى يزين بها .

( المترجم )

(٣) فصحى بمعناها في العامية .

( المترجم )

ثم تملؤها بزهور جديدة أتت بها ) .

اخفضى
ياعظيمة الآلام
محياك الى محنتى .

السيف فى قلبك
والآلام الصامتـة
وهكذا تنظرين الى موت ابنك .
وتتطلعين الى الآب
وترسلين الزفرات
عاليا من محنتك ومحنة ابنك .

من ذا يحس
كيف ينخر
الألم فى عظامى ؟
مابقلبى المسكين من خوف هنا
ورعدة ، وتمن ،
أنت وحدك العليمة به ، أنت وحدك .

مهما ذهبت ومهما مشيت
ويلاه . ويلاه . ويلاه .
مما يؤلم صدرى هنا ايلاما .
لست أخلو الى نفسى الا لماما ، آه ،
فابكى ، وابكى ، وأبكى ،
وقلبى يتحطم فى .

آوانى الزهر عند شباكى
بللتها ، آه ، بدمعى ،
لما هممت فى هذا الصباح مبكرة
يقطف هذه الأزاهير لك .

وعندما تطلع وضاحة ، فى حجرتى
الشمس باكرة ،
أكون جالسة وكلى نحيب ،
لا أهجع فى فراشى .

ألا أعينى على خلاصى من العار والموت .
ألا أخفضى
ياعظيمة الآلام
محياك الى محنتى .

***

## كنيسة

جنــاز أم جريتشــن

( جريتشـن . الأقرباء جميعا . قداس وأرغن وانشــاد
روح السوء (١) (وراء جريتشن) :

ما أكثر اختلاف شعورك ياجريتشن
ايام كنت ملآى براءة
تتقدمين هنا الى الهيكل .
وفى الكتاب الصغير المهلهلة أوراقه

---

(١) ينطق بضميرها ( المترجم ) .

تقلبين وتترنمين بصلواتك فى تمتمة
نصفها من اللعب الصبيانى
ونصفها من الله فى فؤادك .
أى جريتشن !
أين رأسك ؟
وفى قلبك
ما هذا الاثم ؟
أتصلين لروح امك
التى انحدرت بيدك الى ألم ، فنوم طويل ؟
- وتحت فؤادك
ألا ينبض ويكبر
جنين الاثم والعار ؟
ألا يخيفك ويخاف
لوجوده المنذر النذير ؟

جريتشن : ويلاه ! ويلاه !
ليتنى أخلص من الأفكار
التى تروح فى وتجىء
وتتصدى لى .

كورس : القارعة ، يوم القارعة (١)

---

(١) فى الأصل باللاتينية . والأبيات من نشيد يدور حول يوم القيامة والحساب وينسب الى رجل من طائفة الفرنسيكان يقال له توماس فون تسيلانو عاش فى القرن الثالث عشر ( المترجم ) .

يوم تصير الدنيا كالعهن المنفوش .

(نغمة من الأرغن)

روح السوء : يتملكك الهم والحزن .

ويدوى النفير

وتضطرب القبـور

ويقـوم قلبـك

من سـكون الرفات

بالسنة من نار العذاب ، فيها

يتأجج من جديد

وينتفض .

جريتشن : ليتنى أخرج من هنا !

انى أحس كأن الأرغن

يكتم أنفـاسى

وكأن النشيد يعمل فى قلبى

فى أعمق أعماق قلبى الخلع والتقطيع .

كورس : فاذا ما أخذ القاضى مقعده (1)

تكشف كل ماكتمته الصدور

ولم يفلت اثم من عقاب .

جريتشن . لقد ضاق صدرى

وتملكتنى

عمد الحيطان

والقبـة

---

(1) فى الأصل باللاتينية .

حصرتنى ! ـ هلْ من هواء ؟!

روح السوء : نعم توارى .

فهل تتوارى

خطيئتك والفضيحة !

هواء ! ضياء !

لك الويل والبلاء !

كورس : ماذا أقول أنا البائس المسكين ؟ (١)

والى أى سيد أزف توسلى ؟

اذا كان الصالح المستقيم لا يجد الأمان ؟

روح السوء : يشيح عنك بوجهه

الصالحون

ومن مد أيديهم اليك

يرتعد

الطاهرون .

ياللبلاء !

كورس : ماذا أقول أنا البائس المسكين ؟ (٢)

جريتشن : أى جارتى ! اسعفينى بقنينتك ! (٣) ( تخر مغشيا عليها )

❋ ❋ ❋

---

(١، ٢) فى الأصل باللاتينية ( المترجم ) .

(٣) اعتادت النساء فى ذلك العصر أخذ زجاجة بهـا روح النوشادر للتغلب بها على ما كان يصيبهن من دوار واغماء فى الكنيسة .

## ليـــل

## أمام بيت جريتشن

( فالنتين ، جندى ، أخــو جريتشن )

فالنتين : كنت عندما أجلس الى مائدة فى حانة تتاح فرص الفخر والتفاخر ، ويكيل الجميع كلهم المدح أمامى لخير البنات ، ويفرغون فى تقريظهن الكئوس الملأى ، أتكىء على كوعى وأجلس فى هدوء مطمئن أنصت لما يلغون فيــه من حديث التفاخر . ثم أتحسس لحيتى ضاحكا ، وأرفع الكأس ملأى فى يدى وأقول : لـــكل منـــكم ذوقه ومذهبـــه فى الاستحســـان ، ولكن هل هنـــاك فى طول البلاد وعرضــها واحــدة تطاول حبيبتى جريتشن أو تتطاول على شرف تقديم الماء اليها (١) ؟ فترتفع الكئوس ، وتتقــارع فى كل مكان حولى تأكيدا لكلامى . وكان هناك من يتصايحون قائلين : انه لعلى حق وان اخته لحلية بنات جنســها جميعا . وكان المتفاخرون يقعدون صامتين خرسا . والآن ! أكاد أقتلع شعرى ، واتسلق الأسوار فرارا ! كل صعلوك ينال منى بالهمز واللمز ، وأقعد كالآثم الشرير ، وأنصبب عرقا عند كل كلمة أتى بها عفو الخاطر . وكم كنت أوســعهم ضربا ، لو استطعت أن أكذبهم تكذيبا .

( فاوست ، مفيستوفيليس )

فاوست : شبيه بهذا بالضياء الواهى الذى ينبعث من السراج الخالد هائما الى أعلى، هناك من شباك خزانة الكنيسة المقدسة ، فيضعف ويخفت وينزوى حتى تطبق عليه الظلمات من كل جانب ، شبيه به مابصدرى هذا من حلكة .

---

(١) تليق أن تكون خادمة لها . ( المترجم )

مفيستو : أما أنا فشبيه ماأحس به ، بما تحس به قطة صغيرة متهالكة تتسلل صاعدة على درج بسلم الحريق ، وتمس الجدران مسا رفيقا . ذلك احساس مفعم بالفضيلة ، فيه شيء من شهوة السرقة والشبق ! هيا ! ! فمن الموسف أنك تذهب الى حجرة حبيبتك كأنك تذهب الى الموت .

فاوست : مامعنى المتعة السماوية بين ذراعيها ! مامعنى الرعدة السارية والدفء النافذ !! ان روحها تحصرها محنة أى محنة . أنا ؟ ألست أنا الهارب ، الضال ، اللا انسان ، المجرد عن الهدف ، المفتقر الى السكينة ، الذى يعصف كالشلال من صخرة الى صخرة ، ويتوق فى عصفه العنيف الى قاع الهاوية ؟ الا تقف هى منتحية جانبا ، بفكرها الصبيانى الفج ، فى كوخ صغير بحقل فى جبال الألب صغير ، وكل نشاطها فى البيت محصور فى حدود العالم الصغير ؟ ! أنا من غضب الله عليه : لم أكتف بالامساك بالصخور ، وبنسفها نسفا ! بل تحتم على أن أبيد سكينتها وأمنها ! لقد أردت أيها الجحيم ، أن تنال هذه الضحية أيضا ! ألا فاعنى أيها الشيطان على تقصير وقت الخوف ، وليحدث على عجل ، مالابد أن يحدث ! ألا فلينصب فوق رأسى ماقدر لها ، ولتفن معى !

مفيستو : ما هذه العودة الى الفورة ؟! ما هذه العودة الى اللهيب ؟! ادخل اليها أيها الغبى وواسيها ! فحيث لا يرى المخ مخرجا ، يتصور على الفور النهاية .

***

## ( فاوست ، مفيستوفيليس )

فاوست : فى البؤس ! فى اليأس ! ضالة ، طال ضلالها فى الارض وقطع نياط القلوب ! لقد زج بها فى السجن ، المخلوقة الحبيبة

التعيسة ، كآثمة مجرمة ، لتنال العذاب الفظيع . لقد وصل الامر الى هذا الحد !! ـ أيها الروح الخائن الدنىء! لقد أخفيت هذا كله عنى! قم، قم، لف عينيك الشيطانيتين بالغيظ فى رأسك ! قف ، ونكد عيشى بوجودك الذى لا قبل لى على تحمله ! لقد سجنت ! وأسلمت ، فى بؤس لا يرد الى أرواح شريرة ، أسلمت الى الانسانية القاضية القاسية ! وانت تهدهدنى فى تلك الأثناء فى منع تافهة ، وتكتم عنى حسرتها المتزايدة ، وتتركها بلا معين تضيع .

مفيستو : ليست الأولى !

فاوست : ياكلب ! ياحيوان ! يابشع ! ـ امسخه أيها الروح السرمدى! حول هذا الثعبان الى هيئة الكلب ، الى تلك الهيئة التى كان يحلو له فيها أن يأتينى بالليل فيقفز أمامى ، وأن يتدحرج أمام أقدامى ، أقدام المسافر البرىء ، وأن يتعلق على أكتافى ، أكتاف المنهار المتداعى ! أعده الى الهيئة الحبيبة اليه ، حتى يزحف فى الرمل على بطنه ، وحتى أطأه بقدمى ، هذا المنبوذ ! ـ تقول ، ليست الاولى ؟! ـ ياللحسرة ! ياللحسرة ! شىء لاسبيل لروح بشر على فهمه، أن ينحدر الى هذه الهاوية من البؤس أكثر من انسان . ألا يكفى تلوى الاول فى محنة الموت للتكفير عن ذنوب الآخرين جميعا فى عينى الخالد الصمد ؟ ان محنة هذه الواحدة تنخر فى نخاع عظامى وفى ذات حياتى ، وأنت تضحك سخيفا جامدا من مصير الألوف .

مفيستو : أيها المتعاظم ! لقد عدت الآن فى نهاية فكرك الى الموضع الذى يصيبك فيه مخك يا سيدى بلوثة . لماذا تقيم معا شركة اذا لم تستطع التصرف معنا ؟ أم تريد أن تطير ، ويأخذ الدوار رأسك ؟ هه ! هل نحن الححنا عليك أم أنت الححت علينا ؟

فاوست : لاتكشف لى هكذا عن أسنانك النهمة ، أنها تثير فى التقزز-
أيها الروح الرفيع العظيم (١) ، يامن شئت أن تظهر لى ،
يامن تعلم قلبى ونفسى ، لم ربطتنى برفيق العار الذى
يتمتع بالشر ويرتوى من الخسران ؟

مفيستو : انتهيت ؟

فاوست : انقذها ، وإلا فالويل لك ! واللعنة عليك آلاف السنين ،
اللعنة .. أبشع اللعنة . انقذها .

مفيستو : لا قدرة لى على فك اغلال صاحب السلطان وفتح اقفاله .
- انقذها .. ؟ فمن هوى بها الى الخسران ؟ أنا أم أنت ؟

فاوست ( يتلفت غاضبا حواليه )

مفيستو : هل تريد أن تمسك الرعد ؟ من الخير أن الرعد لم يسخر
لكم أيها البشر المساكين ؟ فان البراعة الوحيدة التى
تصطنعونها فى خضم اضطراباتكم للتخفيف عما بنفوسكم
هى نسف أول برىء يعرض لكم .

فاوست : خذنى الى هناك . لابد أن تعود حرة طليقة .

مفيستو : والخطر الذى تعرض له نفسك ؟ اعلم أن اثم الدم الذى
أتيت البلد به لا يزال جاثما عليه ، وان أرواحا مطالبة
بالثأر تحوم حول مكان القتيل ، تتربص بالقاتل أن يعود .

فاوست : وهذا أيضا تقوله لى ؟ ! ألا فليحل عليك أيها البشع البهيم
موت وقتل عالم بأسره . خذنى الى هناك ، قلت لك ،
واطلق سراحها .

مفيستو : انى آخذك الى هناك ، وما فى استطاعتى - أسمع . هل
تظن أن لى ما فى السماوات والأرض من سلطان ؟ سأغشى

(١) روح الأرض .

وعى حارس البرجبما يفسده ، فالتمس المفاتيح ، وأخرجها من السجن بيد الانسان . وسأحرسك وأعد لك جيادا مسحورة . هذا ما أستطيعه .

فاوست : هيا بنا .

***

## ليل • ساحة مكشوفة

( فاوست ومفيستو فيليس على جوادين أسودين قادمين ركضا )

فاوست : ماذا يصنعن حول ساحة المحكمة (١) ؟

مفيستو : لا أعلم ماذا يطبخن ويهيئن .

فاوست : انهن يحمن تارة الى أعلى وتارة الى أسفل . ويملن وينحنين .

مفيستو : انها جماعة من الساحرات .

فاوست : تنثر وتبارك ؟! (٢)

مفيستو : هيا بنا نمر ! هيا بنا نمر !

***

## زنزانة

(فاوست يحمل عصبة من المفاتيح ومصباحا ، ويقف بباب حديدى صغير )

---

(١) حرفيا ، حول حجرة الغربان . لأن الغربان كانت تنزل لنهش جثث المحكوم عليهم بالاعدام والظاهر أن الحديث يعنى هنا مجموعة من الساحرات تهيىء المكان للعمل الفظيع الوشيك الحدوث وهو قطع رقبة جريتشن .

(٢) يقمن بما يشبه عمل القساوسة من صلوات ومباركة ونثر للبخور .

فاوست : لقد تملكتني رعدة لم يعد لي بها عهد منذ زمن طويل . انه فزع الانسانية يهز أعماق وجدانها .

هنا ! هنا ! افتح ـ فان ترددك يقرب الموت . ( يمسك القفل غناء من الداخل )

أمي العاهرة
هي التي قتلتني
أبي الوغد
هو الذي آكلني
أختي الصغيرة
حفظت عظامي
في مكان بارد
فصرت عصفورا جميلا
طر ، هيا ! طر ، هيا ! (1)

فاوست (يرتعش ويترنح ثم يتمالك نفسه ويفتح ، فيسمع صليل الاغلال وحفيف القش ) .

مارجريته (تتوارى في مخدعها) : ويلاه ! ويلاه ! انهم يأتون ! ياله من موت مرير !

فاوست ( بصوت خفيض ) : اسكتي ! بل أتيت لأخلصك . ( يمسك أغلالها ليفضها )

مارجريته (تمتنع) : ابعد ! أتأتي في منتصف الليل؟ أليس الصباح الباكر أيها الجلاد وقتا يرضيك ؟!

---

(1) أغنية شعبية معروفة . وهي من قصة شعبية وردت في مجموعة الأخوين جريم .

فاوست : دعيني !

مارجريته (تتلوى على الأرض أمامه) : ارحمني ودعني أعيش ! فانني صغيرة ، صغيرة ، وقد كنت جميلة ، كنت بنتا صغيرة مسكينة . انظر هذه الزهور ، انظر هـذا التاج (١) . ارحمني . ماذا فعلت بك ؟ اني لم أرك في حياتي قط .

فاوست : انها تهذى ! ولن أستطيع انقاذها !

مارجريته : انظر الى الطفل ! لابد أن أرضعه ! لقد أرضعته لتـوى . هنا ! أرضعته ! فأخذوه مني وقالوا انني قتلته ، وأنشدوا في الأناشيد ، لقد كذبوا ! الحكاية التي انتهت بهذه النهاية الحكاية هي التي انتهت بهذا النشيد . وليس لنشيدهم شأن بي .

فاوست: : (يرتمي اليها) : جريتشن .

مارجريته (تهب واقفة) : أين هو ؟ لقد سمعته ينادي . كان ينادي جريتشن . كان ينـاديني . أين هو ؟ انني أعرفه بعويله الطويل ، وبأسنانه المصطكة ، انه يناديني جريتشن (تركع أمامه) يارجل ! يارجل ! أعطنيه . آتني به ! أين هو ؟!

فاوست . (يطوق رقبتها ثائرا غاضبا) : حبيبتي ! حبيبتي !

مارجريته (تدلي رأسها في حجره لتواريها) .

فاوست : هيا ياحبيبتي ! لقد استحال قاتلك الى محررك ! هيا !

(يفتح في حين من تيهها غلائل يدها) . تعالى نهرب من القدر الفظيع .

مارجريته (مستندة) : قبلني ! قبلني !

---

(١) رمز العذرية والطهر .

فاوست : ألف مرة !! ولكن أسرعى الآن اسرعى ، يا جريتشن .

مارجريته : قبلنى ! ألم تعد تجيد التقبيل ؟ كيف . ياللعجب . أيمكن أن تكون حبيبى هاينريش وتكون قد نسيت التقبيل ؟ وكنت عندما تطوقنى بذراعيك أحس سماء كاملة تطبق على أطباقا وكنت عندما تقبلنى ، أحس كأنك تريد أن تخنقنى وأن تبلغ بى الموت ولعا . هاينريش قبلنى ، والا قبلتك أنا . (ترتمى عليه) ويلاه . شفتاك باردتان . ميتتان . لاتستجيبان .

فاوست : اتبعينى . اننى أحبك حبا ناره ألف نار . اتبعينى .

مارجريته ( تجلس وتظل برهة ساكنة ) : أأنت هاينريش ؟

فاوست : نعم أنا . تعالى معى .

مارجريته : لست أفهم . أنت ؟ تفك قيدى ؟ تطلق سراحى . تحررنى أنا . هل تعرف الامر ؟

فاوست : تعالى ! تعالى !

مارجريته : لقد قتلت أمى ، وأغرقت ابنى . ابنك ، ياهاينريش - سبحان الله فى السماء ، كأن ماحدث حلم . ياهاينريش ! يدك ! يدك مبللة ! - أرجوك أن تجففها ! فالدم عليها ! وأدخل السيف فى غمده . لقد اضطرب مخى .

فاوست : انك تقتليننى !

مارجريته : لا ، بل ينبغى أن تبقى حيا ! ينبغى أن يكون من بيننا من يظل حيا . والا فمن يرعى قبورنا ؟ اجعلها هكذا صفا ، أرجوك . ضع أخى (1) بجوار أمى هكذا ، ثم ضمنى أنا ،

---

(1) اشارة الى أن أخاها مات . وسيفصل جوته هذه الواقعة فى الجزء الاول من التراجيديا ويجعل الأخ يموت مقتولا بسيف فاوست وبايعاز من مفيستو .

وضع صغيرى الى ثديى الأيمن . هات يدك وعاهدنى على فعل ذلك ، يا هاينريش !

فاوست (يريد أن يجذبها) : أتحسين بى ؟ أتسمعيننى ؟ تعالى ، اننى أطلق سراحك .

مارجريته : الى هناك ؟!

فاوست : الى الحرية .

مارجريته : الى هناك ؟ لايمكن ولو أعطيتنى العالم كله لى . هنــاك القبر ، ينادينى ، تعالى . هناك الموت يتربص بى ، ان تعالى : لا أخطو خطوة واحدة من هنا الا الى مثواى الابدى. آه ، هاينريش . ليتنى كنت أستطيع أن أذهب معك الى الدنيا .

فاوست : الزنزانة مفتوحة . لاتتقاعسى .

مارجريته : انهم يتربصون بى فى الشارع عند الغابة .

فاوست : هيا نخرج ! هيا نخرج !

مارجريته : لا ، ولو كان الثمن حيـــاتى . ــ أتراه ينتفض . انقــذ الصغير المسكين فانه مازال ينتفض . هيا !. بسرعة . تجاوز الدرب وسر فى خط مستقيم بالغابة ، على يسار البركة ، تجده هناك حيث السياج . هيا ! انقذه ! انقذه !

فاوست : انقذى نفسك ! انقذى نفسك !

مارجريته : لو عبرنا الجبل وجدنا أمى تجلس على حجر وتهز رأسها . انها لاتشير ولاتومىء ، لن رأسها ثقيلة . كان ينبغى أن تنام لنصحو نحن ، ونتمتع معا ! . .

فاوست : (يمسكها ويهم بحملها والخروج بها) .

مارجريته : سأصرخ بصوت عال ، عال حتى يصحو كل شىء

فاوست : ياحبيبتى النهار يوشك أن يطلع ، آى حبيبتى !

مارجريته : نهار ؟ سيطلع نهار ؟ انه اليوم الاخير . انه يوم العرس .
— لا تقل لأحد انك كنت فى الليلة السـابقة عليه عند
جريتشن . — آه لتاجي (١) . سنلتقى مرة أخرى — أتسمع
أهل البلد يقبلون بالحوارى ساكنين ؟ أتسمع ؟ ليست هناك
كلمة عالية . والناقوس ينادى — والعصا تنقصم (٢) . —
وكل رقبة تسرى فيها حدة النصل الذى يسعى الى رقبتى(٣)
— أتسمع الناقوس ؟!

مفيستو : ( يظهر ) : هيا ، والا ضعتما ، فان جيادى ترتعد وقد أبيض
الصباح (٤) .

مارجريته : هذا ! هذا ! دعه ! أطرده ! انه يريدنى ! لا ! لا ياعدالة
الله تنزلى على ، فانى لك ! انقذينى ! لا ! أبدا ! أبدا !
وداعا الى الابد ! وداعا ياهاينريش !

فاوست (يعانقها) : لن أتركك !

مارجريته : يامعشر الملائكة الأقداس صونوا روحى — اننى أرتعد منك
ياهاينريش .

مفيستو : لقد حوكمت ! (يتوارى مع فاوست . الباب ينقفل محـدثا
صليلا . ينطلق صدى صوت) :
هاينريش . هاينريش .

---

(١) رمز الطهر .

(٢) كانت عملية الاعدام تتم بالسيف ، وكان ناقوس الكنيسة يدق لها دقة الخاطئين ، وكانت عصا تكسر على رأس المذنب أو تلقى عند قدميه علامة على تكسر حياته وانتهائها .

(٣) تصوير للاحسـاس بالخـوف الذى يتملك المتطلعين الى المشهد الفظيع عندما يقرب السياف سيفه من الرقبة .

(٤) لانها جياد مسحورة تخاف نور الصباح .

# فهرس

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٤٠٧٦




الثمن ٣٠ قرشًا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب